جامعة عبد الرّحمان ميرة –بجاية–

كليّة الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

عنـوان المـذكّرة

الإنتاج اللِّساني العربي الحديث وإشكالاته من خلال كتابيّ: اللّسانيّات العربيّة -أسئلة المنهج، واللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة، "لمصطفى غلفان"، -دراسة نقديّة-

مذكّرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

تّخصّص: لسانيّات عربيّة

إعداد الطّالبتين:

- كنزة بوكوشة
- هناء بولمرج

إشراف الأستاذ:

- أ/ عبد الكريم حسين

لجنة المناقشة:

الأستاذ(ة)/ تسعديت لحول.....جامعة عبد الرّحمان ميرة بجاية..... رئيسًـــــــا.

الأستاذ/ عبد الكريم حسين .....جامعة عبد الرّحمان ميرة بجاية..... مُشرفًا ومُقرّرًا.

الأستاذ/ نجيم حناشي.....جامعة عبد الرّحمان ميرة بجاية..... مُمتحنًـــــــا.

السنة الجامعيّة: 2023م/2024م

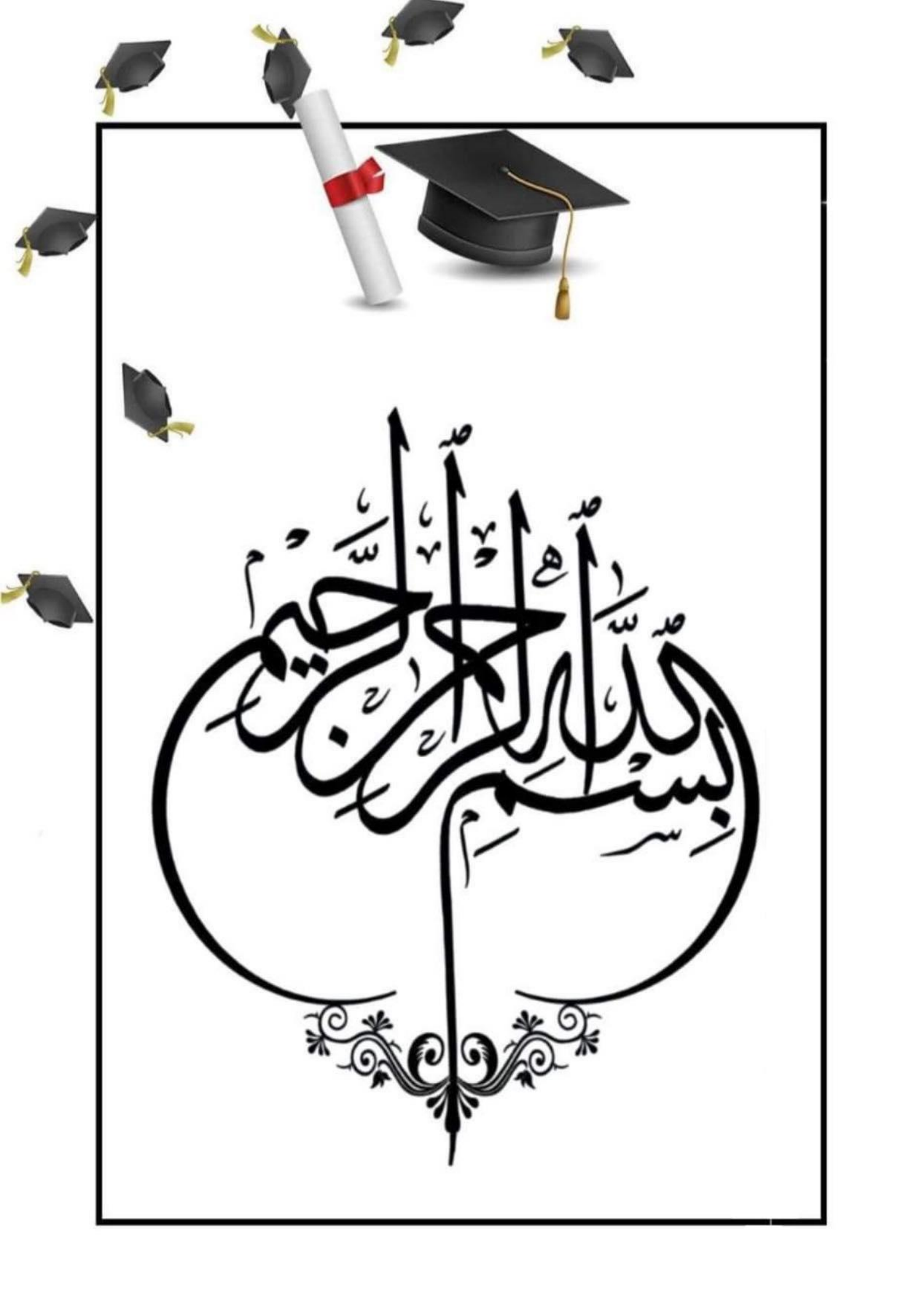
بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــر وتقديـــر

"كن عالمًا، فإن لم تستطع فكن متعلِّمًا، فإن لم تستطع فأحبّ العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم"

نحمد الله عزّ وجل الذي وفّقنا، وأمدّنا بالصحّة والعافية والعزيمة، لإتمام هذا البحث العلمي.

بجزيل الشّكر والتّقدير نتقدَّم إلى أستاذنا الفاضل، الدّكتور المشرف "حسين عبد الكريم"، على كلّ ما قدّمه لنا من توجيهات ومعلومات قيّمة، ساهمت في إثراء موضوع دراستنا من كلّ جوانبها المختلفة.

فشكرًا جزيلًا لك، كنت ودمت نعم الأستاذ.

كما نشكر أغلى وأعزّ الناس في حياتنا، الذين أناروا دربنا بنصائحهم، وكانوا سببًا في مواصلتنا لهذا المشوار الطويل، آباءنا وأمهاتنا، شكرًا لمربيّ الأجيال، ولمن أضاءوا قناديل العلم والمعرفة في قلوبنا.

شكرًا لرمز التّضحية والعطاء، لكم منّا كلّ الحبّ والتّقدير.

كما نشكر كلّ من مدّ لنا يد العون، من قريب أو بعيد ولو بدعاء.

بورك فيكم جميعًا، وجزاكم الله الجزاء الأوفى.

كنـــزة وهنـــاء

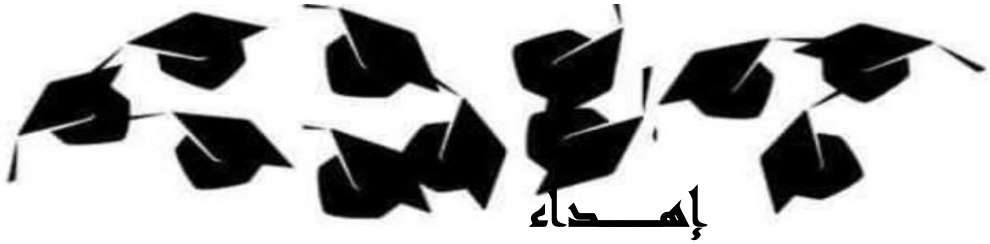

إهـــداء

من قال أنا لها "نالها"

وأنا لها وإن أبت رغمًا عنها أتيت بها.

عظُم المراد فهان الطّريق، فجاءت لذّة الوصول لتمحي مشقّة السّنين.

نلتها وعانقت اليوم مجدًا عظيمًا، فعلتها بعد أن سلكت دروبًا قاسية، وطرقًا خسرت فيها الكثير، لكنّي ها أنا ذا أصل، اليوم أقف على عتبة تخرّجي أقطف ثمار تعبي، وأرفع قبّعتي بكلّ فخر.

فالحمد للّه الذي ما اجتزت دربًا ولا تخطّيت جهدًا إلّا بفضله، وإليه يُنسب الفضل والكمال والإكمال.

﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِين ﴾

بكلّ حبّ وامتنان أهدي ثمرة نجاحي وتخرّجي:

إلى الذي رحل باكرًا تاركًا في قلبي غصّة لا تزول لآخر العمر، إلى الذي لا ينفصل اسمه عن اسمي، إلى الرّجل الأبرز بحياتي، ذلك الرّجل العظيم وسيّد الرّجال، إلى الذي افتقدته منذ الصّغر، إلى الذي فارقني بجسده وروحه ما زالت ترفرف في سماء حياتي، كم تمنّيت أن يمدّ الله في عمرك لترى ثمارًا قد حان قطافها بعد طول انتظار، "الحبيب الغالي على قلبي أبي" –رحمه الله وطيّب ثراه وأسكنه فسيح جنّاته–

إلى التي أعلى قدرها في القرآن، وجعل تحت قدميها أبواب الجنان، إلى نبراس أيّامي ووهج حياتي، إلى بسمة الحياة وسرّ الوجود، قرّة عيني وأعزّ ما أملك، إلى التي كان دعاؤها سرّ نجاحي وحنانها بلسم جراحي، التي لا يطيب النّهار إلّا برؤيتها ولا تحلو الأيّام إلّا بوجودها، "أمّي محبوبتي وملهمتي" –أطال الله في عمرها وأمدّها الصّحة والعافية، وجعلها الله لي نورًا في الحياة–

إلى ملهمات نجاحي صانعات قوّتي، صفوة أيّامي وسلوة أوقاتي، ذراعي الأيمن، ضلعي الثّابت الذي لا يميل أختاي "شهيناز" و"هدى".

إلى الذي أخصّه بالذّكر أخي الصّغير الوحيد "أيمن" أتمنّى له كلّ التّوفيق والنّجاح في حياته ومشواره الدّراسي.

إلى من يُبهجهم نجاحي، ومن كان دعائهم رفيق دربي "جدّي وجدّتي" –حفظهم الله وأطال في أعمارهم–

إلى من شاركتني تفاصيل الحياة، وأمضيت معها أسعد الأوقات "خالتي سمراء".

إلى أفضل خالٍ في العالم "نبيل"، اعترافًا بجميله وإقرارًا بفضله.

إلى العزيز الغالي "خالي فريد" وزوجته وأولاده (أكسيل، أمين، سيلاس، سلين).

إلى أعمامي وعمّاتي وأبنائهم.

إلى خالاتي وأزواجهنّ وأولادهنّ.

إلى كلّ عائلتي وأقاربي؛ أخصّ بالذّكر: عفيفة، راضية، بلال، حليم، يوسف...

إلى رفيقة الخطوة الأولى والأخيرة، إلى التي تميّزت بالوفاء والعطاء، شريكة الدّرب الطّويل رفيقتي في المشوار "هناء".

إلى الدّكتور المشرف "عبد الكريم حسين" أشكره على تحمّله أعباء الإشراف توجيهًا ودعمًا، فله منّي خالص عبارات التّقدير والاحترام، وجزاه الله خير الجزاء.

إلى جميع أساتذتي الكرام، الذين لم يتنازلوا في مدّ يد العون لي، فعلى خطاكم أسير، وبعلمكم أسير وأقتدي. كما أخصّ بالذكر أستاذيّ "أرزقي شمون"، و"نجيم حناشي".

كما أودّ أن أشكر صديقاتي كلّهن بأسمائهن، من أجل الأجواء الودّية، ولجميع اللّحظات الممتعة التي قضيناها معًا، أتمنى لهن كلّ النّجاح والسّعادة.

إلى كلّ من سعتهم ذاكرتي، ولم تسعهم مذكّرتي. إلى كلّ من يعرفني.

كنـــزة

إهـــداء

إلى نفسي الطّموح...

من قال أنا لها، نالها وأنا لها، وإن أبت أتيتُ بها رغمًا عنها...

الحمد لله حبًا وشكرًا وامتنانًا على البدءِ والخِتام...

﴿ وآخِر دَعْوَاهُم أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالمِينَ ﴾.

بعد عناء السّنين والسّهر حيث النّاس نائمون، وبعد الفشل الذي جعلت منه سلّمًا يوصلني إلى سلّم النّاجحين ها أنا ذا أصِل...

بدايةً أهدي تخرّجي وفرحتي إلى من أرادوا بي كسرًا فخيّب الله ظنّهم وزدّت قوةً وجبرًا...

وفي اللّحظة الأكثر فخرًا أهدي عملي هذا إلى من أحمل اسمه بكلّ افتخار، إلى من كلّه الله بالهيبة والوقار، الذي حصد الأشواك عن دربي ليسهّل لي طريق العلم، طاب بك العمر

يا سيّد الرّجال، وطِبت لي عمرًا يا "أبي الغالي".

إلى قدوتي الأولى ومعنى الحبّ والعطاء، إلى التي جُعلت الجنّة تحت أقدامها وسهّلت لي الشّدائد بدعائِها، إلى التي احتضنني قلبها قبل يدها، إلى القلب الدّافئ والشّمعة التي كانت لي في اللّيالي المظلِمة سرّ قوّتي ونجاحي، "أمي الحبيبة"...

إلى ضلعي الثّابت وأمان أيّامي، إلى ملهم نجاحي، إلى من شددت عضدي بهم، إلى القلوب الكبيرة التي كانت دائمًا تسعني، إلى خيرة أيّامي وصفاوتها، إلى قرّة عيني "إخوتي وأخواتي"...

إلى "خالتي وجدّتي" اللّتين طالما تمنّيت أن تكونا معي في هذا اليوم، ولكن شاءت القبور أن تحتضنكما، رحمة الله عليكما...

إلى صديقة المواقف لا السّنين، شريكة الدّرب والطّموح، إلى من كانت دومًا موضع اتّكاء وسدّ لثغرات حياتي، صديقتي الغالية "كنزة"...

ولا أنسى أستاذي الفاضل "حسين عبد الكريم"، وأساتذتي الكرام، الذين اختارهم الله ليكونوا مصابيح تنير أبصارنا، حفظهم الله ورعاهم...

وفي الختام أتمنّى أن أحظى بأيّام تليق بي، وبضحكات تنعش قلبي، وأن أمضي في دربٍ أنا أحبّه، وأن تفتح لي الحياة ذراعيها، وتزرع في طريقي أكوامًا من الأزهار...

هنـــاء

مقـدمـــــــــة

مقدمـــة:

إنّ الاهتمام باللّغة قديم قدم التّاريخ، مقترنًا ببوادر ظهور وتطوّر الحضارات، لكن كان ذلك في شكل تأمّلات فلسفيّة حول نشأة اللّغة، والبحث عن أصلها جميعًا، وأسبقيّة اللّغة والفِكر، وإن اتّسَمت عند بعض الحضارات بعمليّة تنافس الدّرس الحديث والمعاصِر، وبمجيء اللّسانيّات تحوّل مسار الدّراسات اللّغويّة في العالم، واختلفت المنهجيّات في تناول الظّاهرة اللّغويّة عمَّا كانت عليه في القديم.

ولقد عرف القرن العشرون للميلاد، تحوّلًا هامًّا في تاريخ الفِكر اللّساني الحديث، مع ما قدّمه اللّغوي السّويسري، "فرديناند دي سوسير"، إذ عُدّت محاضراته "دروس في اللّسانيّات العامّة"، تأسيسًا لمرحلة جديدة مُغايِرة للتّصوّرات السّابِقة، وإن كانت قد أفادت من بحوثهم لا سيما ممّا قدّمه علم اللّغة، من قِبل الهنود، واليونان، والرومان، إضافةً إلى البحوث اللّسانيّة التّاريخيّة المقارِنة، التي برزت في القرن التّاسع عشر للميلاد.

وبالحديث عن اللّسانيّات الذي هو العلم الذي يدرس اللّغة الإنسانيّة، دراسة موضوعيّة علميّة، تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع، بعيدًا عن النّزعة التّعليميّة والأحكام المعياريّة؛ وغرض هذه الدّراسة العلميّة، الكشف عن خصائص اللّغة، وعن القوانين اللّغويّة التي تسير عليها ظواهرها الصّوتيّة، الصّرفيّة، النّحويّة، الدّلاليّة، والاشتقاقيّة، والكشف عن العلاقات التي تربط هذه الظّواهر بعضها البعض، وتربطها بالظّواهر النّفسيّة وبالمجتمع وبالبيئة الجغرافيّة.

من هذا المنطلق، فإنّ علم اللّسان ليس دخيلًا على اللّغة العربيّة؛ بل هو مناسب لعلومها، فهو في المقابل شقّ طريقه إلى الثّقافة العربيّة، والأدبيّات اللّغويّة العربيّة، حيث كان له الأثر البالِغ في اللّغويّين والباحثين العرب، الذين انبهروا بهذا العلم الجديد الوافِد إلى الثّقافة العربيّة، وبغضّ النّظر عن قيمة تلك الأعمال إلّا أنّه لاق رواجًا، وحجز لنفسه مكانًا في البحث اللّغوي العربي، ومن بينها كتابات: "عبد السّلام المسدّي"، و"عبد الرّحمان الحاج صالح"، و"تمّام حسّان"، و"عبد القادر الفاسي الفهري"، وكذلك "مصطفى غلفان" وغيرهم (...).

لقد وقع اختيارنا على الدّكتور "غلفان"، وتسليط الضّوء على تصوّراته اللّسانيّة، وأسلوبه في التّعامل مع النّظريّات اللّسانيّة واللّسانيّات العربيّة، ولم يكن اختيارنا لهذا الموضوع صدفةً؛ بل كان عن قناعة، فقد دفعنا من خلالِه التعرّف على العلم الجديد الوافد إلى الثّقافة العربيّة، وأهمّ القضايا التي تُعالجها اللّسانيّات عامّةً بمختلف اتّجاهاتِها، وكذلك لمحاولة الاتّصال والتقرّب من جوّ الدّراسات اللّسانيّة، ثمّ محاولة معرفة بعض أعلام الدّرس اللّساني العربي، وأعمالهم كـ "عبد الرّحمان الحاج صالح"، "تمّام حسّان"، "إبراهيم أنيس" "محمود السّعران"، وغيرهم.

ويَكمُن الهدف الأساسي من وراء هذا البحث، تقديم اللّسانيّات العربيّة للقارئ العربي، وأهمّ ما جاءت به من مبادئ ومناهج وأُسس؛ لتبسيط وتسهيل دراسة اللّغة العربيّة بكلّ مستوياتها، وذلك من خلال الاطّلاع وتسليط الضّوء على آراء وأفكار "مصطفى غلفان"، وعرضها ونقدها، وأخذ تصوّر عامّ عن توجّهاته، ومعرفة مدى توفيق الكاتب في طرح أفكاره، إضافةً إلى اكتسابنا رصيد معرفي في هذا العلم للتّحضير لمسابقة الدّكتوراه.

وقد حاولنا من خلال هذه الدّراسة، الإجابة عن بعض التّساؤُلات التي طرحت إشكاليّة البحث الرّئيسيّة، والمتمثّلة فيما يلي:

- كيف قدّم "مصطفى غلفان" اللّسانيّات، والنّظريّات اللّسانيّة للقارئ العربي؟ وفيم اختلف تقديمه لها عن اللّغويّين الآخرين؟
- ما العوائق والصّعوبات التي واجهتها اللّسانيّات بعد وُلوجِها للثّقافة العربيّة؟
- وهل توجد لسانيّات عربيّة حقًّا؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اعتمدنا على المنهج الوصفي، الذي يقوم على آليّة التّحليل، وكذا المقاربة النقديّة كونها تخدم موضوع البحث، بحيث يُعين المنهج الوصفي الباحث على وصف الوقائع العلميّة، ويُسهّل عمليّة وصفِها،

والتّوصّل إلى نتائج إيجابيّة، باعتباره الأنسب لعرض أفكار "غلفان" حول موضوع اللّسانيّات، مع الوقوف على بعض المحطّات التّاريخيّة.

وقد اقتضى موضوع بحثنا هذا، أن نضع خُطّة مناسبة انطوت على مقدّمة، وثلاثة فصول؛ فصلين نظريّين، وفصل تطبيقي، تليه خاتمة.

حيث تناولنا في المقدّمة تحديد موضوع بحثنا وبِنيته، والمنهج المتّبع في دراسته.

فالفصل الأوّل جاء بعنوان "اللّسانيّات وموضوعها ومناهجها في الدّرس اللّساني الغربي". وقد تناولنا فيه ثلاثة مباحث وهي: نظرة تاريخيّة عن الدّرس اللّغوي قبل ظهور اللّسانيّات، واللّسانيّات موضوعها ومناهجها عند سوسير، بعد ذلك تطرّقنا إلى اللّسانيّات بعد سوسير، موضوعها ومناهجها.

أمّا الفصل الثاني الذي سمّيناه بـ "اللّسانيّات في الدّراسات العربيّة الحديثة"، فاحتوى على ثلاثة مباحث، ذكرنا فيها: بدايات الدّرس اللّساني العربي، وكذا رُوّاد الدّرس اللّساني العربي المعاصِر، بعد ذلك الدّرس اللّساني العربي المعاصِر بين التّأصيل والتّجديد.

وأخيرًا الفصل الثّالث الذي كان تطبيقًا، قمنا فيه بدراسة "ملامح الدّرس اللّساني العربي المعاصر عند مصطفى غلفان"، فعالجنا فيه ما يلي: قضايا اللّسانيّات العربيّة من خلال كتابيّ: "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج"، و"اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة" لـمصطفى غلفان، ثمّ تطرّقنا إلى قراءة حول كتاب "اللسانيّات العربيّة، أسئِلة المنهج"، ومآخذ بعض الباحثين على المؤلِّف وكِتابِه، فمن خلال هذا الفصل الأخير، عالجنا مواقف "مصطفى غلفان" من التّراث وتصوّره لمفهوم الحداثة، وما يطرحه من بديل لحلّ مُشكلات اللّغة حسب رأيه، كما تناولنا طبيعة المشروع اللّغوي الذي قدّمه وخلفيّاته، وكذا الهدف الذي يريد الوصول إليه.

وذيّلنا ما سَبق ذِكرُه بخاتمة، تضمّنت أهمّ النّتائج المتوصَّل إليها.

أمّا عن الدّراسات السّابقة المتعلّقة بموضوع بحثنا، فإنّنا لم نجد ما يشفي الغليل، عدا دراسة أو دراستين، إحداهما مقال للباحث عبد القادر بن التّواتي، في مجلّة العلوم الإنسانيّة والطّبيعيّة، بجامعة عمّار ثليجي الأغواط، وكذا دراسة أحلام سعيدي، في مجلّة المقرئ للدّراسات اللّغويّة النّظريّة والتّطبيقيّة، جامعة محمد بوضياف الجزائر.

ممّا لا شكّ فيه، أنّه لا يخلو أيّ بحث من بعض الصّعوبات التي تُعيق عمليّة الإلمام بكافّة عناصِره، ومن بين أهمّ الصّعوبات التي واجهتنا في إتمام بحثنا هذا ما يلي:

- صعوبة البحث، إذ يحتاج إلى الوقت الكافي للتّعمّق فيه أكثر.
- نقص المصادر والمراجع في هذا الموضوع؛ أي لم نجد مجموعة كبيرة من الدّراسات السّابقة التي تناولت محتوى البحث.

وعرفانًا بالجميل، نتقدّم بالشّكر الجزيل والتّقدير الخالِص إلى الدّكتور "عبد الكريم حسين"، على توجيهاته وإرشاداته التي كانت بمثابة الطّريق البيِّن لإنجاز وإتمام هذا البحث، فجزاه الله عنّا خير الجزاء.

وفي الختام نرجو أن تكون هذه الدّراسة قد حقّقت بعض الأهداف المشار إليها أعلاه، راجين من الله عزّ وجلّ أن يبارك لنا هذا الجهد، وأن يجعله زادًا فكريًّا وثقافيًّا، لكلّ مثابر في سبيل البحث والمعرفة.

ولا يسعنا في الأخير إلاّ أن نقول: "إن أصبنا فمن اللّه سبحانه وتعالى، وإن أخطأنا فحسبنا أجر الاجتهاد.

الفصل الأوّل:

اللّسانيّات وموضوعها ومناهِجُها في الدّرس اللّساني الغربي.

تمهيـــد:

تجلّت الأبحاث اللّغويّة العربيّة منذ القديم، وحتّى الجهود اللّغويّة الحديثة انطلاقًا من تمركزها على عدّة مرجعيّات وخلفيّات، تعتمد كلّ منها على ثقافة أصحابها، وكذا الغاية التي يسعى كلّ منهم إلى تحقيقها وإثباتها إلى حقل الدّراسات اللّغويّة العربيّة، فقد ظهر في هذا الصّدد جماعات من الدّارسين دعا بعضهم إلى ضرورة بعث الجهود اللّغويّة القديمة، ومواصلة ما بدأه "سيبويه" وقرناؤه من علماء العربيّة القدماء، من أجل إثبات الهويّة العربيّة لهذه الأبحاث، ونادى بعضهم لآخر بضرورة التّفاعل مع المستجّدات التي يشهدها العالم آنذاك، ومن أجل التّقدّم في ميدان الدّراسات اللّغويّة ، ورأوا أنّه من الأجدر النّظر إلى اللّغة العربيّة وفق المناهج اللّسانيّة التي ظهرت في الغرب وحاولوا تطويع اللّغة العربيّة لهذه المناهج، بينما سعى الآخرون إلى إعادة قراءة وتنظيم مقولات اللّغة العربيّة، وفق هذه المناهج الغربيّة الحديثة مع الاحتفاظ بمقولات الدّراسات التّراثيّة.

المبحث الأوّل: نظرة تاريخيّة عن الدّرس اللّغوي قبل ظهور اللّسانيّات.

1- الدّراسات اللّغويّة قبل ظهور علم اللّسان الحديث:

تُعدّ اللّغة من أهمّ المظاهر الإنسانيّة، فهي تعتبر محلّ الدّراسة منذ القديم، حيث تناولها كلٌّ من الفلاسفة والباحثين اللّغويّين، كما اختلفت مفاهيمها وأهدافها، فبعضهم درسها من النّاحية الشكليّة، البعض الآخر قارن فيما بينها؛ كاللّغات الهندوأوروبيّة (السّنسكريتيّة، واللاّتينيّة، والإغريقيّة) مثلًا، التي درسها اللّغوي "وليام جونز" (William Jones) (1746م-1794م)، فقد كانت اللّغة في ذلك الوقت تُدرس دراسة تاريخيّة آنيّة، وكان مطلع القرن التّاسع عشر للميلاد البداية الحقيقيّة لدراسة اللّغة علميًّا، مع العالِم السّويسري "فيرديناند دي سوسير" (Ferdinand De Saussure) (1857م-1913م)، الذي يُعتبر الأب الحقيقي للّسانيّات الحديثة سنة 1916م، والذي أضفى عليها الطّابع العلمي التّجريبي في دراستها.

1-1- الدّراسات القديمة:

ينبغي الإشارة إلى أنّ دراسة اللّغة قبل هذه الفترة لا يحتفي بها إلّا قليلًا، ذلك أنّها في معضهما تفتقر إلى العلميّة والشّمول، ولا تتجاوز الأبحاث اللّغويّة في الغالب بضع صفحات، ونادرًا ما تبلغ ثلاثين صفحة في كتابٍ ما، ومن بينها نجد:

1-1-1- الحضارة الهنديّة: اهتمّت الحضارة الهنديّة اهتمامًا خاصًّا بالظّاهرة اللّغويّة، فوفّرت بذلك مباحث شتّى تفي في مجملها بمتطلّبات المكوّنات الصّوتيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة، وكان التّركيز على الجانب الصّوتي الذي أخذ بُعدَه العلمي في أبحاث العالِم اللّغوي "بانيني" (Panini)، في كتابه الموسوم "الفصول الثّمانيّة" (Ashtadhyayi)[1]، وما يجب التّنويه إليه أنّ بداية الدّراسة اللّغويّة عند الهنود، كانت دينيّة محضة وذلك من أجل الحفاظ على كتابهم المقدّس "الفيدا".

وفي هذا الصّدد يقول "أحمد حساني" في كتابه "مباحث في اللّسانيّات":« وكان الدّافع الأساس لهذا الزّخم المعرفي الكثيف دافعًا دينيًّا، إذ كان للهندوس نصّ وضعيّ مقدّس يستمدّون منه تعاليمهم الدّينيّة، وهو الكتاب الذي كان يُنعت آنذاك بـالفيدا (Vida)؛ الذي يُعدّ مركز استقطاب للفكر اللّغوي الهندي »[2]. فقد كان اهتمامهم بالظّاهرة اللّغويّة منصبًّا على الجانب الصّوتي، كما أنّ منهجهم كان مبنيًّا على المشاهدة والاستقراء، وتوصّلوا إلى تفسير عمليّة إنتاج الصّوت، وتصنيفه ووصفه، وذِكر مخارجه، والتّمييز بين الصّوائت والصّوامت، وبين الاسم والفعل وحرف الجرّ والأدوات المتمّمة. كما بحثوا في الاختلاف بين الكلمة ومدلولها، وتميّزوا بالمزج بين علم الأصوات والدّين والسّحر، وذلك أنّ خطأ في اللّغة كان كفيلًا بإلغاء الاحتفال الدّيني، كما أنّهم اهتمّوا بدراسة اللّغة وتحليلها حفظًا لكتابهم المقدّس وأداء خدمات السّحر.

1-1-2- الحضارة اليونانيّة: شغلت قضايا علم اللّغة مكانًا مهمًّا وبارزًا في المناقشات الفلسفيّة عند فلاسفة الإغريق، واعتمدوا في هذا على الوظائف المعرفيّة والفلسفيّة والتّربويّة والخطابيّة، لا على الوظائف الدّينيّة والعمليّة، وتركت هذه النّظرة إلى اللّغة أثرًا واضحًا في القضايا المدروسة؛ لاسيما في العلاقة بين الكلمة والمعنى، أو بين الأشياء ومسمّياتها. وفي هذا الصّدد يقول "محمود جاد الرّب":« إذا كانت الدّراسات اللّغويّة ازدهرت عند

---

[1] أحمد حساني، مباحث في اللّسانيّات، سلسلة الكتاب الجامعي، ط2، الإمارات العربيّة المتّحدة، 2013م، ص 9-10.

[2] المرجع نفسه، ص 10.

اليونان أحضان الفلسفة؛ فإنّها اعتمدت اعتمادًا كبيرًا على الأدب، وقد نادى سقراط وأفلاطون بحقّ المتكلّم في استعمال لغته، وكانت اللّغة المقصودة بذلك إنّما هي اليونانيّة »[1].

ويقول "أحمد حساني" أيضًا:«كان للّغة حضور قويّ في الموروث الفكري للحضارة اليونانيّة، شكّل هذا الحضور رصيدًا معرفيًّا رائدًا في مجال الدّراسة اللّغويّة، فالإنجازات العلميّة للفلاسفة واللّغويّين اليونانيّين في هذا المجال لا يمارى فيها ولا تُردّ؛ إذ إنّهم ما انفكّوا يُسهِمون في استجلاء حقيقة النّسق اللّغوي لدى الإنسان، فنتج عن هذا الاهتمام تراكم كثيف من المفاهيم والتّصورات، التي مازال جُلّها يُعدّ رافدًا مرجعيًّا يُعتمد إلى حدِّ الآن في الفكر اللّساني المعاصر. وتتجلّى القيمة العلميّة للتّراث اللّغوي اليوناني، في البحوث التي قدّمها أفلاطون وأرسطو والمدرسة الرّواقيّة في المقاربات الفلسفيّة، والبحث عن الحقيقة المعرفيّة والوجوديّة، منها الحقيقة اللّغويّة »[2]. والجدير بالذّكر أنّ اليونانيّين قد درسوا اللّغة من ناحية فلسفيّة محضة، إذ نجد أنّ تفكيرهم اللّغوي قد اعتمد على الوظائف الفلسفيّة والخطابيّة، ولم يعتمد على الوظائف الدّينيّة، والتي تظهر في العلاقة بين اللّفظ والمعنى، أو بين الدّال والمدلول، وهي قضيّة فلسفيّة جدليّة قبل أن تكون قضيّة لغويّة، كما نجدهم قد اهتمّوا أيضًا بدراسة جوهر اللّغة ومسائلها.

1-1-3- الحضارة الرّومانيّة: للحضارة الرّومانيّة الفضل المجيد في إيصال التّراث الإغريقي إلى بقيّة العالم، فهي تُعدّ من النّاحية التّاريخيّة بمثابة الوريث الشّرعي للتّراث اللّغوي اليوناني، حيث يُقرّ "أحمد حساني" بأنّه:« لا بُدّ من الإشارة في هذا المقام الذي نحن بشأنه إلى الحضارة الرّومانيّة، وإن كانت في الواقع لا تعدو أنْ تكون الوارث الشّرعي من النّاحية التّاريخيّة للتّراث اللّغوي اليوناني، إلّا أنّها قد طبعت هذا التّراث بخصوصيّاتها الثّقافيّة والحضاريّة، فأسهمت في دفع الحركة العلميّة في مجال الدّراسة اللّغويّة، ولا سيما من جانبيها الدّلالي والبلاغي »[3]. وعليه فإنّ الرّومانيّون قد أخذوا عن الإغريق، وتأثّروا بمنجزاتهم اللّغويّة؛ إذ أخضع علماء الرّومان جميع ظواهر لغتهم اللّاتينيّة لقواعد اللّغة اليونانيّة، واستعملوا مصطلحاتها أيضًا. وهي المصطلحات التي كانت تُستعمل من عصر "أرسطو" (Aristotle)، وقد قدّر لها أن تبقى بفضل الرّومانيّين. ويُعدّ "فارو" (Varro)، من الذين اهتمّوا بالموضوعات اللّغويّة، وشُرحت آراؤه اللّغويّة في عشرين مجلّدًا، عالج فيها عدّة قضايا لغويّة؛ كمشكلة التّشبيه أو القياس تحليله

---

[1] محمود جاد الربّ، علم اللّغة نشأته وتطوّره، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1985م، ص 7.

[2] أحمد حساني، مباحث في اللّسانيّات، ص 10-11.

[3] المرجع نفسه، ص 11.

ووصفه للّغة اللّاتينيّة، وتقسيمه الثّلاثي للدّراسات اللّغويّة[1]. ومن جهوده اللّغوية تناوله لقضايا نحويّة منها علم التّراكيب، وعلم الصّرف، وعلم أصول الكلمات، وهي موجودة في كتابه الذي يتكلّم عن اللّغة اللّاتينيّة، ودرس فيه عدّة قضايا منها: الاشتقاق في اللّغة اللّاتينيّة وصيغة الفعل(...)، اعتنائه بظاهرة التّوليد والاشتقاق اللّغوي.

1-1-4- الحضارة العربيّة والإسلاميّة: اهتمّ عددٌ من الباحثين العرب بعلوم اللّغة، منذ بداية الحركة العلميّة في إطار الدّولة الإسلاميّة. فكانت لهم جهود في مجالات عِدّة؛ كالأصوات وبناء الكلمات والجملة والمفردات، وكان المنشغلون بعلوم اللّغة يصنّفون إلى مجموعتين:

المجموعة الأولى تهتمّ ببنية اللّغة، والثّانية تهتمّ بمفردات اللّغة ودلالتها، فالأولى سمّيت بـ "النّحو"، أو "علم العربيّة"، أمّا الثّانية؛ فأُطلق عليها اسم "اللّغة"، أو "علم اللّغة"، أو "فقه اللّغة"، ولكلّ هذه المصطلحات تاريخ مستقلّ. ووُجدت محاولات لوصف علوم اللّغة مجتمعة فسمّيت "علم اللّسان،" أو "علوم اللّسان العربي"، أو "علوم الأدب"، أو" العلوم العربيّة". يقول "أحمد حساني" في هذا الصّدد:« لم تكن الحضارة العربيّة الإسلاميّة أقلّ عطاء في المجال المعرفي من سواها، من حيث النّشاط الفكري بعامّة، والنّشاط اللغوي بخاصّة، فالدّارسون العرب الأقدمون لهم جهود علميّة ذات قوّة حضوريّة في بناء الفكر اللّغوي العربي والعالمي »[2]. فلقد تميّز الدّرس اللّغوي العربي قديمًا بالفصاحة والبيان؛ فهي تعدّ من الأمم التي اهتمّت بلغتها؛ فقد كان العربي يستعملها للتّعبير عن رغباته وتلبيةً لحاجيّاته، وهذا ما أدّى بهم إلى تميّزهم عن غيرهم من الشّعوب الأخرى، بكتابة الشّعر والنّثر والذّي قيل عنه "ديوان العرب"، ولكن بعد مجيء الإسلام، اختلط العرب بالعجم؛ وهذا ما أدّى إلى تفشّي ظاهرة اللّحن التي مسّت القرآن الكريم. ويقول "أحمد مختار عمر" في كتابه "البحث اللّغوي عند العرب":« ولم يكن البحث اللّغوي عند العرب من الدّراسات المبكّرة التي خفّوا لها سرعًا، لأنّهم وجّهوا اهتمامهم أوّلًا إلى العلوم الشّرعيّة والإسلاميّة، وحين فرغوا منها أو كادوا؛ اتّجهوا إلى العلوم الأخرى »[3]. فلم يؤثّر عن العرب أيّ نوعٍ من الدّراسات اللّغويّة قبل الإسلام، ولهذا فهم متأخّرون زمنيًّا عن كثير من الأمم مثل اليونان والرّومان، التي عرفت دراسات لغويّة راسخة قبل الإسلام، فكان اهتمامهم بالعلوم الشّرعيّة، وحين فرغوا منها اتّجهوا إلى العلوم الأخرى.

---

[1] شرف الدّين الرّاجحي وآخرون، مبادئ علم اللّسانيّات الحديث، دار المعرفة الجامعيّة الإسكندريّة، مصر، 1991م، ص 32.

[2] أحمد حساني، مباحث في اللّسانيّات، ص 11.

[3] أحمد مختار عمر، البحث اللّغوي عند العرب، عالم الكتب، ط6، القاهرة-مصر، 1988م، ص 79.

ويؤكّد السّيوطي في كتابه "تاريخ الخلفاء"، من قبل معبّرًا عن الفكرة:« إنّه منذ منتصف القرن الثّاني الهجري بدأ علماء المسلمين يُسجّلون الحديث النّبوي، ويؤلّفون في الفقه الإسلامي والتّفسير القرآني، وبعد أن تمّ تدوين هذه العلوم اتّجه العلماء وِجهة أخرى نحو تسجيل العلوم غير الشّرعية ومن بينها اللّغة والنّحو »[1]. فالدّراسات اللّغويّة التي وُجدت في القرن الأوّل للهجرة، كانت مجرّد محاولات وتأمّلات لدراسة اللّغة، وكان سببها العامِل الدّيني، ومنها محاولة "ابن عبّاس"، المتمثّلة في جمع الألفاظ الغريبة في القرآن وشرحها، تحت عنوان "غريب القرآن"، وكذا محاولة "أبي الأسود الدُّؤلي"، لضبط المصحف بالشّكل.

2- الدّراسات اللّغويّة في القرون الوسطى:

2-1- الدّراسات اللّغويّة الغربيّة:

اهتمّ الباحثون بشرح النّصوص اللّاتينيّة باللّغات العامّيّة، حيث أصبحت تُعدّ سِجلًّا ثريًّا لتاريخ بعض اللّهجات التي أصبحت فيها بعد لغات قائمة بذاتها، أمّا الدّراسات النّحويّة؛ فقد التزم نحّاة هذه المرحلة بتطبيق القواعد والنّظريّات، التي توصّل إليها الإغريق. وظلّ النّحو محلّ اهتمام نظرًا للعلاقة الوثيقة التي ربطت النّحو بالفلسفة، وقد تحدّث "روي هاريس" (Roy Harris)، في هذا المجال في قوله: «وكانت الفلسفة السّكولاستيّة في القرون الوسطى، ساحة للنّزاعات بين (الواقعيّين) و(الطّبيعيّين). وانعكست المعركة على المكانة التي عُزِيت للكلمات. وكانت المدارس والجامعات في أوروبا في القرون الوسطى، تدرّس النّحو اللّاتيني والخَطابَة (البلاغة) والمنطق، كونها المواضيع اللّغويّة الثّلاثة المتوفّرة »[2]. ويقول في موضعٍ آخر:« نجد أنّ نقطة الضّعف الكبيرة في هذه المحاولة المفيدة تكمن في الافتراض وراء المحاولة، وهو أنّ اللّغة اللّاتينيّة كانت لغة (نموذجيّة)، تمثّل الفروق والفئات الشّموليّة (الكونيّة)، ويُفهم هذا الافتراض إذا فهمنا العزلة الحضاريّة، التي عانت منها أوروبا في القرون الوسطى. ولم يُدرك الباحثون الأوروبيّون حتّى عهد النّهضة؛ أنّ تنوّع اللّغات في العالم أعظم بكثير؛ ممّا تَصوّره الباحثون القدماء على

---

[1] جلال الدّين عبد الرّحمان السّيوطي، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، بيروت-لبنان، 2003م، ص173.

[2] روي هاريس وتولبت جي تيلر، أعلام الفكر اللّغوي (التّقليد الغربي من سقراط إلى سوسير)، تعريب: أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ج1، ط1، بيروت-لبنان، 2004م، ص 18.

الإطلاق »[1]. وبشكلٍ عامّ فإنّ علماء هذا العصر؛ كانوا يرغبون في إنشاء نظريّة معرفيّة واحدة، تكتسب بمقتضاها كلّ العلوم والفنون ومبادئ فلسفيّة ودينيّة واحدة.

2-2- الدّراسات اللّغويّة في عصر النّهضة ومطلع العصر الحديث:

إنّ مصطلح النّهضة (Renaissance) مفهوم أوروبّي محض، يعني لغويًّا؛ الانبعاث أو الولادة من جديد، ويدلّ في الاصطلاح؛ على الفترة الانتقاليّة التي حدثت في أوروبا، بين العصور الوسطى والعصر الحديث، أي منذ القرن الرّابع عشر إلى القرن السّابع عشر للميلاد، مع عصر النّهضة.

سعت آفاق العلماء واشتدّت العناية باللّغة وكلّ ما يتّصل بها. حيث يقول "روي هاريس": «أصبحت أوروبا تتحوّل بسرعة إلى لوحة لعبة شطرنج، يختبر الملوك المتناحرون عليها قوّة بعضهم بعضًا، كونهم ممثّلين للأمم الأوروبيّة. وقد أثار ظهور الطّباعة أول مرّة التّساؤلات عن عدد نسخ الكتاب المنتجة آليًّا التي يمكن بيعها؛ لكي تحقّق أرباحًا، وهذا بدوره يعتمد على عدد المشترين المتوقّعين الذين يجيدون قراءة الكتاب باللّغة التي يُنشر بها، وكان لجوهان جوتبرج وحده نحو (1398-1460) فيما بعد -عندما أنشأ أوّل دار للطّباعة في أوروبا-تأثير أكبر من تأثير إيرازموس، وسكاليجر، وراموس، وسانكيتاس مجتمعين »[2]. والذين أنجزوا ما يعتبر الأسس الحديثة للقرن الثّامن عشر، الذي شهد تغيّرات فكريّة وعقليّة هائلة؛ وعليه فقد تجلّت دراسات هؤلاء العلماء من خلال رجوعهم بالبحث اللّغوي، إلى الحِقب البعيدة من التّاريخ، أمّا فيما يخصّ الجديد الذي أتى به هؤلاء العلماء الغربيّين في بحوثهم، فقد تمثّل في إتيانهم بأدلّة وبراهين مستقاة من علم الاجتماع.

---

[1] روي هاريس وتولبت جي تيلر، أعلام الفكر اللّغوي (التّقليد الغربي من سقراط إلى سوسير)، ص 19.

[2] المرجع نفسه، ص 20.

3- النّظريّات الحديثة:

لم يتوقّف البحث في أصل اللّغة ونشأتها، فظهرت في القرن التّاسع عشر للميلاد نظريّات جديدة، منها:

- **نظريّة 1**: **نظريّة الغريزة الكلاميّة**: رأى أصحاب هذه النّظريّة أنّ أصل اللّغة؛ راجع إلى غريزة خاصّة تحمل الإنسان على التّعبير عن الانفعالات، أو الأشياء بكلمة خاصّة. ومن أنصارها: العالِم الفرنسي (Renir Londras)، والعالِم الألماني "ميلر ماكس" (Miler Max).

- **نظريّة 2**: علماء آخرون يرون أنّ اللّغة بدأت بالشّهقات أو التّأهيلات، التي تصدر عن الإنسان في حالة الحزن أو الفرح أو الدّهشة، مسندين على نظريّة داروين، التي تقوم بالتّطوّر الكائنات الحيّة، بينما يرى المعروض أنّ هذه الأصوات تتمّ بصورة فجائيّة بعيدة عن الكلام.

- **نظريّة 3**: يُرجع بعضهم نشأة اللّغة إلى أنّها؛ كانت من خلال عمل جماعي في الأفراد، أثناء قيامهم بعمل شاقّ تعاونوا على أدائه، فهم يرون أنّ الإنسان يجد الرّاحة، أثناء قيامه بعمل شاقّ إذا تنفّس أو تنهّد من الأعماق.

- **نظريّة 4**: دَرْس أصحاب هذه النّظريّة، مختلفًا عن النّظريّات السّابقة؛ فدوّنوا الملاحظة والخبرات والتّجارب، وأقاموا نظريّتهم الجديدة، وقسّموها إلى ثلاثة أسس وهي كالآتي: دراسة مراحل النّموّ اللّغوي عند الطّفل، دراسة اللّغة في الأمم البدائيّة، دراسة تاريخيّة للتّطوّر اللّغوي([1]).

وفي الأخير نستنتج أنّ الدّراسات اللّغويّة الغربيّة القديمة؛ قد اختلفت نظرتهم في دراستهم للّغة،كلٌّ حسب منطلقه الخاص به؛ فكتاب "الفيدا" (Vida) مثلاً، كان السّبب الرّئيسي في اهتمام الهنود بلغتهم، خاصّة الجانب الصّوتي منها. أمّا كلٌّ من اليونان والرّومان فقد كان منطلقهم فلسفيًّا، والذي عالجوا فيه الشّعر والنّثر؛ إذ أنّهم درسوا العلاقة بين اللّغة والفكر؛ فبحثوا عن الحقيقة المعرفيّة والوجوديّة منها، كما كان لهم الإسهام في جانبيّ الدّلالة والبلاغة، أمّا الدّراسات اللّغويّة العربيّة القديمة، فقد كان السّبب فيها دينيًّا، وهو المحافظة على القرآن الكريم، واللّغة العربيّة من جميع جوانبها (الصّوتيّة، الصّرفيّة، النّحويّة، المعجميّة، والدّلاليّة).

([1]) عيواج صونيا، اللّغة، قراءة في المفهوم، النّشأة والتطوّر عبر العصور، مجلّة التميّز الفكري للعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، ع6، مؤسّسة جامعة باتنة 1، جويلية 2021م، ص 145.

المبحث الثّاني: اللّسانيّات موضوعها ومناهجها عند دي سوسير.

إنّ اهتمام الإنسان باللّغة ليس جديد العهد، وإنّما هو طويل الأمد يعود إلى عصور ما قبل الميلاد، وقد شغلت اللّسانيّات كثير من العلماء والمفكّرين والفلاسفة، حتّى أصبحت علم العصر، فهي تدرس اللّغة دراسة علميّة بعيدًا عن المعياريّة التي انتشرت في العصور السّابقة.

كانت الدّراسات اللّغويّة السّائدة في القرن التّاسع عشر للميلاد دراسات تاريخيّة، تدرس اللّغة من حيث تطوّرها وتغيّراتها، خلال التّاريخ أو خلال حقبة زمنيّة معيّنة، ولكنّ ذلك لا يعني أنّ القرن لم يشمل بعض التّطلّعات؛ لمعالجة اللّغة بطريقة تختلف اختلافًا جذريًّا، عمّا عهد خلال وقت طويل من عمر الدّراسات اللّغويّة؛ فقد تولّدت عن أقطابه اللّسانيّين على إدراكهم المبكّر لما سُمّي فيما بعد بالمنهج الوصفي[1]. الذي ظلّ استعماله في تلك الفترة استعمالًا بسيطًا، إلى أن جاء "دي سوسير"، بحيث يرجع الفضل له في إحداثها، من خلال أبحاثه القيّمة فيه مجال الدّراسات اللّغويّة، لذلك عدّه كثيرٌ من الباحثين مؤسّس علم اللّغة الحديث.

فقد عُني بدراسة اللّغة الهنديّة الأوروبيّة، وهو الذي قال:« إنّ اللّغة يجب أن تُعتبر ظاهرة اجتماعيّة ». ومن أشهر آثاره (بحث في الألسنيّة العامّة جمعه تلامذته باللّغة الفرنسيّة، نُشر عام 1916م بعد وفاته)، ويعدّ من أشهر علماء اللّغة في العصر الحديث، حيث اتّجه بتفكيره نحو دراسة اللّغة دراسة وصفيّة، باعتبار اللّغة ظاهرة اجتماعيّة بعدما أن كانت تُدرس دراسة تاريخيّة، ويرجع السّبب في هذا التّحوّل في دراسة اللّغة، إلى اكتشاف اللّغة السّنسكريتيّة، وإليه يرجع الفضل في تطوير العديد من نواحي اللّسانيّات في القرن العشرين للميلاد، وهو أوّل من اعتبر اللّسانيّات فرعًا من علم أشمل يدرس الإشارات الصّوتيّة سمّاه (Sémiologie)؛ وهو العلم الذي يُعرف اليوم بـ "السّيميوتيك" أو "علم العلامات"[2]. فالمبادئ التي أسّسها "دي سوسير" في دراسته للّغة، كانت بمثابة الأرضيّة الخصبة والمنطلق الأساسي، في ظهور مختلف المدارس الأوربيّة والأمريكيّة، والتي كان لكلٍّ منها ميزات خاصّة بها في الدّراسة.

---

[1] عبد الجليل مرتاض، التّحوّلات الجديدة للّسانيّات التّاريخيّة، دار هومة، الجزائر، 2001م، ص 138.

[2] أحمد مومن، اللّسانيّات النّشأة والتّطوّر، الناشر ديوان المطبوعات الجامعيّة، ط2، الجزائر، 2005م، ص 121.

1- اللّسانيّات عند دي سوسير:

إنّ اللّسانيّات علم يمتلك كلّ الخصوصيّات المعرفيّة، التي تميّزه لما سواه من العلوم الإنسانيّة الأخرى، من حيث المنهج والمفاهيم والمصطلحات، فهو علم يهتمّ باللّسان بوصفه ظاهرة بشريّة، ويسعى إلى الإحاطة بخصائصها العامّة وذلك بدراسة اللّغات المتنوّعة التي تستعمل في مختلف المجتمعات. وبأنّه دراسة اللّغة لذاتها ومن أجل ذاتها، فاللّغة التي يدرسها "دي سوسير" هي اللّغة الإنسانيّة على وجه العموم؛ إذ يدرسها كما هي؛ فليس للباحث فيها أن يُغيّر من طبيعتها، وبذلك فهو يبحث فيها عن غرض الدّراسة نفسها، ويُعنى بدراستها دراسة موضوعيّة تستهدف الكشف عن حقيقتها[1]. وقد قال "عبد العزيز حليلي"، في كتابه "اللّسانيّات العامّة واللّسانيّات العربيّة" عن اللّسانيّات:« اللّسانيات (La Linguistique) هي العلم الذي يدرس اللّغات الطّبيعيّة الإنسانيّة في ذاتها ولذاتها مكتوبة ومنطوقة كانت أم منطوقة فقط، مع إعطاء الأسبقيّة لهذه الأخيرة، لأنّها مادّة خام تساعد أكثر على التّحقّق من مدى فعّاليّة أدوات البحث اللّساني المعاصر، ولأنّها لم تنل بَعدُ ما تستحقّه من العناية والدّرس. ويهدف هذا العلم أساسًا إلى وصف وتفسير أبنية هذه اللّغات، واستخراج القواعد العامّة المشتركة بينها، والقواعد الخاصّة التي تضبط العلاقات بين العناصر المؤلّفة لكلّ لغةٍ على حدة »[2]. كما يؤكّد أيضًا أنّ: «اللّسانيّات الحديثة مختلفة تمام الاختلاف عن الأنحاء التّقليديّة التي لا تهتمّ إلّا باللّغات المكتوبة، ويغلب عليها الطّابع المعياري، وتتميّز بتجزيئ وتفتيت القضايا اللّغويّة، وبحث الأجزاء بمعزل عن النّظام العامّ، ودون أخذه بعين الاعتبار؛ لانعدام الوعي الكامل بهذا النّظام عند النّحاة القدامى، والتّقليديّين غربيّين كانوا أم شرقيّين. فالنّحاة الهنود مثل "بانيني" (Panini)، واليونان مثل "دوني دوطسراس" (Dethrace)، واللّاتينيّون وكذا العرب وغيرهم. كان همّهم الأوّل هو وصف اللّغة، واستخراج قواعدها خدمة للنّصوص المقدّسة. (تفسير هذه النّصوص والحفاظ على لغاتها من اللّحن والدّخيل(...)، من أجل تعليم هذه اللّغات »[3].

---

[1] أحمد حساني، مباحث في اللّسانيّات، ص 23.

[2] عبد العزيز حليلي، اللّسانيّات العامّة واللّسانيّات العربيّة (تعاريف، أصوات)، منشورات دراسة-سال، ط1، الدّار البيضاء، 1991م، ص 11.

[3] المرجع نفسه، ص 12.

إذًا فاللّسانيّات تدرس اللّغة بعيدًا عن الذّاتيّة، فهي علم يدرس اللّغة الإنسانيّة دراسة علميّة تقوم على الوصف ومعاينة الواقع، بعيدًا عن النّزاعات التّعليميّة والأحكام المعياريّة. ومن أهمّ الخصائص التي تتميّز بها اللّسانيّات هي:

اهتمامها باللّغة المنطوقة قبل المكتوبة، كما أنّها تدرس اللّهجات وتسعى إلى إيجاد نظريّة لسانيّة شاملة يمكن من خلالها وصف جميع لغات العالم ودراستها[1]. تقول ذهبية "حمّو الحاجّ" في هذا الصّدد:« كانت هذه النّقطة المنطلق الذي أخذت به اللّسانيّات الحديثة، عندما ركّزت على دراسة اللّغة المنطوقة عوض اللّغة المكتوبة، والبحث عن العامّ بدل الخاصّ، في الدّراسة اللّسانيّة مناقضة الاتّجاه، الذي يدرس اللّغة في تاريخها المستمرّ »[2].

فاللّسانيّات إذًا هي الدّراسة العلميّة الموضوعيّة للّسان البشري؛ أي لجميع اللّغات البشريّة من خلال الألسن الخاصّة، بكلّ قومٍ من الأقوام، وشعبٍ من الشّعوب، وهذه الدّراسة العلميّة تشتمل على:

الأصوات اللّغويّة، والتّراكيب النّحويّة، والدّلالات والمعاني اللّغويّة، وعلاقة اللّغات البشريّة بالعالم الفيزيائي الذي يحيط بالإنسان؛ فهي علم يهتمّ بدراسة اللّغات الإنسانيّة دراسة علميّة؛ تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدًا عن النّزعة التّعليميّة والأحكام المعياريّة.

2- مناهج اللّسانيّات عند دي سوسير:

2-1- المنهج الوصفي (The Descriptive Method):

ظهرت في أوروبا بوادر المنهج الوصفي الذي أرسى أساسه "دي سوسير"؛ ويعود إليه الفضل في بيان هذا المنهج وإظهار منافعه في الدّرس اللّغوي؛ فهو يُعنى بوصف اللّغة من حيث هي تنظيمٌ قائمٌ بذاته. يقول "دي سوسير" في هذا الصّدد:« إنّ موضوع الدّراسة اللّغويّة الوحيد والحقيقي، هو اللّغة التي يُنظر إليها كواقع قائم بذاته، ويبحث فيها لذاتها »[3]، (...) وابتعد بذلك عن النّظر في اللّغات من وجهة النّظر التّأريخيّة أو المقارِنة، مؤكّدًا وصف اللّغة

---

[1] أحمد محمد قدّور، مبادئ اللّسانيّات، دار الفكر، ط3، دمشق، 2008م، ص 16.

[2] ذهبية حمّو الحاجّ، لسانيّات التلفّظ وتداوليّة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط2، جامعة مولود معمري-تيزي وزّو، 2005م، ص 48.

[3] ميشال زكرياء، الألسنيّة (علم اللّغة الحديث)، المبادئ والأعلام، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، 1983م، ص 144.

في فترة زمنيّة محدّدة لنصل من هذا الوصف« إلى القواعد أو القوانين العامّة التي تحكمها، أو نتوصّل على الأقلّ إلى معرفة البنية أو التّركيب الهيكلي لها »[1]. لذلك يُشار دائمًا إلى المنهج الوصفي في علم اللّغة بأنّه «علم ساكن (Static)، ففيه توصف اللّغة بوجهٍ عامّ على الصّورة التي توجد عليها في نقطة زمنيّة معيّنة، ليس ضروريًّا أن تكون في الزّمن الحاضر »[2]. وللمنهج الوصفي أُسس عامّة، تتوزّعها أفكار تنظيميّة للمنهج، وقواعد علميّة في التّحليل؛ أي أنّ المنهج الوصفي يقوم على تفسير اللّغة كما هي لا كما يجب أن تكون.

يقول "عبده الرّاجحي" مُؤكّدًا أنّ:« المنهج الوصفي أهمّ المناهج اللّغويّة الحديثة، وهو المنهج السّائد الآن في الدّراسات اللّغويّة في أوروبا وأمريكا، وهو منهج يحاول أن يلخّص العلوم اللّغويّة من وِجهة تاريخيّة من جهة، والوجهة المعياريّة من جهةٍ أخرى، ويهتمّ هذا المنهج بوصف النّصوص اللّغويّة وصفًا واقعيًّا، دون تدخّل من الباحث بفرض اجتهادات من ذاته، أو فرض قوالب معياريّة موضوعيّة سلفًا، من خلال ملاحظات سابقة لا تصدّق على ما هو أمام الباحث »[3].

وقد تحدّثت "ذهبية الحاجّ" عن هذه الفكرة قائِلةً:« نظر "سوسور" إلى اللّغة نظرةً وصفيّةً، تقوم على أساس الملاحظة المباشرة للظّواهر اللّغويّة المدروسة، في فترة محدّدة في مكانٍ محدّدٍ، ممّا أعطى دفعًا قويًّا للدّراسة الوصفيّة، على غرار الدّراسة التّاريخيّة السّائدة ولمدّة طويلة. فلقد أصبح من الضّروري لأيّة دراسة تاريخيّة أن تتطلّب سلفاً، ولحدٍ ما دراسة وصفيّة، ولكن هذا لا يعني اتّخاذ المنهجين في الآن نفسه، إذ أنّ تعدّد العلامات يجعل من المستبعد تمامًا دراسة العلاقات عبر الزّمن، والعلاقات في إطار النّظام نفسه، أي في نطاق النّظريّة التّاريخيّة والوصفيّة معًا »[4].

فهو إذًا يعتبر أهمّ قسم في الدّراسات اللّغويّة، لأنّها تختصّ بدراسة اللّغة وتحليل وظيفتها، وعلى اللّغوي أن يعتمد على المنهج الوصفي في دراسة اللّغة، أمّا نظام هذه اللّغة فهو معياري.

---

[1] نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللّغويّة المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة –المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م، ص 106.

[2] ماريو باي، أسس علم اللّغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1973م، ص 137.

[3] عبده الرّاجحي، النّحو العربي والدّرس الحديث (بحث في المنهج)، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص 32.

[4] ذهبية حمّو الحاجّ، لسانيّات التلفّظ وتداوليّة الخطاب، ص 51-52.

2-2- المنهج المعياري (The Prescriptive Method):

المنهج المعياري بخلاف المنهج الوصفي، قائم على فرض القاعدة؛ أيّ بمعنى أنّه يبدأ بالكلّيّات وينتهي إلى الجزئيّات، حيث« عرفت المعياريّة في الدّراسات اللّغويّة الأوروبيّة، واستخدم لها عبارة اللّغة المعياريّة (Standard Language)، أو عبارة المعياري (Prescriptive)، حينما توصف اللّغة، أو النّحو، أو القواعد عامّةً »[1].

يقول "علي زوين" في هذا الصّدد:« إنّ اللّغة المعياريّة هي ذلك المستوى الكلامي الذي له صفة رسميّة، والذي يستعمله المتعلّمون تعليمًا راقيًا، وغالبًا ما تكون اللّغة المعياريّة في أوّل الأمر؛ لهجة محلّيّة تنال شيئًا من التّمجيد أو التّقدير، ويعترف بها كلغة رسميّة لسببٍ من الأسباب(...) فالمعياريّة بهذا المفهوم هي اللّهجة المفضّلة التي تتّخذ مقياسًا للبلاغة والفصاحة »[2]. أي أنّ المنهج المعياري يقوم في اختياره على أساس أنّ هذا أفضل من هذا.

3- الثّنائيّات السّوسيريّة:

إنّ التّغيّرات التي أحدثها "دي سوسير" في مجال الدّراسة اللّسانيّة، تظهر بشكلٍ واضحٍ في الثّنائيّات التي تشكّل أساس المنهج الوصفي، الذي كان يسعى إلى تطبيقه، وقد شكّلت محاور نظريّته اللّسانيّة، والتي جعلها محور اهتمام عالِم اللّغة، إذ عليه البحث عنها ومعرفة حقيقتها، والكشف عن العلاقات التي تحدّد طبيعتها وتركيبها؛ ثمّ تفسيرها للوصول إلى دراسة علميّة للّغة، في ذاتها ولذاتها.

3-1- اللّغة والكلام:

توصّل "دي سوسير" إلى استخلاص هذه الثّنائيّة، انطلاقًا من محاولته للإجابة عن هذا السّؤال: ما موضوع البحث اللّغوي؟ إذ فرّق بين ثلاثة مصطلحات أساسيّة، قام عليها الدّرس اللّساني الحديث ألا وهي: اللّسان، اللّغة، والكلام « ويعدّ هذا التّحديد إنجازًا جديدًا، وعِملاقًا في البحث اللّساني الحديث »[3]. فاللّغة تشمل القواعد والأعراف المجرّدة والمنهجيّة لنظام الدّلالة، والتي بدونها لن يكون هناك أيّ معنى للكلمة "الكلام"، ممكن.

---

[1] علي زوين، منهج البحث اللّغوي بين التّراث وعلم اللّغة الحديث، دار الشّؤون الثقافية العامّة، ط1، بغداد، 1986م، ص 24.

[2] المرجع نفسه، ص 23-24.

[3] أحمد عزّوز، المدارس اللّسانيّة أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التّواصلي، دار الأديب للنّشر والتّوزيع، وهران، 2005م، ص97.

3-2- اللّسان (Langue):

يقول "دي سوسير" مُجيبًا على السؤال: ما هو اللّسان؟ فيما يخصّنا؟ فإننا نفرّق بين اللّسان (la langue)، وبين اللّغة (Le Language)، فليس اللّسان إلّا جزءًا محدودًا من اللّغة، وهو الجزء الأساسي لا شكّ فيه، وبهذا الاعتبار يكون اللّسان في الوقت نفسه إنتاجًا مجتمعًا حادث عن ملكة اللّغة[1].

ويقول "أحمد حساني" في تعريفه للّسان أنّه:« هو ذلك النّظام التّواصلي الذي يمتلكه كلّ فردٍ متكلّمٍ مستمعٍ مثاليٍّ، ينتمي إلى مجتمع لغوي له خصوصيّات ثقافيّة، وحضاريّة معيّنة »[2]. فهو عبارة عن لغة معيّنة كاللّسان العربي مثلًا، إذ يمتلكه كلّ فردٍ ينتمي إلى المجتمع العربي بقِيَمِه الثّقافيّة والحضاريّة.

وبهذا المعنى فاللّسان:« جزء معيّن متحقّق من اللّغة بمعناها الإنساني الواسع، وهو اجتماعي وعُرفي ومكتسب، ويُشكِّل نظامًا متعارفًا عليه داخل جماعة إنسانيّة محدّدة »[3]. فيكون بهذا واقعة اجتماعيّة تجمع اللّغة والعادات اللّغويّة، أو ما يُعرف بالكلام والتي يمارسها أفراد المجتمع.

3-3- اللّغة (Language):

اللّغة عند "دي سوسير" هي«كنز مُودع عن طريق ممارسة اللّفظ؛ لدى جماعة من الأشخاص المنتمين إلى مجموعة واحدة، وهو نظام نحوي يوجد بالقوّة في كلّ دماغ، أو على نحوٍ أدقّ في أدمغة مجموعة من الأفراد، وذلك لأنّ اللّغة ليست تامّة في دماغ واحد منها بمفرده، ولا يوجد لها على وجه الأكمل إلّا عند الجمهور »[4]. وهذا ما يدلّ على أنّ اللّغة ظاهرة، أو مؤسّسة اجتماعيّة خارجة عن وعي الفرد، تتكوّن من وحدات وقواعد تتناسق في نظام، وتخصّ مجموعة من المتكلّمين.

---

[1] عاطف مدكور، علم اللّغة بين التّراث والمعاصرة، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1987م، ص 29.

[2] أحمد حساني، مباحث في اللّسانيّات، ص 37.

[3] أحمد محمد قدّور، مبادئ اللّسانيّات، ص 18.

[4] فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنيّة العامّة، تحقيق: صالح قرمادي وآخرون، الدّار العربيّة للكتاب، طرابلس-ليبيا، 1985م، ص 34.

واللّغة بوصفها ظاهرة إنسانيّة اجتماعيّة ترتبط بالمتكلّمين، فلا بُدّ من دراسة علاقتها بالجانب النّفسي للإنسان، ذلك أنّها« نظام أو مجموعة من القواعد والمعايير المستقرّة، بصورة تحديديّة في ذهن الجماعة، أو في المعاجم وكتب اللّغة والنّحو »[1]. وبهذا فاللّغة هي النّسق المشترك بين مجموع المتكلمين؛ والذي يستخدمونه لا شعوريًّا في عمليّة التّواصل.

3-4- الكلام (Parole):

هو كلّ ما يلفّظه أفراد المجتمع المعيّن؛ أي ما يختارونه من مفردات وتراكيب ناتجة عمّا تقوم به أعضاء النّطق، بالاعتماد على المعرفة المشتركة لدى الجماعة اللّغويّة المعيّنة. وعلى حدّ تعبير "جورج مونان" (Georges Mounin) للكلام يعني:«تلك الحادثة الفرديّة وذلك الإنجاز الذي يتغيّر؛ لدى كلّ متحدّث دون تجاوز لحدود الفهم المتبادل»[2].

فهو إذًا استعمال فردي للوضع اللّغوي، والأداء الشّخصي لذلك الوضع (المتعارف عليه) من قِبَل المتحدّثين، فيُشترط في الكلام وجود متكلّم ومستمع يمتاز بالتّنوّع، وتتحكّم فيه إرادة وقصديّة أو لا شعوريّة الشّخص، علمًا أنّ تلك التنوّعات والتّجلّيات هي التي تمنح اللّغة (La Langue) طابعها الملموس، أي الجانب الفعلي للّغة. بمعنى أنّه حين نسمع إنسانًا يتكلّم، نعرف ما اللّغة التي يتحدث، ومع ذلك له أسلوبه الخاصّ، ولكن يفهمه الآخرون في نفس اللّغة.

4- موضوع اللّسانيّات عند دي سوسير:

لقد تساءل "دي سوسير" في كتابه "الألسنيّة العامّة" عن موضوع اللّسانيّات، وهذا في إطار ضبطه المنهجي للدّراسة العلميّة للّغة؛ ليصل بعد بحث وتحليل إلى تحديد موضوع هذا العلم، قائلاً:« إن موضوع الألسنيّة الحقيقي والوحيد، إنّما هو اللّغة في ذاتها ولذاتها »[3]. وهذا يعني أنّه يحدّد موضوع اللّسانيّات بدراسة اللّغة كنظام نحوي موجود بالقوّة في كلّ دماغ، بالإضافة إلى الكلام كأداء فعلي لهذا النّظام، وبهذا توصّل "دي سوسير" إلى وضع ثنائيّة قَابَل فيها بين اللّغة والكلام، واعتبر« اللّغة موضوعًا كلّيًّا للّسانيّات، ينطلق منه منهج الدّراسة من الوهلة الأولى،

---

[1] كريم زكي حسام الدّين، أصول تراثيّة في علم اللّغة، مكتبة الأنجلو مصريّة، ط2، القاهرة-مصر، 1985م، ص 55.

[2] جورج مونان، علم اللّغة في القرن العشرين، تر: بدر الدّين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1392هـ-1972م، ص 50.

[3] فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنيّة العامّة، ص 347.

ويتّخذه معيارًا للظّواهر اللّغويّة جميعها، وأَبعَد الكلام من جوهر الدّرس اللّساني، واعتبره تابعًا للّغة ليس غاية لعلم اللّسان في ذاته، لكنّه ظلّ يعتقد أنّ دراسة ظواهره ضروريّة؛ لدراسة اللّغة بوصفه أداة هذه الدّراسة، ووسيلتها التي تحقّق بها شروط المنهج العلمي »[1]. ويبدو أنّ "دي سوسير" قد حصر موضوع هذا العلم في دراسة اللّغة، أمّا دراسة الكلام بظواهره الفيزيولوجيّة، والصّوتيّة، والنّفسيّة، والاجتماعيّة، والجغرافيّة، فهي وإن كانت ضروريّة عبارة عن وسيلة مساعدة لدراسة اللّغة ولاحقة بها.

لقد تميّز "دي سوسير" كعالِم لغوي عن سابقيه من علماء اللّغة؛ بنظريّته الجديدة للّغة كعلمٍ قائمٍ بذاته، إذ حرص على وضع منهج علمي، ومفاهيم أساسيّة مميّزة لهذا الحقل من الدّراسة. فلقد حدّد موضوعه بدقّة، ومهمّة العالِم المشتغل به وعلاقة هذا العلم بالعلوم الأخرى التي تشترك معه في دراسة بعض الظّواهر الإنسانيّة. بدأ بتّأسيس وإرساء الدّعائم المنهجيّة، التي قام عليها فيما بعد علم اللّغة الحديث، فافترض "دي سوسير"« في المنطلق استبعاد الأشياء الخارجيّة عن بنيتها أو نظامها (اللّغة)؛ أي ما يُدعى بعلم اللّغة الخارجي أو خارج اللّغة. إذ ما هو داخل غير ما هو خارج عنها »[2]. يُفهم من هذا أنّ "دي سوسير" يفصل بين العناصر الدّاخلية للّغة، وبين العوامل الخارجيّة، أمّا ما يسميّه اللّسانيّات الخارجيّة، وهي كلّ ما هو خارج عن بنية اللّغة وقواعدها، غير أنّه لا يُنكر تأثير هذه العوامل على اللّغة كالاستعمار مثلاً.

المبحث الثّالث: اللّسانيّات بعد دي سوسير، موضوعها ومناهجها.

شهِد العالم منذ مطلع القرن العشرين للميلاد، نشاطًا فكريًّا في مختلف ميادينه العلميّة والإنسانيّة، وقد كان للعلوم الإنسانيّة نصيبٌ كبيرٌ من ذلك النّشاط، ففي هذا القرن سطع فيه مجد اللّسانيّات، مع "فرديناند دي سوير" المؤسِّس الفعلي لهذا العلم، بفضل محاضراته التي لم يعِش ليشهد نشرها واشتهارها، وإقبال العلماء عليها وأثرها على الفِكر اللّساني.

لقد أضحى هذا العلم ضربًا جديدًا وعلمًا حديثًا؛ يشقّ طريقه بين زحمة العلوم الإنسانيّة؛ حتّى كاد أن يكون طليعتها، وما ذاك إلّا أنّ موضوعه اللّغة؛ وهي ظاهرة فكريّة تّتصل بالبشر اتّصالًا وثيقًا، وترتبط بحياة الفرد

---

[1] الطيّب دبة، مبادئ اللّسانيّات البنويّة (دراسة تحليليّة إبستمولوجيّة)، دار القصبة للنّشر، ط1، الجزائر، 2001م، ص 30.

[2] ذهبية حمّو الحاج، لسانيّات التلفّظ وتداوليّة الخطاب، ص 43.

والجماعة ارتباطًا إلزاميًّا؛ فعجّل ذلك من ظهور الأبحاث اللّغويّة على اختلاف درجاتها وصفاتها، وعلى مختلف المراحل الزّمنيّة التي تُساير حياة النّاس، حيث تكوّنت فيما بعد تيّارات فكريّة لغويّة، أفضت مناهج بحث تحلّت من خلالها منابع اللّغة، خاصّةً ما ظهر في الأبحاث اللّغويّة الأوروبيّة، من أعمال امتدّ أثرها إلى شتّى أنحاء العالم، بدءًا بالدّراسات اللّغويّة التّاريخيّة، وظهور المنهج التّاريخي وأتبعه المنهج المقارِن، والدّراسات المقارِنة لتليها لاحقًا الدّراسات الوصفيّة والمنهج الوصفي، ثمّ برز المنهج البنيوي والدّراسات البنيويّة، التي تزامنت مع ظهور العالِم السّويسري "فردينان دي سوسير" (1857م-1913م)، فقد اتّسم الدّرس اللّساني الغربي، بعدّة مميّزات اختلفت باختلاف المراحل الزّمنيّة، وتنوّعت بتنوّع الأعمال اللّغويّة[1].

1- موضوع اللّسانيّات بعد دي سوسير:

حدّد "دي سوسير" موضوع اللّسانيّات في قوله:« إنّ موضوع علم اللّغة الوحيد والحقيقي هو اللّغة التي يُنظر إليها كواقع قائم بذاته، ويبحث فيها لذاتها »[2].كما تُعرّف اللّسانيّات حسب ما ورد في كتاب الباحث "بن زرّوق نصر الدين"، في كتابه "محاضرات في اللّسانيّات العامّة"، بأنّها« الدّراسة العلميّة الموضوعيّة للّسان البشري، من خلال الألسنة الخاصّة بكلّ قوم »[3].

يتجلّى لنا من خلال هذا التّعريف، أنّ اللّسانيّات تتميّز بصفتين أساسيتين هما: العلميّة والموضوعيّة. فما المقصود بهما؟

أ- العلميّة: نسبةً إلى العلم، وهو بوجهٍ عامّ إدراك الشّيء كما هو عليه في الواقع، وبوجهٍ خاصّ هو اتّباع الطُّرق، والوسائل العلميّة أثناء الدّراسة والبحث. (كالملاحظة والاستقراء والوصف والتّجربة...إلخ).

---

[1] سعاد لعريبي، جهود عبد السلام المسدّي اللّسانيّة -دراسة في المنهج والتّأصيل- (أطروحة دكتوراه في اللّسانيّات)، قسم اللّغة والأدب العربي، كلّيّة اللّغة والأدب العربي والفنون، جامعة الحاجّ لخضر-باتنة 1-الجزائر، 2019م/2020م، ص 21.

[2] دي سوسير، في الألسنيّة العامّة، تر: صالح القرمادي وآخرون، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 1985م، ص 24.

[3] بن زرّوق نصر الدّين، محاضرات في اللّسانيّات العامّة، مؤسّسة كنوز الحكمة للنّشر والتّوزيع، ط1، الجزائر، 2011م، ص 6.

ب- الموضوعيّة: وهي كلمة مشتقّة من الموضوع، ويُقصد بها كلّ ما يوجد في العالم الخارجي في مقابل العالم الدّاخلي، أو هي بتعبيرٍ آخر التجرّد من الأهواء والميولات الشّخصيّة أثناء الدّراسة والبحث[1].

وقد جاء في معجم اللّسانيّات لـ "جون دي بوا" (Jean Dubois)، أنّ اللّسانيّات هي« العلم الذي يدرس اللّغة الإنسانيّة دراسة علميّة تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع، بعيدًا عن النّزعة التّعليميّة والأحكام المعياريّة»[2]، وكلمة (علم) الواردة في هذا التّعريف، لها ضرورة قصوى لتمييز هذه الدّراسة من غيرها، لأنّ أوّل ما يُطلب في الدّراسة العلميّة، هو إتّباع طريقة منهجيّة والانطلاق من أسس موضوعيّة يمكن التّحقّق من إثباتِها. والعلم (Science) هو الذي يهتمّ بدراسة طائفة معيّنة من الظّواهر؛ لبيان حقيقتها وعناصرها، وتطوّرها ووظائفها، والعلاقات التي تربط بعضها ببعض، والتي تربطها بغيرها، وكشف القوانين الخاضعة لها في مختلف نواحيها[3].

2- مناهج اللّسانيّات بعد دي سوسير:

تعتمد اللّسانيّات في دراستها للّغة على ثلاثة معايير علميّة هي:

أ- الشّموليّة: ومعناها دراسة كلّ ما يتعلّق بالظّاهرة اللّسانيّة دونما نقص أو تقصير؛ أي معالجة كلّ المواد المعروضة للدّراسة على نحوٍ شمولي.

ب- الانسجام: ويُقصد به عدم وجود أيّ تناقض، أو تنافر بين الأجزاء في الدّراسة الكلّيّة.

ج- الاقتصاد: ويُراد به دراسة الظّواهر اللّغويّة بأسلوبٍ موجزٍ، ومركّز مع التّحليل الدّقيق، الميداني[4]. ويتمثّل في تحليل الظّواهر المتشابهة أو المتساوية، وردّها إلى أقلّ عددٍ ممكنٍ من القوانين العامّة[5].

---

(1) بن زرّوق نصر الدّين، محاضرات في اللّسانيّات العامّة، ص 8.

(2) جون دي بوا، معجم اللّسانيّات، نقلًا عن مبادئ اللّسانيّات للدّكتور أحمد محمد قدّور، دار الفِكر، دمشق، 1999م، ص 11.

(3) ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، مكتبة النّهضة للنّشر والطّباعة والتّوزيع، ط4، مصر، 1977م، ص 25.

(4) بن زرّوق نصر الدّين، محاضرات في اللّسانيّات العامّة، ص 8.

(5) مصطفى غلفان، اللّسانيّات البنيويّة منهجيّات واتّجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2013م، ص19-20.

وممّا يلي عرض لأهمّ مناهج البحث اللّساني، التي تمثّلت في المنهج التّاريخي والمقارِن، ومنهج إعادة التّركيب الدّاخلي والمنهج الفيلولوجي، وأخيرًا المنهج الوصفي.

2-1- المنهج التّاريخي (The Historical Method):

يُعنى المنهج التّاريخي في دراسة اللّغات بالتّغيير الدّلالي للّغة، ومراحل تطوّر لغة واحدة أو مجموعة من اللّغات عبر مسيرتها، ومظاهر هذا التّطور وأسبابه ونتائجه[1]. فاللّسانيّات التّاريخيّة هي دراسة الظّاهرة اللّغويّة عبر المراحل الزّمنيّة المختلفة، مع تبيان أسباب التّغيّرات التي تطرأ عليها وذلك[2] إمّا داخل لغة معيّنة بواسطة الأفراد، وإمّا خارج اللغة، وذلك عن طريق الاحتكاك بلغات أخرى. وما يهدف إليه علم اللّغة التّاريخي بمنهجه الفاعلي المستمرّ، هو الكشف عن الاتّجاهات المختلفة للتّغيير اللّغوي، وأنظمتها من خلال الوصول إلى العوامل التّاريخيّة التي ساعدت على التّغيير[3].

إذ اعتمد هذا المنهج تحديدًا على اللّغة المكتوبة دون المنطوقة، حيث أنّ هذه الأخيرة لا تمثّل الوقائع اللّغويّة الملموسة، وقد ارتكز المنهج التّاريخي على دراسة«(...) المخطوطات والنّقوش المحفوظة على الأحجار، وأوراق البردي، وألواح الطّين »[4]. أمّا عن نشأة هذا المنهج، فقد ساد في الدّراسات اللّغوية الأوروبيّة خلال القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر قبل الميلاد، أمّا قبل ذلك فلقد درس اللّغويّون الأوروبيّون النّصوص لغاية فهم ثقافة الأدب، أي أنّهم لم يدرسوا اللّغة من أجل ذاتها.

ولقد أشار الدّارسون إلى أن بشائر هذا المنهج كانت عام 1870م؛ أيّ بظهور علم اللّغة التّاريخي (Diachronique Linguistique)، فيما يرجع باحثون آخرون السبق لـ "جريم" (Grimm) (1785م-1863م)، الذي عدّ المؤسّس الأوّل لعلم اللّغة التّاريخي، بما قدّمه من أفكارٍ مثمرةٍ في هذا المجال.

---

[1] علي زوين، منهج البحث اللّغوي بين التّراث وعلم اللّغة الحديث، ص 36-37.

[2] بن زرّوق نصر الدّين، محاضرات في اللّسانيّات العامّة، ص 8-9.

[3] علي زوين، منهج البحث اللّغوي بين التّراث وعلم اللّغة الحديث، ص 37.

[4] عبد القادر عبد الجليل، علم اللّسانيّات الحديثة، دار الصّفا، ط1، عمّان-الأردن، 2002م، ص127.

2-2- المنهج المقارِن (The Comparative Method):

إنّ الأساس الذي يقوم عليه المنهج المقارِن هو:« الموازنة بين الظّواهر اللّغويّة في طائفة من اللّغات، لاستنباط خواصها المشتركة، للوقوف على وجوه الاتّفاق والخلاف في عواملها ونتائجها، وللوصول من وراء هذا كلّه إلى كشف القوانين العامّة الخاضعة لها في مختلف مظاهرها »[1].

يجمع الباحثون على أنّ المنهج المقارِن هو الطّريقة النّاجعة، التي تمكّن من الكشف عن القرابة بين اللّغات، ومعرفة نسبها الجنيني بصورة دقيقة للغاية. وعلى الرّغم من أنّ هذا المنهج قد استُخدم، منذ أواخر القرن الثّامن عشر حتّى أوائل القرن التّاسع عشر للميلاد، فإنّه لم يكتمل نموّه ولم يبلغ ذروته؛ إلّا في المرحلة الكلاسيكيّة للّسانيات التّاريخيّة، ويعنى هذا بانتقاء الوحدات اللّغويّة القديمة، ومقارنتها بما يقابلها في اللّغات التي يُراد معرفة قرابتها ودرجة الصّلة بينها، واستخراج الصّيغ الأكثر قدمًا، بعدّها أصلًا مشتركًا لبقيّة الوحدات من جهةٍ أخرى.

2-3- منهج إعادة التّركيب الدّاخلي (The Method of Internal Reconstruction):

إنّ هذا المنهج حسب "أحمد مومن" يهدف إلى« إعادة البناء دون اللّجوء إلى المقارنة، إذ أنّه يستعمل عندما تتعذّر المقارنة بسبب انعدام اللّغات المدوّنة، ويركّز على العناصِر المختلفة داخل اللّغة الواحِدة، ويرمي إلى تمييز العناصر اللّغويّة العتيقة، أو المهجورة من العناصر اللّغويّة الجديد »[2]، وفي هذا تأكيد على أنّ هذا المنهج يرمي إلى تحديد الاختلافات الدّاخليّة للغة من اللّغات، بُغية تمييز العناصر القديمة من الحديثة. إنّه يعيد بناء اللّغات بعيدًا عن المقارنة، لأنّها غير مدوّنة. وهو حسب "ميلوسكي" (Milewski)، يتّخذ ثلاثة أشكال[3]:

- يستخلص الاستنتاجات على أساس التغيّرات الفيلولوجيّة.

---

[1] غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، ط2، دمشق-سوريا، 2000م، ص 120-121.

[2] ينظر: أحمد مومن، اللّسانيّات النّشأة والتّطور، ص 72-73.

[3] المرجع نفسه، ص 73.

– أنّه في حالة كون صيغتان تمتلكان نفس الدّلالة على سبيل المثال؛ أحدهما مطابقة للنّظام المورفولوجي العامّ وأخرى استثنائية؛ يُنظر إلى الصّيغة الاستثنائيّة منها على أنّها الأقدم، لأنّها تنتمي إلى نظام لغوي قديم، وهو ما أطلق عليه "ميلوسكي" منهج الاستثنائيّة.

– وفي شكله الثّالث يتناول الصّيغ السّائرة عن طريق الانقراض، ويعتبرها الأقدم إذا وجدت صحبة أخرى في طريق التطوّر. وفي هذه النّقطة قدّم لنا مثالًا مؤداه (Thou) و(You)، أوّلهما سائرة في طريق الانقراض، والأخرى في طريق الحيويّة، ومنه الصّيغة الأولى (Thou) هي الأقدم. فهذا المنهج يهدف إلى التّمييز بين مكوّنات اللّغة الأصليّة، والمكوّنات اللّغويّة الحديثة عن طريق إعادة البناء الدّاخلي.

2-4- المنهج الفيلولوجي (The Philological Method):

يعمل هذا المنهج على مقارنة النّصوص المكتوبة داخل لغة من اللّغات، وذلك عبر مراحل زمنيّة مختلفة، فهو يهدف إلى« مقارنة النّصوص المكتوبة داخل اللّغة الواحدة، عبر مراحلها التّاريخيّة المختلفة »[1]. وفي هذا المنهج يعمل اللّساني على مقارنة العناصر اللّغويّة، التي تقوم بنفس الوظيفة اللّغوية في جميع مراحل هذه اللّغة (قديمة، متوسطة، حديثة)، ويسجّل بدقّة كلّ التّغيّرات الواضحة بطريقة تدريجيّة.

وخلاصة القول، إنّ الدّراسات التّاريخيّة قد تأثّرت ببعض النّظريّات العلميّة كنظريّة داروين، كما أنّها استندت على مناهج معيّنة في الدّراسات اللّغويّة؛ كالمنهج المقارِن، ومنهج التّركيب الدّاخلي، والمنهج الفيلولوجي.

2-5- المنهج الوصفي (The Descriptive Method):

ظهرت بوادر المنهج الوصفي في أوروبا الذي أرسى أسسه ودعائمه "دي سوسير"، ويعود إليه الفضل في بيان هذا المنهج وإظهار منافعه في الدّرس اللّغوي، فهو يُعنى بوصف اللّغة من حيث هي تنظيم قائم بذاته، يقول "دي سوسير" في هذا الصّدد:« إنّ موضوع الدّراسة اللّغويّة الوحيد والحقيقي هو اللّغة، التي يُنظر إليها كواقع قائم

[1] أحمد مومن، اللّسانيّات النّشأة والتّطور، ص 74.

بذاته ويبحث فيها لذاتها »[1]؛ فالمنهج الوصفي« يُعنى بدراسة الاستعمال اللّغوي في زمان بعينه ومكان بعينه »[2]. ويقف عند الخصائص الآتية:

– تقوم الدّراسة الوصفيّة بتحليل وتفسير الخصائص الماديّة لكلّ لغة، كما هي مستعملة في الواقع ضمن إطار زمني ومكاني محدّد، ولقد أعلن ثورته على الخطّ التّقليدي في دراسة اللّغة، وهو الخطّ التّاريخي، ورأى أنّ أفضل منهج لدراسة اللّغة هو أن تحاول وصفها في حقبة زمنيّة محدّدة« وأن نصل من هذا الوصف إلى القواعد والقوانين العامّة، التي نحكمها أو نتوصّل على الأقلّ إلى معرفة البنية أو التّركيب الهيكلي لها »[3].

– تأثّرت المدرسة الوصفيّة بالجانب السّلوكي، خاصّة بنظريّة واطسون (Watson) في علم النّفس، وتجلّى ذلك مع العالِم اللّغوي الكبير "ليونارد بلومفيلد" (Leonard Bloomfield)، (1887م-1999م) باعتباره رائدًا للمنهج الوصفي، الذي اعتمد طريقة خاصّة في دراسة اللّغة سمّيت بالمنهج الآلي.

– يعتقد الوصفيّون بعدم وجود نظريّة لغويّة ثابتة، فالنّظريّة الصّحيحة عند الوصفيّين، تكمن في عدم وجود نظريّة للّغة[4].

وفي الأخير نستنتج أنّ المناهج الغربيّة اعتبرت منبعًا قويًّا، ومحرّكًا للّدرس اللّغوي الحديث، فاللّسانيّات بعد "دي سوسير"، تطوّرت لتشمل مواضيع متنوّعة، مثل علم الأصوات، وعلم الصّرف، وعلم النّحو، وكذا علم الدّلالة. حيث يركّز منهج الدّراسة اللّسانيّة على البحث والتّحليل للّغات المختلفة، استخدام الطّرق العلميّة، والتّقنيّات الحديثة لفهم الظّواهر اللّغويّة بشكلٍ أفضل.

---

[1] علي زوين، منهج البحث اللّغوي بين التّراث وعلم اللّغة الحديث، ص 10.

[2] ينظر: محمد حسين آل ياسين، الدّراسات اللّغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثّالث، دار مكتبة الحياة، ط1، بيروت-لبنان، 1980م، ص 374-375.

[3] ينظر: نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللّغويّة المعاصرة، ص 106.

[4] ينظر: جفري سامسون، مدارس اللّسانيّات -التّسابق والتّطوّر-، تر: محمد زياد كبّة، النّشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1997م، ص 77.

الفصل الثّاني:

اللّسانيّات في الدّراسات العربيّة الحديثة.

المبحث الأوّل: بدايات الدّرس اللّساني العربي.

1- الدّرس اللّساني عند العرب:

نشأ الدّرس اللّغوي من القرآن الكريم، لأنّ العلماء المسلمين اجتمعوا أمام الكتاب الكريم، محاولين فهمه والتّوصّل إلى معانيه، وهذا لا يأتي إلاّ بدراسة اللّغة الشّريفة التي نزل بها، ولم يكن البحث اللّغوي عند العرب من الدّراسات المبكّرة، لأنّ جُلّ اهتمامهم انصبّ على العلوم الشّرعيّة والإسلاميّة، وحين انتهائِهم واستكمالهم لهذه الدّراسات، اتّجهوا إلى العلوم الأخرى منها اللّغة والنّحو[1]، وكان الدّافع الأساسي للاهتمام بالعلوم اللّغويّة، وهو خدمة النّص القرآني، وذلك لأنّ العربيّة الفصيحة قد طرأ عليها اللّحن والخطأ، وزاد هذا اللّحن بمرور الأيّام فشمل القرآن والحديث، وبهذا نجد ظاهرة اللّحن اللّغويّة انتشرت بعد دخول الأعاجم وغير العرب.

فإذا اشتمل هذا اللّحن القرآن الكريم، فإنّ معنى الآية يتغيّر، ويتغيّر القصد والحكم، وفي ذلك فساد لمقاصد الدّين وأحكام الشّريعة، كما سمع "أبو الأسود الدُّؤلي" أعرابيّ يقرأ على قارعة الطّريق، قوله تعالى:﴿ **إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ المشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ** ﴾[التوبة، الآية: 03]. بكسر اللاّم من رسولِه فتكون بذلك معطوفة على المشركين، والمعنى أنّ اللهَ بريءٌ من المشركين، وبريءٌ من رسولِه وبهذا نجد أنّه قد غيّر المعنى المراد[2].

ولهذا كان لابُدّ أن يُصاغ القرآن الكريم بالضّبط، فتصدّى "زياد بن أبيه"، للقيام بهذه المهمّة فطلب من "أبي الأسود الدّؤلي"(ت: 69هـ)، أن يعمل على ضبط القرآن الكريم، فوضع نقطه الإعرابي للقرآن الكريم متّخذًا لذلك كاتبًا حاذق، وقال له:« إذا رأيتني قد فتحت شفتيّ بالحرف؛ فأنقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن ضممت شفتيّ؛ فأنقط نقطة بين يديّ الحرف، وإن كسرت شفتيّ؛ فاجعل النّقطة من تحت الحرف، فإن أتّبعت شيئًا من غُنّة؛ فاجعل مكان النّقطة نقطتين »[3]. وعرف هذا الصّنيع في تاريخ الدّرس اللّغوي باسم (رسم العربيّة)، وبهذا نجد أنّ "أبا الأسود الدّؤلي" قد وضع رسم إعراب القرآن الكريم، عن طريق نقط أواخر الكلمات فيه.

بعد ذلك برزت مُشكله أُخرى جديدة للمسلمين -خاصّةً غير العرب- في قراءة القرآن الكريم، ومن ذلك صعوبة التّمييز بين حرفين متشابهين في الرّسم، فالحرف له عِدّة احتمالات (ب، ت، ث)، وقد تصدّى بحلّ هذه

---

[1] أحمد مختار عمر، البحث اللّغوي عند العرب، ص 79.

[2] محمد حسين آل ياسين، الدّراسات اللّغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثّالث، ص 56.

[3] أبو عمر الدّاني، المحكم في نقطة المصحف، تح: عزّة حسن، دار الفكر، ط2، بيروت، 1997م، ص 51.

المشكلة "ناصر بن عاصم اللّيثي" (ت: 89هـ)، حيث وضع نقطًا جديدًا على حروف المصحف، يمكن بواسطته التّمييز بين الحروف المتشابهة، ويُسمّى هذا العمل بنقط الإعجام، بحيث أعاد ترتيب الحروف على أساس شكلي: فوضع التّاء والثّاء إلى جانب الباء، ووضع الحاء والخاء بجانب الجيم إلى غير ذلك من الحروف[1].

ثمّ في مرحلةٍ أخرى جاء "الخليل بن أحمد الفراهيدي"، فقام بتطوير نَقْط "أبي الأسود الدّؤلي"، وأدخل عليه تحسينات كثيرة، حيث استنبط (النّقط المطوّل) المعروف اليوم بالشّكل؛ فجعل علامة الفتحة "ألفًا صغيرة" مفتوحة فوق الحرف المفتوح، وجعل الضّمة "واوًا صغيرة" فوق الحرف المضموم، وجعل علامة الكسرة "ياءً صغيرة" مردودة إلى الخلف تحت الحرف المكسور، فإذا سحب الحركة تنوين شفعت بأخرى[2].

وبهذا نجد أنّ هذه التّنظيرات التي قام بها العلماء العرب القدامى في سبيل المحافظة على كتاب الله، أي أنّ نشأة الدّراسة اللّغويّة عند العرب، كانت نتيجة حرص أبنائها المتحمّسين لها، وكذلك من أجل إظهار دِقّتها وجمالها، وذلك لكي يتمكّن المسلمون غير العرب القدرة على تعلّمها وتيسير النُطق بها، ونشأت بذلك حركة علميّة وتعلّميّة.

ونتيجةً لهذه الدّقّة وهذا التّخطيط المحكم نبغ العرب في عِدّة مجالات ودراسات؛ فالدّراسات الصّوتيّة عند العلماء العرب شغلت عدّة صفحات في أُمّات الكُتب النّحويّة، فقد أحاطت هذه الدّراسات بأصوات اللّغة العربيّة الفُصحى، ولهجاتها المختلفة وصفًا عُضويًّا دقيقًا، على المستوى النُّطقي والسّمعي[3]، فتحدّثوا عن مخارج الحروف المعروفة وصِفاتها، ويتجلّى ذلك فيما وضعه "الخليل" في كتابه "العين"، و"سيبويه" و"المبرّد" و"ابن جنّي" وغيرهم من العلماء، كما دَرسوا الأصوات دراسة وصفيّة بغضّ النّظر عن سِياقِها اللّغوي، أي« دراسة مادّيّة خالصة والمعروفة بالفوناتيكيّة، وكذلك ما يطرأ على الأصوات، من إدغام وقلب وغيرها وهي ما تُعرف بالفونولوجيا »[4].

وفي مجال الدّراسات الصّرفيّة اهتمّ العُلماء بعِدّة قضايا أهمُّها الاشتقاق والأوزان وأبنية الصّيغ وأوزانها، وذلك من خلال التّمييز بين الحروف الأُصول وأحرُف الزّيادة، أمّا فيما يتعلّق بالدّراسات النّحويّة، فقد بلغت شأنًا كبيرًا في كتاب "سيبويه"، إذ يُعدّ أضخم ما وصل إلينا في النّحو العربي في النّصف الثّاني من القرن الثّاني للهجرة، فهو يتضمّن أبوابًا كبيرةً للقضايا المتّصلة ببناء الجملة العربيّة، أمّا دراسات العرب في مجال الدّلالة والمعجم؛ فقد اتّخذت

---

[1] محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللّغوي، دار المعرفة الجامعيّة للنّشر والتّوزيع، د.ط، الإسكندريّة، 2002م، ص 77.

[2] محمد حسين آل ياسين، الدّراسات اللّغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثّالث، ص 52.

[3] حسام البهنساوي، التّراث اللّغوي العربي وعلم اللّغة الحديث، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ط1، القاهرة، 2004م، ص 5.

[4] المرجع نفسه، ص 6.

عدّة اتّجاهات بين النّظر والعمل؛ فقد كان العمل المعجمي سابقًا عندهم على أعمال الفِكر في القضايا النّظريّة، فقد برزت حركة التّأليف المعجمي في القرن الثّاني للهجرة، من خلال تلك الرّسائل اللّغويّة التي تخصّ موضوعات محدّدة[1].

كانت أوّليّات الدّرس اللّغوي عند العرب، هي خدمة القرآن الكريم من النّاحية اللّغويّة أوّلًا، وحماية العربيّة من الفساد والضّياع ثانيًا، وهما الدّافعين الرّئيسيين اللّذين دفعا بالعرب الأوائل إلى دراسة اللّغة، فقضيّة الإعجاز القرآني كان لها الأثر البالِغ في إثارة الجدل الواسع بين المتكلّمين، على اختلاف مشاربهم فأفاد منها النّحويّون والبلاغيّون، فقد كان السّبب الرّئيسي في قيام علم اللّغة.

2- نشأة الدّرس اللّساني العربي الحديث:

اختلفت وُجهات النّظر في تحديد البدايات الأُولى، التي ساعدت بدورها في نقل الفِكر اللّساني الغربي، وساعدت في تسهيل عمليّة إنزاله إلى ميدان التّفكير اللّغوي العربي، غير أنّ الاطّلاع على ما جاءت به الحضارات والثّقافات الغربيّة، وامكانيّة الاتّصال في عصرِنا الحديث، كان له يد المساهمة في ظهور البوادِر الأوّليّة لِنُشوء درس لساني يكتسيه لون الطّابِع العربي، كما تطرّق "حافظ إسماعيلي علوي" في كتابه "اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة المعاصِرة"، لأهمّ المحطّات التّاريخيّة التي هيّأت للثّقافة العربيّة، فرض الانفتاح على الدّرس اللّساني فهي ما يلي:

- النّهضة الفكريّة العربيّة وما رافقها.
- المرحلة الاستشراقيّة وما رسخته من أعراف لغويّة.
- إرهاصات تشكّل الخطاب اللّساني الحديث[2].

كانت أوّليّات الدّرس اللّغوي عند العرب هي خدمة القرآن الكريم من النّاحية اللّغويّة أوّلًا، وحماية العربيّة من الفساد والضّياع ثانيًا، وهما الدّافعيّن الرّئيسيّين اللّذين دفعا بالعرب الأوائل إلى دراسة اللّغة، فقضيّة الإعجاز القُرآني كان لها الأثر البالِغ، في إثارة الجدل الواسع بين المتكلّمين على اختلاف مشاربهم؛ فأفاد منها النّحويّون والبلاغيّون، فقد كان السّبب الرّئيسي في قيام علم اللّغة.

---

[1] حسام البهنساوي، التّراث اللّغوي العربي وعلم اللّغة الحديث، ص 7.

[2] حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة المعاصِرة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، بيروت-لبنان، 2009م، ص20.

ولقد اجتاز الدّرس اللّساني العربي الحديث ثلاث مراحل، والتي اعتبرت البدايات الأوّليّة لظهور ملامحه، فكانت تُعدّ بمثابة الحجر الأساس الذي ساهم في تأسيس وبناء اللّسانيّات العربيّة الحديثة كما هي عليه الآن، وتتمثّل هذه المراحل في الآتي:

2-1- النّهضة الفكريّة العربيّة:

كانت البداية الفعليّة الأولى للنّهضة العربيّة في مصر على يدّ "محمد علي" (1769م-1849م)، حيث أحدثت هذه النّهضة العديد من التّغيّرات المختلفة على الصّعيد السّياسي والاجتماعي والفكري، ممّا أدّى إلى إثراء حقل الثّقافة العربيّة بالعديد من العلوم والمعارف الجديدة، وإعادة إحيائها كالطِّب والطّبيعيّات والرّياضيّات والعلوم الاجتماعيّة والاقتصاديّة، بالإضافة إلى إنشاء المدارس والمعاهد العلميّة المختصّة في دراسة اللّغة، ووجدت المطابع التي ساعدت في إنشاء الصّحف والمجلّات وطِباعة الكُتب، وكان من الطّبيعي بعد اتّساع هذه الحركة النّهضويّة، ومساسِها بجميع جوانب الحياة المختلِفة أن تُصيب اللّغة، لأنّها تُعتبر الأساس في بنائِها؛ فقد قام "محمد علي" بالتّشجيع على ترجمة الكتب الأوروبيّة إلى اللّغة العربيّة في مختلف العلوم، ودعمِه للمترجمين وذلك بطبع هذه الكُتب في مطبعة بولاق من نفقة الدّولة[1].

لقد شكّل القرن التّاسع عشر للميلاد منعطفًا حاسمًا في تكوين الفِكر العربي الحديث، إذ وجد هذا الأخير نفسه أمام ضرورة القيام بمشاريع اصلاحيّة كُبرى على المستويات جميعًا، وضرورة إعادة النّظر في أوضاع هذا الفكر، لمواكبة التّطوّر الحاصِل في الغرب الذي صدم العرب للمرّة الأولى مع الحادِث الاستعماري[2]. وانقسم الدّرس العربي الحديث وسط هذا الوعي اللّغوي إلى قسمين متنافرين هما:

- قسم كان له الاجتهاد في إعادة بعث الموروث الحضاري العربي الإسلامي، سواءٌ من خلال صيغته القديمة أو الصّيغة المعدّلة جزئيًّا.
- وقسم حداثي ثائِر على كلّ ما هو قديم، والذي يُحاول أن يتبنّى المسار الحضاري الغربي بكلّ تفاصيله.

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، بيروت-لبنان، 2009م، ص 7-8.

[2] فاطمة الهاشمي بكّوش، نشأة الدّرس اللّساني العربي الحديث، ايتراك للنّشر والتّوزيع، ط1، مصر، 2004م، ص 14.

2-2- المرحلة الاستشراقيّة:

كانت الجامعة المصريّة (1907م) محلّ استقطاب الباحثين اللّغويّين المستشرقين أمثال: "برجشترايسر" (Bergsreasser)، و"جويدي" (Guidi)، و"لينمان" (Lahnemann) وغيرهم، ممّا أتاح لهم فرصة الاطّلاع على مبادئ علم اللّغة بمفهومه الجديد، والتي ظهرت من خلال دعوتهم التي برزت في أغلب كتاباتهم، فكتاب "برجشترايسر" المعنون بـ"التطوّر النّحوي للّغة العربيّة" مثلًا؛ نجده قد ضمّ بين دفّتيه مجموعة من الإشارات، التي تُنبّه المتلقّي إلى الفائدة المتوخّاة من دراسة علم اللّغة، كان الهدف من بعث المستشرقين هو دراسة الموروث العربي القديم، وإعادة إحياءه وفق منظورهم العلمي والمعرفي، فالمستشرقون الألمان مثلًا نجدهم قد قاموا بإدخال نمط التّفكير الفيلولوجي إلى البلاد العربيّة[1].

2-3- إرهاصات تشكيل الخطاب اللّساني الحديث:

ترجع بدايات الفكر اللّغوي العربي إلى منتصف القرن العشرين، حيث عرفت هذه الفترة اتّجاهين لغويّين للدّراسة؛ تمثّل في الاتّجاه التّاريخي المقارِن في البداية، ثم تلاه بعد ذلك الاتّجاه الوصفي.

بدأت ملامح الاتّجاه التاريخي والمقارِن بالظّهور في كتابات بعض النّهضويّين، أمثال: "إبراهيم اليازجي" من خلال إلقائه سنة (1881م) محاضرة بعنوان "أصل اللّغات السّامية"، التي وقف فيها على حدود الأصل المشترك الذي يجمع العربيّة والعِبريّة والآراميّة، كما يظهر المنهج التّاريخي واضِحًا في عمله، من خلال تركيزه على تصنيف اللّغات بحسب قرابتها، ووجود لغة أصل لكلّ أُسرة على حِدة، أمّا عن "الطّهطاوي" فنجده قد تأثّر بالمنهج التّاريخي-المقارن، الذي يُقرّ بعدم جواز الحكم على لغة من اللّغات باستعمال لغة أخرى، والسّبب في ذلك هو اختلافهما؛ فاللّغة العربيّة مثلًا تختلف عن اللّغة الفرنسيّة وغيرها من اللّغات؛ إذ نجده قد أقام التّمييز على أساس المقارنة بين هذه اللّغات، قد برزت تجلّيات المنهج التّاريخي-المقارن بشكلٍ واضحٍ عند "جورجي زيدان" في كتابه "الفلسفة اللّغويّة والألفاظ العربيّة"، إذ تجلّى الاتّجاه المقارن عنده من خلال مقارنة بين العِبريّة والعِبرانيّة، ولغات أُخرى من جهة الألفاظ، كما أنّه لم يكتفِ بالإشارة إلى تشابه اللّغات أو اختلافهما؛ بل تعرّف كذلك لأسباب ذلك[2].

---

[1] حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة المعاصرة، ص 32.

[2] المرجع نفسه، ص 34-37.

ومنه فإنّ المنهج الوصفي قد تبلور في الثّقافة العربيّة، بعد عودة البعثات الطُّلابيّة من الجامِعات الأوروبيّة إلى بِلادِهم، والذين تتلمذوا على يدّ "جون روبرت فيرث" (John Rupert Firth) (1890م-1960م)، أُستاذ اللّسانيّات العامّة في جامعة لندن ما بين عاميّ (1944م-1960م)، فكان للجامعة المصريّة السّبق في الاتّصال بالدّرس اللّساني منذُ مطلع الأربعينات، ومن أولئك الطّلبة أنذاك "إبراهيم أنيس" (1906م-1975م)، ثمّ ترسّخ بعد ذلك الاتّجاه الوصفي في الثّقافة العربيّة بعد تجلّياتِه في جهود تلامذتِه، وجهود بعض المتخرّجين الذين عادوا من المدرسة نفسها، ومن أبرز هؤلاء نذكر: "عبد الرّحمان أيوب"، "تمّام حسّان"، "كمال بِشر"، و"محمود السّعران"[1]، ومنه فإنّ بداية النّهضة عند العرب، قد عرفت تشبّث اللّغويّين عند العرب بتُراثهم اللّغوي الزاخِر، غير أنّ هذا لا يعني توقّعهم على موروثهم الثّقافي فقط؛ بل كانوا على اطّلاع مستمر بالمستجدّات التي تحدث في الدّراسات اللّغويّة.

3- مفهوم اللّسانيّات العربيّة:

اللّسانيّات العربيّة مُصطلح مركّب؛ وهو من المصطلحات الرّائجة في ساحة الدّراسات اللّغويّة العربيّة الحديثة، ويختلف مدلوله من باحثٍ إلى آخر، باختلاف الخلفيّات المعرفيّة، وإذا أردنا أن نبحث عن مدلولٍ سليمٍ له، يجب أن نعود إلى أصل المصطلحات المركّبة له، فمصطلح "اللّسانيّات العربيّة" مكوّن من مصطلحين:

المصطلح الأوّل، "**اللّسانيّات**" (**La Linguistique**): في أبسط مفهوم لها؛ هي الدّراسة العلميّة للسان البشري، وهي علم غربي أراد "سوسير" من خِلالِه دراسة اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

أمّا الثاني، "**العربيّة**" (**Arabe**): وهو المصطلح الذي يدلّ الحيّز الجغرافي لمنطقة الوطن العربي.

وإنّ المزج بين هذين الشّقّين يَنتُج لنا ما يُعرف بـ"اللّسانيّات العربيّة"، والتي تحمل في طيّاتها دلالة فكريّة، فهي تشمل على النّتاج اللّساني اللّغوي؛ المختصّ بالصّدور في الوطن العربي.

لقد تعدّدت التّعريفات التي وضعها الباحثون العرب للمصطلح الغربي "اللّسانيّات" (Linguistique)، والتي نذكر من بينها التّعريف الذي ذكره "محمود فهمي الحجازي" في كتابه "مدخل إلى علم اللّغة" حيث يقول:

[1] حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة المعاصرة، ص 44.

«علم اللّغة في أبسط تعريفاتِه هو دراسة اللّغة على نحوٍّ علميٍّ، ويعني هذا التّعريف أنّ الدِّراسات اللغّويّة موضوعيّة وليست انطباعيّة ذاتيّة »[1].

كما نجد "خولة طالب الإبراهيمي" أيضًا عرّفته في كتابها "مبادئ في اللّسانيّات" بقولها:« علم اللّسان هو الدّراسة العلميّة الموضوعيّة للّسان البشري؛ أي دراسة تلك الظّاهرة العامّة والمشتركة بين بني البشر، والجديرة بالاهتمام والدّراسة، بغضّ النّظر عن كلّ الاعتبارات الأخرى التي لا تُعدّ من صُلب اهتمام اللّسانيّين »[2].

فعلى الرّغم من اتّفاق مُعظم الباحثين العرب المحدثين في تعريفاتِهم لمصطلح "اللّسانيّات" والتي لا تخرج عن مجال اعتبار أنّ اللّسانيّات هي دراسة اللّغة في ذاتها ولأجل ذاتها، أو دراسة اللّسان منه وإليه، بهدف اكتشاف المميّزات العامّة المشتركة للّسان البشري، من خلال دراسة مختلف اللّغات، إلّا أنّهم قد وقعوا في مُشكلة ترجمة المصطلح الأجنبي (Linguistique) ممّا أدّى إلى وقوعهم بما يُعرف بفوضى المصطلح في الكتابات العربيّة الحديثة، وقد أورد "عبد السّلام المسدّي" في كتابه "قاموس اللّسانيّات"؛ ثلاثة وعشرين مُصطلحًا؛ لمصطلح "علم اللّغة" والمستخدمة من طرف العُلماء اللّغويّين المحدثين، والتي نذكر من بينها "فِقه اللّغة"، "علم اللّغة العامّ"، "علم اللّسان"، "الألسُنيّة"، "اللّسانيّات"...إلخ.

4- أهمّ الاتّجاهات اللّسانيّة العربيّة:

عَرف الدّرس اللّساني العربي الحديث بروز ثلاث اتّجاهات أساسيّة في بنائِه، والتي تتمثّل فيما يلي:

أ- الاتجّاه الأوّل: الاستعانة بمناهج النّظر اللّغوي الحديث في دراسة النّحو العربي؛ بالكشف عن وجوه الاتّفاق والافتراق بين نحّاة العرب القُدامى، وعلماء اللّغة المحدثين في المنهج، وللتّفكير والتّطبيق سعيًا وراء تأصيل هذا التّراث وِفق نظريّات علم اللّغة الحديث.

ب- الاتّجاه الثّاني: الانطلاق من المنهج البِنوي الوصفي التّقريري، في دراسة النّحو دراسة شكليّة تستبعد منه نظريّة العامِل والتّقدير.

---

[1] محمود فهمي الحجازي، مدخل إلى علم اللّغة، دار قُباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة-مصر، 1997م، ص 17.

[2] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللّسانيّات، دار القصبة للنّشر، ط2، الجزائر، 2006م، ص 9.

ج- **الاتّجاه الثّالث**: الانطلاق من المنهج التّحويلي التّوليدي، في دِراسة النّحو دراسة تفسيريّة نحوية، ومعجميّة، وصرفيّة، وصوتيّة، للكلِمة أو الجملة.

وزاوية التّفريق بين الاتّجاهات الثّلاثة، أنّ التّفسيريّين يدرسون النّحو العربي وكأنّهم خارجه، فيرون عيوبه لكنّهم لا يرون منهجهم التّفسيري لأنّهم جزء منه، كذلك البِنويّون الوصفيّون التّقريريّون لا يرون عيوب منهجِهم؛ في حين يرون عيوب مناهج النّحو العربي.

أما الاتّجاه الأوّل والذي يُسمّى بالاتّجاه التّأصيلي، فأصحابه هم الذين يقفون بتوازن بين القديم والحديث قادرين على عقد حوار مثمر بينهما[1].

4-1- الاتّجاه التّأصيلي:

ينتهج أصحاب الاتّجاه التّأصيلي في سعيهم لتأصيل جوانب من نظريّة النّحو العربي منهجًا تقابُليًّا؛ يتّسع عند بعضهم للمُقابلة بين جوانب من نظريّة النّحو العربي، وجوانب من مناهج النّظر اللّغوي الحديث، كأعمال "نهاد الموسى،" وقد يضيق عند بعض أصحاب الاتّجاه التّأصيلي، فيصير مقابلة بين الجوانب من نظريّة النّحو العربي، وجوانب من منهج لغوي حديث؛ كالمنهج التّحويلي التّوليدي، كما ورد في أعمال الدّكتور "عبد الرّحمان الحاج صالح" والدّكتور "عبد القادر المهيري".

انصبّ جلّ اهتمام "نهاد الموسى" حول البحث عن نظريّة النّحو العربي في ضوء مناهج النّظر اللّغوي الحديث، ويبدوا ذلك ظاهرًا عندما صرّح قائلًا:« أنْ ندرس العربيّة من الجانب العربي وحده سيظلّ منقوصًا، وأنّه لابُدّ لنا في هذه المرحلة من استئناف النّظر، أنْ نتبصّرَ فيها بلغه الدّرسُ اللّغويُّ الحديثُ من آفاق »[2]، ويقول في نصّ آخر في الصّدد نفسه:« إنّ الدّرس اللغوي الحديث يسعف في تجديد إحساسنا بالنّحو العربي في مفهوماتِه، ومنطلقاتِه وأبعادِه بعد طول إلفٍ به في لغتِه الخاصّةِ، ومصطلحه الخاصّ، ومنهجه الدّاخلي »[3].

---

[1] حسن خميس سعيد الملخ، نظريّة التّعليل في النّحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشرّوق للنّشر والتّوزيع، ط1، عمّان-الأردن، 2000م، ص 224.

[2] نهاد الموسى، البحث عن نظريّة النّحو العربي في ضوء مناهج النّظر اللّغوي الحديث، دار البشير للنّشر والتّوزيع مكتبة وسام، ط2، الإمارات، 1987م، ص 11.

[3] المرجع نفسه، ص 25.

إنّ النّحو العربي يمكن أن يقسم، أو يفرز وِفق نظريّة التّعليل إلى ثلاثة مستويات؛ مستوى تقرير الأحكام، ثمّ تعليل الأحكام تعليلًا تناظريًّا داخليًّا، ثمّ تعليل الأحكام تعليلًا نظريًّا، لهذا تتبنّى هذه الدّراسة رأي الدّكتور "نهاد الموسى"؛ إذ النّحو العربي في صورته التي وصل إلينا، مُتشابك تتداخل فيه الأحكام والعِلل، ونظريّات العِلل في مزيج يسبّب شيئًا من الغموض والصّعوبة، وكما في تقرير نصب اسم "إنَّ" بـ "أنَّ"، ثم تعليل ذلك بقياس "إنّ" على الفعل الماضي المتعدّي، ثمّ عدّ هذا العمل خارجًا عن نظريّة عمل الحروف المختصّة بالاسم إذ حقّها الجرّ لا النّصب، فهذا التّسلسل في عرض المادّة بدأ من المحرّك، وهو نصب اسم "إنّ"، ثم انتقل إلى النّظير وهو المفعول به، فاستلزم عُقد مشابهة قياسيّة بين "إنّ" والفعل المتعدّي، ثم انتقل إلى النّظريّة الجدليّة، فهناك انتقال بين ثلاثة أنواع من التّفكير الجزئي المحسوس "التّقرير"، والتّفكير الكلّي المحسوس "القياس"، والتّفكير الكلّي العقلي المجرّد "النّظريّة"[1].

كما يُعدّ "عبد الرّحمان الحاج صالح" أيضًا من أبرز ممثّليّ الاتّجاه التّأصيلي، والذي كان مؤمنًا بوجود نظريّة في النّحو العربي الأصيل، وهذه النّظريّة دقيقة في أصولها ومفاهيمها، والتي تمثّلت فيما تركه لنا أمثال "الخليل" و"سيبويه" ومن كلاهما، كما قام "عبد الرّحمان الحاج صالح" ببرهنة دِقّة النّظرية النّحويّة عند النّحاة المتقدّمين بطريقتين، هما:

1- تتبّع تاريخ علم اللّسان من أقدم الإشارات التّاريخيّة له حتّى العصر الحديث، ورصد التّطوّر النّظري المنهجي في كلّ عصر.

2- تحديد الأصول والأنظار العلميّة التي بنى عليها نحّاة العربيّة، نظريّة النّحو العربي تلك الأنظار التي توصّل إليها علم اللّسان الحديث، ولا سيما في المدرسة التّحويليّة[2].

سعى أصحاب الاتّجاه التّأصيلي، جاهدين في سبيل العودة إلى التّراث العربي القديم؛ وذلك بإعادة قراءة تتمّ وفقًا للمناهج اللّسانيّة الحديثة، ولدراستها دراسة إيستومولوجيّة (معرفيّة)، وذلك من خلال إثباتهم لبعض المسائل التي وصل إليها الدّرس اللّساني الغربي الحديث، وإسقاطها على مفاهيم وتصوّرات النّحّاة العرب القدامى، فقد حاول "عبد الرّحمان الحاج صالح"، أن يُبرز أصالة الدّرس اللّساني الحديث، من خلال نظريّته المشهورة والمعروفة "النّظريّة الخليليّة".

---

[1] حسن خميس سعيد الملخ، نظريّة التّعليل في النّحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص 247.

[2] المرجع نفسه، ص 248-249.

4-2- الاتّجاه الوصفي التّقريري:

يلتقي ممثّلو الاتّجاه الوصفي التّقريري، في اعتبار اللّغة دراسة شكليّة خارجيّة، هي المنهج الأسلم في وصفها نحويًّا، صرفيًّا، وصوتيًّا، دون اعتمادهم على التّأويل والتّقدير والحذف.

إذ تبنّى أصحاب هذا الاتّجاه البِنويّة الوصفيّة السّويسريّة، حيث قاموا بدراسة اللّغة شكلًا لا مضمونًا، ومن بين هؤلاء نذكر: "إبراهيم أنيس" في كتابه "من أسرار اللّغة، و"عبد الرّحمان أيوب" في كتابه "دراسات نقديّة في النّحو العربي"، و"تمّام حسّان" في كتابه "اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة"، وغيرهم (...)[1].

ويُعدّ اللّساني "عبد الرّحمان أيوب" من أبرز اللّغويّين العرب، الذين ساهموا في إثراء السّاحة اللّغوية بأهمّ أعماله، بحيث دعا إلى اعتماد المنهج الوصفي مقابل التّعليل الفلسفي والمنطقي، إذ ذهب إلى التّفكير اللّغوي عند العرب، تأثّر في مراحله الأولى عند "الخليل" و"سيبويه" بالتّفكير اللّغوي الهندي، لأنّه اعتمد الأشكال التّركيبيّة للعبارة في التّحليل اللّغوي، ثمّ تأثّر بالتّفكير اللّغوي عند العرب بعد ذلك بالفلسفة اليونانيّة، فاعتمدت الدّراسات اللّغويّة التّعريفات المنطقيّة[2].

4-3- الاتّجاه التّفسيري:

من ممثلي الاتّجاه التّفسيري الدّكتور "محمد علي الخولي" في كتابه "قواعد تحويليّة للّغة العربيّة"، إذ حاول فيه استخراج قوانين تحويليّة، تستطيع أن تفسّر العديد من جمل اللّغة العربيّة، من غير أن يقترحها بديلًا عن القواعد التّقليديّة، كما حاول الدّكتور "مازن الوعر" تصميم نظريّة لسانيّة عربيّة حديثة؛ بدمج ما سمّاه "المنهج اللّساني" الذي وضعه العرب القدماء، والمنهج التّصنيفي الذي وضعه عالِم الدّلاليّات الأمريكي "ولتركوك"، والمنهج التّوليدي التّحويلي الذي وضعه "تشومسكي" في صورته الحاليّة له (1970م-1981م). واقترح "خليل عمايرة" منهجًا يقوم على الإفادة، من نتائج علم اللّغة المعاصر، ولاسيما النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة في دراسة الجملة العربية مع الاهتمام الكبير بالمعنى. ولعلّ آخرهم هو "عبد القادر الفاسي الفهري" الذي يُعدّ من أبرز أعلام هذا الاتّجاه[3].

---

[1] حسن خميس سعيد الملخ، نظريّة التّعليل في النّحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص 225.

[2] المرجع نفسه، ص 229.

[3] المرجع نفسه، ص 251-252.

فالنّظريّة اللّسانيّة عند "الفهري" تتجاوز الوصف والتّقرير إلى التّفسير؛ والتّفسير مفهوم شامل يفسّر النّظام اللّغوي من حيث المفاهيم النّحويّة؛ كالحالة الإعرابيّة والتّطابق، والتّقدير والحذف والزّمن، ومن حيث اللّوازم المعجميّة، كالمعنى والتّعدية واللّزوم، وصيغة الفعل، ونموذج التّفسير الذي يسعى إليه "الفهري"، مُطوّر عن أعمال الباحثة الأمريكيّة "بريزنن" (Bresnan) التي أدخلت تعديلات على مفهوم "نعوم تشومسكي" (Noam Chomsky)، له في كتابه "جوانب من نظريّة النّحو" الصّادرة سنة (1965م).

الاتّجاه التّفسيري قد تأثّر بمفهوم التّفسير المرتبط، بالنّظريّة التّوليديّة التّحويليّة لـ"تشومسكي" ممّا ساعدها على تفسير الدّرس اللّساني العربي الحديث نحوًا، وصرفًا، وصوتًا، ودلالةً[1].

فهذه أبرز الاتّجاهات اللّسانيّة العربيّة، التي ظهرت في العصر الحديث ابتداءً، بالاتّجاه الوصفي التّقريري، مُرورًا بالتّأصيلي، وختامًا بالتّفسيري فالوصفي إذ يصف اللّغة، والتّأصيلي قد بحث في أصلِها وفروعِها، ويأتي التّفسيري الذي يسهم في إعطائِها دلالات وتفسيرات وتحويلات، كأنّ هنالك ترابطًا بين هذه الاتّجاهات الثّلاثة.

5- مسار اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة:

بدأت ملامح الدّرس اللّساني العربي الحديث تظهر من خلال مجهودات كبيرة، قام بها مجموعة من الباحثين العرب من خلال مؤلّفاتهم، والتي كان الهدف منها هو وصل الدّراسات العربيّة بالبحوث الغربيّة الحديثة، وبين هؤلاء نجد: "علي عبد الواحد وافي" في "علم اللّغة" (1941م)، إذ يُعدّ أوّل محاولة تأليف في مجال الدّراسات اللّغويّة العربيّة الحديثة، فلقد أشار في مقدّمة الكتاب أنّ له جهودًا كبيرةً في تدريسه لهذا العلم لمدّة طويلة، أنّه هو من قام بأوّل محاولة في سبيله[2]. لكنّه يخلو من تقنيّات التّحليل اللّساني الضّروريّة، لكلّ مبتدئ في هذا العِلم، ونظرًا لاعتماده مصادر أصبحت متجاوزة نظريًّا ومنهجيًّا أثناء تأليف "وافي" لكتابه، فإنّ المؤلِّف لا يُورِد بعض التّعدّيات التي غدت أساسيّة منذ نهاية العشرينات من القرن العشرين مع مدرسة براغ ؛كالتّمييز بين علم الأصوات والفونولوجيا (التّشكيل الصّوتي)، مكتفيًا بعرض التّصوّرات الصّوتيّة التي باتت قديمة عند كلّ من "روسو" (Rousseau)، و"سويت دونما"، حديث عن الفونولوجيا الجديدة التي ظهرت ابتداءً من (1926م)، مع حلقة براغ التي أحدثت تجديدات نظريّة ومنهجيّة هامّة في الدّرس الصّوتي المعاصر، وبهذه الكيفيّة دخلت اللّسانيّات أو علم اللّغة رحاب الثّقافة العربيّة، وقد

---

[1] حسن خميس سعيد الملخ، نظريّة التّعليل في النّحو العربي بين القدماء والمحدثين، ص 252.

[2] مصطفى غلفان، اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة-حفريّات النّشأة والتّكوين، دار المدارس، ط1، المغرب، 2006م، ص136.

تبع ظهور كتاب "الوافي"، مؤلّفات لغويّة أخرى، تتفاوت من حيث قيمتها العلميّة والمنهجيّة، وتختلف من حيث منظورها للقضايا اللّغويّة المعروضة بشكلٍ عامّ، واللّغة العربيّة بشكلٍ خاصّ، بَعْد كتاب "الوافي"، صدر كتاب "الأصوات اللّغويّة" لـ "إبراهيم أنيس" سنة (1947م)، والذي عُدّ أوّل مُؤلَّف باللّغة العربيّة، يعرض الموضوع من وِجهه نظر العلم الحديث[1].

ومنذ هذا التّاريخ تدرّجت الكِتابة اللّسانيّة العربيّة الحديثة، متفاوتة في قيمتها المنهجيّة ومُستواها العلمي، بالقياس لما وصل إليه البحث اللّساني العامّ، وبلغت الكتابات اللّسانيّة العربيّة التي تُعرف باللّسانيّات مستوى جيدًا، وتعكس الكتابات اللّسانيّة العربيّة، مهما اختلفت مشاريعها الفكريّة وطبعتها النّظريّة، وتنوّعت درجاتها العلميّة والمعرفيّة، والاهتمام البالِغ الذي تولّيه الثّقافة العربيّة الحديثة للّسانيّات[2]. غير أنّ استقبال الثّقافة العربيّة للّسانيّات والتّعامل معها؛ باعتبارها منهجًا علميًّا في دراسة اللّغة لم يتمّ دُفعةً واحدةً، بل مرّ ذلك بمراحل ولم يكن مقصورًا على اللّغويّين.

لقد ساهم بعض المهتمّين بالأدب والنّقد، في إرساء دعائم الفكر اللّساني العربي، ليصل إلى ما هو عليه اليوم من تطوّر نظري ومنهجي وتطبيقي ملحوظ[3]:

- إرسال البعثات الطُّلّابيّة إلى الجامعات الغربيّة.
- القيام بدراسات جامعيّة وأطروحات.
- ظهور ترجمة عربيّة لبعض المقالات اللّسانيّة.
- إنشاء تخصّصات قائمة الذّات في اللّسانيّات العامّة.

تنوّعت وتعدّدت اتّجاهات البحث اللّساني العربي الحديث؛ بتنوّع وتعدّد منطلقاتها ومناهجها وغاياته؛ فاتّسمت بمجموعة من السّمات النّظريّة والمنهجيّة، التي تكشف عن اختلاف وتفاوت واضح بين اللّسانيّين العرب، كلّ بحسب اتّجاهه وطريقته في التّعامل مع المعطيات اللّسانيّة الغربيّة الحديثة، ومع الدّرس اللّساني العربي، وكذا طبيعة

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة-حفريّات النّشأة والتّكوين، ص 143.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص 146.

اللّغة العربيّة في حدّ ذاتها، وهذه الاختلافات هي التي حكمت عجز ونجاح هذه الاتّجاهات، في تحقيق أهدافها والسُّموّ بالدّرس اللّساني العربي الحديث، وتوجيهه وجهةً صحيحة تتّسِم بالدِّقّة والضّبط.

المبحث الثّاني: روّاد الدّرس اللّساني العربي المعاصر.

عرف الدّرس اللّساني العربي المعاصر العديد من الباحثين والعلماء، الذين اهتموّا بدراسة اللّغة العربيّة وتطوّرها، خاصّةً في مجال الدّراسات اللّسانيّة العربيّة المعاصرة، حيث ساهموا في بشكلٍ كبيرٍ في إثراء معالم الدّرس اللّساني العربي الحديث؛ وفيما يلي عرض لبعض أهمّ هؤلاء اللّسانيّين العرب، الذين اعتنوا بالموروث العربي الحديث وساهموا في تطوّره:

1- إبراهيم أنيس وأعماله اللّغويّة البارزة:

لقد كان لهذا اللّغوي البارز أعمال مهمّة، تمثّلت رؤاه وأفكاره لتّتضح وتتجّسد في كتبه المختلفة، محاولًا تطبيق عدّة مناهج غربيّة كالوصفيّة، والتّاريخيّة، والبنيويّة وغيرها، مستأنسًا في ذلك لنماذج من اللّغة العربيّة، مقتنعًا بأنّ هناك سندًا توافقيًّا بين ما تمليه المناهج الغربيّة، ونظيرتها اللّسانيّة العربيّة[1]، ويمكننا هنا استبيان ما استطعنا استلهامه من بعض أعماله المتنوّعة:

إنّ الدّارس لكتب الأستاذ "إبراهيم أنيس" خاصّةً كتاباه "الأصوات اللّغويّة" و"دلالة الألفاظ"، يلحظ ملاحظة هامّة وهي أنّ الأستاذ "إبراهيم أنيس"، يسعى إلى مقارنة مباشرة بين آراء وأفكار اللّغويّين القدامى في دراستهم للأصوات وتصنيفها، وبين ما تقدّمه الدّراسات اللّغويّة الوصفيّة والتّاريخيّة في اللّسانيّات الغربيّة، وهذا ما يتطلّع إليه في عموم دراساته اللّغويّة، ونستخلص من أفكاره المستلهمة من رؤاه ما يلي[2]:

- دراسة الأصوات العربيّة دارسة وصفيّة، مستحضرًا في ذلك قواعد المنهج الوصفي.
- قيامه بتصنيف الأصوات العربيّة ضمن قاعدة النّظريّة الفونولوجيّة الحديثة.

---

[1] عبد الرحيم البار، مظاهر الفكر اللّساني الغربي في اللّسانيّات العربيّة الحديثة، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، ع6، جامعة محمد خيضر-بسكرة-، الجزائر، ديسمبر 2014م، ص 195-196.

[2] ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصريّة، ط5، القاهرة، 1984م، ص 42-43.

– دراسة مستويات اللّهجات والبحث في تطوّراتها ومقارنتها بعلم القراءات القرآنيّة، ثمّ القيام بوصفها وصفًا دقيقًا، يحقّق المعرفة الخاصّة بتطوّر الألفاظ العربيّة.

– اعتماده في كتابه "دلالة الألفاظ" على تطبيق مفاهيم النّظريّات الدّلاليّة الحديثة، المستوحاة من مفاهيم "بلومفيلد" البنيويّة، ومقارنتها بما يستدلّ عليه من كلام العرب.

– يؤمن بجدارة الأبحاث اللّسانيّة الغربيّة في تنمية اللّسانيّات الغربيّة.

وفي النّهاية نستخلص، أنّ لهذا اللّغوي مجهودات كبيرة في الدّراسات اللّسانيّة، خاصّةً الأصوات اللّغويّة منها، واعتمد عدّة مناهج في هذا الكتاب، كالمنهج الوصفي، والبِنيوي، والتاريخي، والتّحليلي، والتّطبيقي، كما اعتمد أسلوب رقيق وبسيط في شرح وتفسير معطيات الكتاب، وكانت عباراته واضحة ودقيقة، إذ كان يصل إلى الهدف المنشود بأقصر الطّرق، المتمثّل في وصف الأصوات العربيّة وصفًا جديدًا، وكان يتجنّب التّفاصيل المؤدّية إلى الخروج عن الموضوع، ويتحاشى التّكرار، واستطاع أن يُظهر مدى الانفتاح الذي عرفته الثّقافة العربيّة، على الثّقافة الغربيّة.

2– محمود السّعران وأعماله اللّغويّة البارزة:

لا شكّ في أنّ الأستاذ "محمود السّعران" سار على منوال الأستاذ "إبراهيم أنيس"، فقد اهتمّ بدراسة المناهج الغربيّة وتأثّر بها، ودعا إلى توظيفها بما يناسب اللّغة العربيّة من إجراءات وتطبيقات، ولقد تجلّت هذه البادرة في كتابه المميّز الذي صدر سنة 1962م، بعنوان "علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي"؛ فقد كان متأثّرًا تأثّرًا بالغًا بالدّراسات البنيويّة، وهذا ما ميّز محتوى كتاباته، ولقد كان صريحًا بقوله:« وأنا لم ألتزم في جملة ما عرضت مذهبًا بعينه في كلّ أصوله وفروعه من هذا الدّرس اللّغوي المتعددة، بل ركنت إلى التّعريف بالأصول العامّة التي ارتضيتها، والتي قلّ أن يختلف فيها أهل هذا العلم مع بيان مصادرها، ومذاهب أصحابها في معظم الأحوال، مع الإشارة في الوقت نفسه إلى الآراء المخالِفة الصّادرة عن مذاهب أخرى، حتّى يكون القارئ على بيّنة من المذاهب اللّغويّة المختلفة، وعلى دراية بالفلسفات التي قامت عليه »[1]. وتنحصر أهمّ سمات رؤيته فيما يلي[2]:

– يروّج لفكرة البنيويّة العربيّة؛ وقد وظّف مصطلح البنيويّة في العديد من كتاباته، وقدّم لذلك مقابلًا في العربيّة.

---

[1] محمود السّعران، علم اللّغة، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1997م، ص 317.

[2] عبد الرحيم البار، مظاهر الفكر اللّساني الغربي في اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص 196-197.

– أراد استخلاص نموذج موحّد في الدّراسات البنيويّة العربيّة، يجمع بين التّحليل الشّكلي الذي ظهر عند التّوزيعيّين، وبين نظريّة فيرث التي تجمع بين الصّوت والدّلالة.

– أرسى المنهج الوصفي على عموم أعماله، ورآه مناسبًا للدّراسات اللّغويّة العربيّة.

ونستخلص في الأخير، أنّ "محمود السّعران" قد اهتمّ في دراسته لعلم اللّغة، من كلّ مستوياتها الصّوتيّة، الصّرفيّة، النّحويّة، والدّلاليّة، وتبنّى المنهج الوصفي في تحليل أبنيتها، وكان مثل غيره من العلماء متأثّرًا بالمناهج الغربيّة، ودعا إلى توظيفها بما يناسب اللّغة، وكان دائمًا يحاول تقديم هذا العلم إلى القارئ العربي، محاولًا تبسيطه قدر المستطاع من أجل الباحثين لتلقّيه، بكلّ سهولة ووضوح خاصّةً المبتدئين منهم.

3– كمال بشر وأعماله اللّغويّة البارزة:

لقد كان هذا الباحث متأثّرًا بالدّراسات الغربيّة، وسعى كغيره لتدويل المناهج الغربيّة، وتجلت اهتماماته في كتابه الشّهير "دراسات في علم اللّغة" المنجز عام 1969م، حيث اهتمّ بالتّأصيل للنّظريّة اللّسانيّة الحديثة من التّراث اللّغوي العربي، جازمًا وواصفًا بأنّ ما أتى به "ابن جنّي" و"السّكّاكي"، يتطابق مع ما أتى به "فيرث" في نظريته السّياقيّة، ونحصر أهمّ النّقاط التي تمّ التوصّل إليها في أعماله، ما يلي[1]:

– قام بدراسة وصفيّة تحليليّة لأعمال "ابن جنّي" و"السّكّاكي"، واستنتج أنّ كلّ منهما وفق لإدراك العلاقات النّسقيّة بين مستويات اللّغة المختلفة.

– دعا إلى دراسة اللّغة العربيّة وفق مناهج متعدّدة، وليس بالضّرورة التقيّد بمنهج واحد.

ولكمال بشر جهد في« دراسة الأصوات العربيّة، إذ اعتمد فيه على نقل ما جاء في علم اللّغة العامّ، من مبادئ ونظريّات في دراسة الأصوات اللّغويّة، ثم انصرف بعد ذلك إلى أصوات اللّغة العربيّة، وقد اهتمّ في دراسته أصوات العربيّة بأصوات الفصحى الحديثة، التي يتكلّم بها المتخصّصون في اللّغة العربيّة، وبقراءة القرّاء المجدّين في

[1] عبد الرحيم البار، مظاهر الفكر اللّساني الغربي في اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص 199.

مصر العربيّة، وكان من نتائج ذلك أن نراه يقارن في بعض الأحيان بين وصفه أحد أصوات العربيّة الحديثة، ووصف اللّغويّين العرب وعلماء التّجويد لذلك الصّوت في عصرهم وفي قراءتهم، ويرتب على ذلك نتائج محدّدة »[1].

من خلال هذا يتبيّن أنّ "كمال بشر"، له دورٌ هامٌّ في دراسة الأصوات العربيّة، وخصّ بالذّكر الأصوات العربيّة الفصحى الحديثة للمختصّين والقرّاء، وكان يُقارن بين وصفه ووصف العلماء القدماء في الأصوات اللّغويّة، وفي النّهاية يخرج بنتيجة، ونلاحظ في الأخير، أنّ "كمال بشر" أثرى السّاحة اللّغويّة بأعماله، ونشره للّغة العربيّة وإعداد الباحثين اللّغويّين، ولقد ركّز على الخصائص الصّوتيّة للّغة العربيّة، في كتابه "دراسات في علم اللّغة"، كما اعتمد المنهج الوصفي التّحليلي، في دراسته لأعمال كلٌّ من "ابن جنّي" و"السكّاكي"، فهو متأثّر بالدّراسات الغربيّة ومناهجها؛ إذ قام بتدوينها في مختلف إنجازاته، ويدعو لاستخدامها في الفكر اللّغوي العربي، كما دعا أيضًا إلى ضرورة استعمال عدّة مناهج وعدم الاكتفاء بمنهجٍ واحدٍ.

4- عبد الرّحمان أيوب وأعماله اللّغويّة البارزة:

لقد كان لهذا اللّغوي توجّهًا دراسيًّا ظاهرًا في إتّباع المناهج الغربيّة خاصّةً منها الوصفيّة، فقد قام بدارسة وصفيّة نقديّة خصّ بها النّحو العربي في كتابه الصّادر 1957م، بعنوان "دراسات نقديّة في النّحو العربي"، أراد من خلالها التّوطيد للنّظريّات اللّسانيّة الحديثة، وتكمن أهدافه فيما يلي[2]:

- رأى بأنّ المنهج الوصفي ملائمًا للنّحو العربي، لأنّ هذا الأخير في نظره يقوم على الاستنباطات العقليّة القياسيّة، في حين أنّ اللّسانيّات الوصفيّة تختار الأمثل والأنسب.

- كان منصبًّا على دراسة كتاب "مناهج اللّسانيّات البنيويّة"، لمؤلّفِه "زليج هاريس" (Zellige Harris)، وتأثّر بما يراه "هاريس" الذي يدعو إلى الدّراسة الوصفيّة التي تقوم على مبدأ التّحليل الشّكلي، وأكّد "عبد الرّحمان أيوب" بأنّ العرب تأثروا بـ"فلسفة المنطق"، واحتجّ بذلك في تقسيمهم الثّنائي للجملة على أساس المسند والمسند إليه، ورأى أنّ هذا كان متجلّيًا في تعريف "أرسطو" للجملة.

---

[1] علي معيوف عبد العزيز بن المعيوف، دراسة اللّغويّين العرب المحدثين لأصوات العربيّة -قراءة لأربعة أمثلة-، مجلّة جامعة ذمار للدّراسات والبحوث، ع11، اليمن، جانفي 2010م، ص 148.

[2] عبد الرحيم البار، مظاهر الفكر اللّساني الغربي في اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص 199.

يمكن الجزم بأنّ المدارس اللّسانيّة كلّها، كان لها أثرًا واسعًا في البقاع العربيّة، إلّا أنّ اللّسانيّات البنيويّة كانت أشدّ وطئًا وتأثيرًا في الدّراسات اللّغويّة العربيّة الحديثة؛ ودليل ذلك تلك الأعمال التي أوردناها، وربّما لا يخلو بلدًا من البلاد العربيّة، إلّا وراح مثقّفيه اللّغويّين إلى دراسة هذا المنهج والتّمثيل له، واستنطاق قواعده ومقاربتها بمكنونات التّراث اللّغوي العربي، محاولين في ذلك رفع الغموض على تراث اللّغة العربيّة، والاحتجاج على قدرتها في التلقّي والاستفادة من كلّ ما تقدّمه الحضارة الإنسانيّة في عالم اللّغويّات، وعلى هذه الشّاكلة كانت الوصفيّة؛ فتعالى صوتها مثل البنيويّة، فاقتنع الكثير من روّاد اللّغة المشاهير على الأخذ بإجراءاتها والعمل بها، ورأوا ذلك مناسبًا للدّراسات العربيّة في زمن الحضارة اللّغويّة، وعلى غرار البنيويّة والوصفيّة، لم تخلوا الدّراسات اللّغويّة العربيّة من إرهاصات علميّة أخرى، فقد تقدّمت التّوليديّة والتّحويليّة، واللّسانيّات التّداوليّة والوظيفيّة، إلى ساحة اللّسانيّات العربيّة بشرف، ونال منها العرب قسطًا هامًّا من الدّراسات والتّطبيقات[1].

وفي الأخير نلاحظ، أنّ "عبد الرّحمان أيوب" انتقد التّراث النّحوي، من خلال نقده للثّقافة العربيّة ووصفها بالتّقليد، واقترح تقسيمات جديدة للكلمة والجملة، على خلاف تقسيمات النّحويّين العرب، واعتمد المنهج الوصفي في دراساته النّحويّة، لأنّه يعتبره المناسب في دراسة النّحو العربي، وكان متأثّرًا بالمدرسة التّحليليّة الشّكليّة، ويتّضح ذلك في كتابه "دراسة نقديّة في النّحو العربي"، إذ تبنّى أفكارها ومبادِئها التي تهتم بالشّكل، وتأخذه أساسي في التّصنيف، وتستبعد المعنى في تقسيماتها للوحدات اللّغويّة.

هكذا ولازال الكثير من المجهودات، والمساهمات الأخرى في تطوير الدّرس اللّساني، والاعتناء بأهمّ قضاياه اللّغويّة، على رأسهم: الباحث "مازن الوعر" لساني سوري، من روّاد الجيل الثّاني ومن اللّسانيّين العرب، و"عبد القادر الفاسي الفهري" عالِم لساني مغربي، بصير بأصول النّظريّات اللّغويّة المعاصِرة، والباحث "أحمد المتوكّل"، والباحث "أحمد مختار عمر" لغوي مصري ومن روّاد اللّغة التّطبيقيّة، والباحث "مُنذِر عطا العياشي" وغيرهم...إلخ إذ لم نتطرّق إليهم كلّهم، بحيث لا يسع البحث لذكر جميعهم.

ولا ننسى بطبيعة الحال ذِكر اللّغويّين الفذّين "عبد الرّحمان الحاج صالح" و"تمّام حسّان"، اللّذين أثْرَوا السّاحة اللّغويّة بأعمالهم؛ لفائدة الباحثين والدّارسين في هذا المجال، فقد تعمّدنا عدم التطرّق إلى أعمالهم اللّغويّة سابقًا، وذلك تفاديًا للتّكرار، بحيث سنسلّط الضّوء عليهم، وعلى جلّ أعمالهم في المبحث التّالي.

[1] عبد الرحيم البار، مظاهر الفكر اللّساني الغربي في اللّسانيّات العربيّة الحديثة، ص 199-200.

المبحث الثّالث: الدّرس اللّساني العربي المعاصر بين التّأصيل والتّجديد.

إنّ الحديث عمَّا يُعرف باللّسانيّات العربيّة الحديثة، أو الدّرس اللّساني العربي الحديث، ينبغي أن يقتصر على جملة من المؤلّفات والدّراسات اللّسانيّة التي ألّفها لسانيّون عرب، منذ منتصف الأربعينيّات من القرن العشرين؛ وفيها بدأ الاتّصال والتّعرف على مناهج النّظر اللّساني الغربي الحديث.

وعلى الرّغم من أنّ الدّراسات اللّسانيّة العربيّة المبكّرة، التي تبنّت المناهج الغربيّة، لم تَعرِف مصطلح اللّسانيّات إلّا في أواسط الستّينيّات، إذ تُحدّد بدايات انتقال الفكر اللّغوي الغربي، إلى ميدان التّفكير اللّغوي العربي، ببداية الاتّصال الفعلي بالحضارة الغربيّة في العصر الحديث[1].

وقد عرف الدّرس اللّغوي العربي تطوّرًا كبيرًا، منذ اتّصال الثّقافة العربيّة باللّسانيّات الحديثة في العالم الغربي، عن طريق البعثات العلميّة، إذ نشطت عمليّة التّأليف في هذا العلم الحديث قصد التّعريف به، وبمختلف مدارسه ومناهجه، ثمّ انتقل هذا النّشاط من مجرّد التّعريف بهذا العلم وترجمة المؤلّفات الغربيّة، التي أسّست له إلى النّظر في اللّغة العربيّة، بالاعتماد على معطيات اللّسانيّات؛ سعيًا لجعل البحث في هذه اللّغة أكثر دقّة وعلميّة، وظهر روّاد ولغويّون كثيرون في هذا المجال، سعوا لتأصيل أهمّ القضايا اللّسانيّة، والتّراث اللّغوي العربي من خلالها، وقد نبغوا في ذلك ووفّقوا إلى حدٍّ كبيرٍ في إحياء وإبراز الدّور الكبير، الذي قدّمته الدّراسات اللّغويّة العربيّة القديمة، للدّرس اللّغوي العالمي، من هؤلاء العلماء نذكر على سبيل المثال لا الحصر: "عبد الرّحمان الحاج صالح"، و"تمّام حسّان"، و"طه عبد الرّحمان"، و"إبراهيم أنيس"، و"أحمد المتوكّل"، و"رشاد الحمزاوي"، و"إبراهيم بن مراد"، و"أبو بكر العزّاوي"، و"علي القاسمي"، و"شوقي ضيف"، وغيرهم كثيرٌ ممّن اعتنوا بالدّرس اللّساني، وأسهموا في تطويره في العالم العربي والتّأصيل له، وتطبيق مناهجه في دراسة اللّغة العربيّة[2].

ويُعدّ "عبد الرّحمان الحاج صالح" وتمّام حسّان"، أحد هؤلاء الدّارسين الذين بذلوا جهودًا كبيرةً، في تأصيل وتطوير لسانيّات اللّغة العربيّة، وتأصيل أهمّ قضاياها في التّراث، مُستندًا في ذلك إلى ما تزخر به الدّراسات اللّغويّة

---

[1] ينظر: فاطمة الهاشمي بكّوش، نشأة الدّرس اللّساني العربي الحديث-دراسة في النّشاط اللّساني العربي-، ص 12.

[2] دقي جلّول، أثر المرجعيّات الثّقافيّة في اللّسانيّات العربيّة الحديثة، مجلّة العمدة في اللّسانيّات وتحليل الخطاب، مج3، ع2، جامعة محمد بوضياف-المسيلة-، الجزائر، 2019م، ص 76-77، بتصرّف.

القديمة، وما يحمله الموروث من كنوز معرفيّة في مجال البحث اللّغوي، وعلى هذا الأساس سنعرض أهمّ ما قدّمه العلّامة "عبد الرّحمان الحاج صالح" واللّساني "تمّام حسّان" للموروث العربي.

1- عبد الرّحمان الحاج صالح والتّراث العربي:

إنّ المتتبّع في مؤلّفات "عبد الرّحمان الحاج صالح" ومنشوراته البحثيّة، يظهر جليًّا تعلّق الأستاذ الوثيق بالفكر اللّغوي القديم، وخاصّةً فكر "الخليل بن أحمد الفراهيدي" وتلميذه "سيبويه"، فبتفحّصه في التّراث اللّغوي العربي فإنّ «له فضلٌ كبيرٌ في تصحيح كثير من المفاهيم القديمة وتأصيلها، وتدقيق المصطلحات العلميّة المرتبطة بعلم اللّسانيّات»[1]، وذلك لاتّفاقها مع مفاهيم علم اللّسان الحديث، وخاصّةً من المصطلحات المستعملة، فنجد الأستاذ تبنّى بعض المصطلحات القديمة، ومن بين هذه المصطلحات ما يلي[2]:

أ- **علم اللّسان**: فضّل الأستاذ هذا المصطلح عن باقي المصطلحات التي تداولها علماء العرب في العصر الحديث، مثل "فقه اللّغة"، ذلك« لما تبادر إلى أذهانهم من المناسبة بين المدلول لكلمة "فقه" (العلم بالشّيء والتعمّق فيه)، وبيّن ما هو مطلوب في اللّسانيّات؛ إذ هو بحث في أسرار اللّسان »[3]، وهو من جهته يؤكّد أنّ أصل التّسميّة بمفهومها الحديث؛ يعود إلى ما أنتجه القدماء عن طريق "أبي نصر الفارابي"، الذي أطلق عليه لفظ "علم اللّسان"، وينفي أن تكون موجودة عند اليونان أو اللّاتينيّين قبل ذلك، فقد ترجم كتاب "إحصاء العلوم" للّغة اللّاتينيّة، وجاءت عبارة (Scientia Lingue)، مقابل للفظ "علم اللّسان"، وهذه اللّفظة هي ما يقابلها الآن في الدّراسات الأوروبيّة (Linguistique)، كما أنّها تُعنى بالقضايا نفسها التي اعتنى بها علماؤنا، تحت شعار "علم اللّسان"، فهو لا يرى بديلًا لتأدية هذا المفهوم، أحسن من الذي انطلق منه أصحاب اللّسانيّات، وقد فضّل لفظ "اللّسان"، على لفظ "اللّغة" لسببين هما:

---

[1] عزوز بلال، فتاتي فاتنة، الجهود اللّسانيّة عند عبد الرّحمان الحاج صالح وتمّام حسّان وأثره في تعليم اللّغة العربيّة، جريدة العربيّة، مج6، ع1، جامعة غرداية، الجزائر، فيفري 2023م، ص 27.

[2] المرجع نفسه، ص 45.

[3] منصوري ميلود، الفكر اللّساني عند الدّكتور عبد الرّحمان الحاج صالح، مجلّة العلوم الإنسانيّة، ع7، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم اللّغة العربيّة وآدابها-جامعة وهران، الجزائر، جانفي 2005م، ص 45.

1- أنّ أصل الاستعمال كان لفظ "اللّسان"، وهذا ما نجده في القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُم فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾[إبراهيم، الآية: 04]، وهذا مشهور في الأحاديث النبويّة الشّريفة، وكذا جميع مؤلّفات العرب الفقهيّة، وكلامهم من شعرٍ ونثرٍ.

2- أنّ لفظة "اللّغة" كانت تُطلق عند النّحاة واللّغويّين على عدّة معاني، زيادةً على ما يُفهم من تحديد "ابن جنّي" لها، وهو "اللّسان" بوجهٍ عامّ، هذا الانحراف للفظة "اللّغة" إلى عدّة معاني خاصّة، جعلها تفقد ميزتها العامّة[1].

ب-البنيويّة: هي أحد مناهج المدارس اللّسانيّة، التي تدعو إلى« التّمييز بين الدّراسات التّعاقبيّة والدّراسات التّزامنيّة، وتشديدها على مفهوم البنية، والنّظام، واللّغة »[2]، فالأستاذ يرفض مصطلح "البِنيويَّة"، ويستعمل مصطلح "البُنيويَّة" نسبةً إلى "بُنية".

ج-الفونيتيك: يقول الأستاذ "الحاج صالح" بهذا الخصوص:« إنّ أدقّ ترجمة المصطلح (Phonetics) هي الصّوتيّات، وهي كلمة مكوّنة من قسمين صوت؛ للدّلالة على العِلم فيكون المعنى بذلك؛ علم الصّوت، أو علم الأصوات، قياسًا على كلمات كثيرة منها لسانيّات، رياضيّات »[3].

وكاستنتاج لما طُرح سابقًا، نجد اهتمام "الحاج صالح" باللّسانيّات الحديثة، لأنّها تعتمد على مناهج ناجحة في دراسة الظّواهر اللّغويّة، ويشير إلى تحديدها لموضوعها الأساسي وهو "اللّسان"، ونلمس من أفكاره وبحوثه، تأثّره وإعجابه بأفكار العلماء القدامى، وظهر ذلك في المصطلحات اللّسانيّة التي يستعملها.

1-1- الحاج صالح والنّظريّة الخليليّة:

عمِل "الحاج صالح" على ترسيخ الفكر النّحوي العربي، وتمثّل هذا التّرسيخ في إنجازه لمشروع النّظريّة الخليليّة، فهي قراءة للتّراث النّحوي العربي، موضوعها إعادة الاهتمام بمبادئ النّحو العربي، وخاصّةً فكرة العامِل التي شغلت بال النّحاة قديمًا وحديثًا، ومبدأ الانفراد والمثال وغيرهم من المواضيع النّحويّة، توصف بأنّها« الجمع بين الأصالة

---

[1] عزوز بلال، فتاتي فاتنة، الجهود اللّسانيّة عند عبد الرّحمان الحاج صالح وتمّام حسّان وأثره في تعليم اللّغة العربيّة، ص 28.

[2] محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيّات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، بيروت-لبنان، 2004م، ص 65.

[3] عزوز بلال، فتاتي فاتنة، الجهود اللّسانيّة عند عبد الرّحمان الحاج صالح وتمّام حسّان وأثره في تعليم اللّغة العربيّة، ص 28.

القديمة ممثّلة في استحياء أفكار ومفاهيم الخليل وسيبويه، والحداثة متمثّلة فيما يتألّف ويتقارب من تلك الأفكار والمفاهيم، مكوّنة بذلك نظريّة متماسكة قديمة في أصولها، حديثة في منهجها وتوجّهها العلمي والتّكنولوجي، لها مفاهيمها العلميّة التي تكون كفايتها العلميّة ومبادئها الأساسيّة التي تكون كفايتها المراسية أو التّطبيقيّة بصفة عامّة»[1]، إذن فهي نظريّة لسانيّة معاصرة تدعو للرّجوع إلى التّراث العلمي اللّغوي الأصيل، وما تركه العلماء الأوائل من فهم وتحقيق، في أسرار اللّغة العربيّة وفق منهجيّة علميّة حديثة.

وكون النّظريّة الخليليّة نظريّة لسانيّة حديثة، فإنّ واضعها « لم يكن مجرّد مفرّغ لمعلومات قديمة في كراسات حديثة؛ بل مازج بين الدّراسات القديمة وتمثّلها أحسن تمثيل، وبين الدّراسات الحديثة بدءًا من بنويّة دي سوسير، التي أخذ عليها مآخذ كثيرة، إلى النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة، التي أشاد بها في كثير من المواقع باعتبارها تتماشى في كثير من أبعادها مع خصائص اللّغة العربيّة »[2]. هذا الامتزاج هو ما أطلق عليه استحياء النّحو العربي القديم، وتقديمه في قلب حديث سهل ويسير.

1-2- مبادئ النّظريّة الخليليّة الحديثة:

النّظريّة الخليليّة عبارة عن قراءة جديدة للتّراث النّحوي العربي، متمثّلًا في أعلامه "الخليل بن أحمد الفراهيدي" وتلاميذه، ويمكن أن نحدّد مبادئها انطلاقًا من المفاهيم الآتية[3]:

1-2-1- مفهوم الوضع والاستعمال:

يرى "الحاج صالح" أنّ اللّغة وضعٌ واستعمال« أي نظام من الأدلّة المتواضع عليها واستخدام لهذا النّظام، وليست نظامًا فقط، ينظر فيه الباحث دون أن يفكّر في كيفيّة استخدام المتكلّم له كوسيلة تبليغ أوّلًا، وكوسيلة اندماج في واقع الحياة ثانيًا »[4]، فالمدقّق في هذه الثّنائيّة يجدها قريبة جدًّا من ثنائيّة القدرة والأداء في النّظريّة التّحويليّة التّوليديّة، « حيث يعني الوضع على المستوى الأوّل للّسان، باعتباره وصفًا علميًّا للنّظام القواعدي الذي

---

[1] يحي بعيطيش، الكفاية العلميّة والتّعليميّة للنّظريّة الخليليّة الحديثة، مجلّة التّواصل، ع25، كليّة الآداب واللّغات جامعة منتوري- قسنطينة-، الجزائر، مارس 2010م، ص 77.

[2] صالح بلعيد، مقالات لغويّة، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2004م، ص 58.

[3] عزوز بلال، فتاتي فاتنة، الجهود اللّسانيّة عند عبد الرّحمان الحاج صالح وتمّام حسّان وأثره في تعليم اللّغة العربيّة، ص 29.

[4] عبد الرّحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، موفم للنّشر، ج1، الجزائر، 2012م، ص 70.

يتجسّد به الكلام أو الخطاب، ويعني الاستعمال على المستوى الآخر كيفيّة العفويّة التي يجري بها النّاطقون الأصليّون لهذا النّظام في واقع الخطاب »[1]، فالمزج هنا يكون بين الوضع الذي يؤدّي وظيفة التّمايز في النّطق والاستعمال الذي يؤدي المعنى أثناء عمليّة التّخاطب والتّواصل.

1-2-2- مفهوم الاستقامة:

وَرَدَ في نصّ لـ"سيبويه" يوضّح فيه باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فيقول:« هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة، فمنه مستقيم حسن ومحال ومستقيم كذب ومستقيم قبيح وما هو محال كذب، فأمّا المستقيم الحسن فقولك :أتيتك أمس، وسآتيك غدًا، وأما المحال فأن تنقض أوّل كلامك بآخره، فتقول :أتيتك غدًا، وسآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حمِلت الجبل، وشرِبت ماء البحر، ونحوه، وأمّا المستقيم القبيح فأن تضع اللّفظ في غير موضعه، نحو قولك :قد زيدًا رأيت، وكي زيدٌ يأتيك، وأشباه هذا، وأمّا المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس »[2]، فالأستاذ يرى في هذا النّص أنّه نصّ يميّز بين السّلامة الرّاجعة إلى اللّفظ؛ ويعني بها (المستقيم الحسن والقبيح)، والسّلامة الخاصّة بالمعنى (المستقيم المحال)، بعد ذلك يميّز بين السّلامة التي يقتضيها القياس؛ ويقصد به النّظام العامّ الذي يحكم اللّغة والسّلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للنّاطقين، وهذا معنى الاستحسان وهو استحسان النّاطقين أنفسهم[3].

1-2-3- مفهوم الانفراد وتعريف اللّفظة:

يتعيّن مفهوم هذا المصطلح انطلاقًا من مبدأ الانفصال والابتداء، وهذا المعيار اعتمد عليه النّحّاة الأوائل تحديد أقلّ قطعة لا ما ينطق بها« الذي يسكت عنده، وليس قبله شيء، هو الاسم الذي ينفصل ويبتدئ[4]، ويسمّيها "الحاج صالح" اللّفظة ترجمة من اللّغة الفرنسيّة (Lexic) »[5]، ومنطلق النّظريّة الخليليّة الحديثة من واقع الحدث الكلامي أيّ من الخطاب نفسه، معتمدة على معيار الانفصال والابتداء« أي ما يكون قطعة منفردة في السّلسلة

---

[1] يحي بعيطيش، الكفاية العلميّة والتّعليميّة للنّظريّة الخليليّة الحديثة، ص 85.

[2] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للنّشر والطّباعة والتّوزيع، ج1، ط2، القاهرة، 1988م-1408هـ، ص 25.

[3] عبد الرّحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ص 218.

[4] سيبويه، الكتاب، الأميريّة ببولاق مصر المحميّة، ج2، ط1، القاهرة، 1317هـ، ص 304.

[5] عبد الرّحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ص 219.

الكلاميّة المفيدة، لا يسبقها ولا يأتي بعدها شيء من الزّوائد، ويمكن الوقوف عليها، كقولك: زيد أو هذا، في الإجابة عن: من هذا؟ وماذا أخذت؟ »[1]، ومن ذاك المنطلق وضع الأستاذ مفهومًا للانفراد واللّفظة كما بيّنا.

1-2-4- مفهوم المثال:

يذكر "الحاج صالح" أنّ مفهوم المثال تجهله اللّسانيّات الغربيّة، ولا يعرفه من اللّسانيّين الغربيّين إلّا من اطّلع على آثار العرب عن طريق بعض المستشرقين، فهو مفهوم إجرائي تتّحد به الحدود اللّغويّة، ليس فقط في الألفاظ وإنّما كلّ المستويات، كمستوى الكلمة وبناؤها ووزنها، لأنّه يمثّل الهيئة الصّوريّة المجرّدة للكلمة ومستوى اللّفظة، فمثال الكلمة هو« مجموع الحروف الأصليّة والزّوائد، مع حركاتها وسكناتها كلّ في موضعه، وهو البناء أو وزن الكلمة »[2]، فإنّ الزّيادات والحروف الأصليّة، مع حركاتها وسكناتها كلّ في موضعه تمثّل كلمة.

ومثال اللّفظة هو« مجموع الكلم الأصليّة والزّائد، مع مراعاة دخول الزّوائد وعدم دخولها، الكلّ في موضعه هو مثال اللّفظة اسمية كانت أو فعليّة »[3]. فبهذه النّظرة الثّاقبة للأستاذ لمفهوم المثال، راعى من خلالها العنصر المهمّ في الوحدة اللّغويّة، وهو مثال الكلمة واللّفظة.

1-2-5- مفهوم العامل:

كثُرَ الحديث قديمًا وحديثًا حول قضيّة العامل، وجاءت الدّراسات تركّز عليه للكشف عن أسراره وأسسه وأصوله وقواعده، وأوّل من أصّل لهذه النّظريّة هو "الخليل أحمد بن الفراهيدي"، حيث وضع أصوًلا واضحة، وتحدّث عن بعض القواعد والأحكام الخاصّة بالعوامل والمعمولات، لذلك اختلفت التّوجيهات، بين مؤيّد ومعارض من الماضي وكذا الحاضر، فهناك من حاول هدم فكرة العامل والبحث عن بديل لها، وفي خضم هذا الاختلاف والتّعارض «ومهما يكن رأي القدماء في فكرة العامل أهي للمتكلّم نفسه، أم هي من مضامة اللّفظ للّفظ، أو باشتمال المعنى على اللّفظ (...)، فإنّ العامل كان ولا زال حجر الزّاوية في النّحو العربي »[4]، وفي رحم هذا المشكلة النّحويّة، نلاحظ تطوّر جنينها في رحم النّظريّة الخليليّة الحديثة، حيث يرى "الحاج صالح« أنّ المستوى التّركيبي للجملة هو

---

[1] شفيقة العلوي، العامل بين النّظريّة الخليليّة الحديثة والرّبط العاملي لنؤام تشومسكي، مجلّة حوليات التّراث، ع7، جامعة مستغانم، الجزائر، 2007م، ص 4.

[2] عبد الرّحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ص 90.

[3] المرجع نفسه، ص 90.

[4] عبده الرّاجحي، النّحو العربي والدّرس الحديث –بحث في المنهج–، دار النّهضة العربيّة للطّباعة والنّشر، بيروت، 1979م، ص137.

المستوى الذي يظهر في وحدات خاصّة، وأكثر تجريدًا هي العامل المعول الأوّل، والمعمول الثّاني والمخصّص، وليست نابّجة عن تركيب اللّفظة بلفظةٍ أخرى، وهذا المستوى ينطلق من العمليات الحمليّة أو الإجرائيّة، فيحمل أقلّ الكلام وتحويله بالزّيادة مع إبقاء النّواة، فيلحظ أنّ الزّوائد على اليمين تُغيّر اللّفظ والمعنى، وتؤثّر في أواخر الكلِم (الإعراب)، ويتحصّل على مثال تحويلي »[1].

وكاستنتاج لما قدّمه الأستاذ عن العامل، أنّه هو الذي يتحكّم ويؤثّر في التّركيب الكلامي، فهو المحور الذي يُبنى عليه وهذا ما يسميّه القدامى بالابتداء، وأنّه سبب بناء الكلام.

وفي مُجمل القول عن النّظريّة الخليليّة الحديثة بمفاهيمها وأسسها؛ هي نظريّة لسانيّة حديثة، خطت خطوة كبيرة في مسار البحث اللّغوي المعاصر، فهي تدعو أهل الاختصاص إلى إعادة قراءة التّراث اللّغوي العربي، وخاصّةً "الخليل" وتلاميذه، وكما تدعو أيضًا إلى بناء مناهج التّعليم على مفاهيم فِكر "الخليل بن أحمد الفراهيدي".

ومن هنا نستخلص أنّ "عبد الرّحمان الحاج صالح" لغويّ لسانيّ، أحدث فاعليّة كبرى على القارئ الجزائري بصفة خاصّة والقارئ العربي بصفة عامّة، ولقد تبيّن له بأنّ الاستعمال العقلي للّغة، في جميع الأحوال الخطابيّة التي تستلزمها الحياة اليوميّة؛ ينبغي أن يكون القياس الأوّل والأساسي في بناء أيّ مجتمع تعليمي، وشدّة عنايته القصوى بالجانب التّعليمي، إذ أنجز في ذلك دراسات معمّقة حاول فيها الكشف عن العيوب الحقيقيّة التي يعانيها تعليمنا للعربيّة.

2- تمّام حسّان ونظريّته اللّغويّة:

استفاد "تمّام حسّان" من البعثة العلميّة إلى أوروبا فاكتسب ثقافة مزدوجة، ثقافة عربيّة نهلها من التّراث اللّغوي العربي، وثقافة غربيّة حديثة نتيجةَ إقامته بإنجلترا، وفهمه الجيّد للمناهج الغربيّة الحديثة، وأمزج ذلك في دراسته في البحث والتقصّي في قضايا اللّغة العربيّة القديمة والحديثة، مناقشًا إيّاها تارةً وناقدًا لها أحيانًا أخرى. تولّدت له رؤية بحثيّة جديدة نتيجة تتلمذه على يد "فيرث" (Firth)، رائد المدرسة السّياقيّة الإنجليزيّة، يظهر تأثّره العميق بهذه المدرسة، عندما رأى النّحو العربي بعمومه« شبكة من العلاقات السّياقيّة التي تقوم كلّ علاقة منها عند وضوحها مقام القرينة المعنويّة، قد يعتمد وضوحها على التّآخي بينها وبين القرائن اللّفظيّة في السّياق، والقرائن

[1] عبد الرّحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، ص 87.

المعنويّة في النّموذج النّحوي، هي قرينة الإسناد (ولها صور)، وقرينة التّخصيص (ولها صور أيضًا)، وكذلك النّسبة (ولها صورها)، والتّبعيّة (ولها صورها)، والمخالفة (ولها صورها) »[1]، هذا النّموذج يوضّح من خلاله الأستاذ، عن الرّؤية التي استمدّها من المدرسة السّياقيّة، وأسقط النّحو العربي عليها.

من هذه الرّكائز استطاع "تمّام حسّان" بآرائه اللّغويّة، تقديم قراءة لسانيّة للّغة العربيّة بلباسها العصري، فهو من المهتمّين بالدّرس اللّغوي العربي، فقام بنقل النّظريّات اللّغويّة الغربيّة الحديثة إلى العالم الإسلامي، وتطبيقها على دراسة اللّغة العربيّة (...)، وكان أوّل معالم مشروعه اللّغوي؛ تطبيق المناهج الغربيّة في دراسة الصّوتيّات على بعض اللّهجات العربيّة، فنال الماجستير من جامعة لندن عن دراسته الصّوتيّة، للهجة مدينة الكرنك بمسقط رأسه (محافظة قنا)، كما نال الدّكتوراه من الجامعة نفسها في دراسة صوتيّة أيضًا، للهجة مدينة عدن باليمن »[2].

من خلال هذا التّكوّن العلمي المزدوج الثّقافة لـ"تمّام حسّان"، تتحدّد معالم النّظريّة اللّغويّة التي نادى إليها، وحاول تطبيقها على الدّرس اللّساني العربي الحديث، وتتمثّل في تطبيق النّظريّة اللّغويّة الحديثة على اللّغة العربيّة، من خلال المنهج الوصفي التّقريري وكذا نظريّة فيرث السّياقيّة[3]« وأعني بالنّظريّة اللّغويّة الحديثة هنا، الإطار العامّ والتّحليلي للبنيويّة الوصفيّة التي سيطرت على الفكر اللّغوي، إلى ما قبل ظهور نظريّة تشومسكي في رأي بعض المؤرّخين، كما أعني بها أيضًا بصورة خاصّة، نظريّة "فيرث" اللّغويّة، أو بعبارة أخرى، أنّ النّظريّة التي طبّقها د. تمّام في دراسته للّغة العربية؛ هي نظريّة فيرث »[4].

وهذا ما لاحظه أيضًا "لحسن بلبشير"، الذي يرى أنّ "تمّام حسّان" قد« نحا منحىً وصفيًّا في أنظاره، كما أنّ تأثره بنظريّة فيرث في سياق الحال، أسبغ على عمله جانبًا وظيفيًّا مهمًّا، وعليه فقد وصف (تمّام) النّحو

---

[1] تمّام حسّان، إعادة وصف اللّغة العربيّة ألسنيًّا، أشغال ندوة اللّسانيّات واللّغة العربيّة، مركز الدّراسات والأبحاث الاقتصاديّة والاجتماعيّة-الجامعة التّونسيّة، تونس، 13-19 ديسمبر 1978م، ص 159.

[2] حسام تمّام، تمّام حسّان مجدّد العربيّة، مجلّة جامعة الملك سعود، المملكة العربيّة السّعوديّة، 2007م، ص 34.

[3] عبد الحليم معزوز، تأصيل اللّسانيّات العربيّة عند تمّام حسّان وعبد الرّحمان الحاج صالح-دراسة إبستمولوجيّة في المرجعيّة والمنهج، ص 91.

[4] حلمي خليل، العربيّة وعلم اللّغة البنيوي، دار المعارف الجامعيّة، مصر، 1996م، ص 219.

العربي من منظور وصفي وظيفي، وهو المنحى الذي استخدمه جعفر دك الباب، فيما بعد، في وصف نظريّة الإلمام للجرجاني في النّظم، وأنماط الجملة العربيّة »[1].

ومن هنا حدّدت الأطر الشّاملة للنّظريّة اللّغويّة عند "تمّام حسّان"، فتمخّض عنها كتابه "اللّغة العربيّة معناها ومبناها"، فهو يرى نفسه« صاحب أجرأ محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللّغويّة؛ تجري بعد سيبويه وعبد القاهر »[2]. فقد كان العقل اللّغوي المتأمّل والمتعمّق في دراساته للتّراث اللّغوي العربي.

2-1- موقف تمّام حسّان من التّراث اللّغوي العربي:

تتحدّد خصائص البحث اللّغوي عند "تمّام حسّان"، من خلال مناقشة مواقفه تُجاه التّراث اللّغوي العربي، فالمتتبّع لأعماله يجد عددًا من الملاحظات التي تتمّ عن اطّلاع دقيق ومتفحّص، لما جادت به قريحة العلماء الأوائل للعربيّة، ولكنّه لم يرض أن يقدّم تلك الملاحظات في ثوبٍ تقليدي؛ بل حاول أن يمزج بين التّراث والمعاصرة، من خلال مشروع يهدف إلى تقديم قراءة جديدة للتّراث اللّغوي العربي وفق المنهج الوصفي، فهو يُقرّ أنّ مشروعه «نظريّة جاءت نتيجة تجارب قرون في الغرب، فهيكلُها غربي وتطبيقها في اللّغة العربيّة، هو القسط الذي أنا مسؤول عنه في هذا الكتاب »[3].

إنّ دراسة "تمّام حسّان" للقضايا اللّغويّة، كانت مبنيّة على المزاوجة بين التّراث والمعاصرة، استطاع بجهده هذا تقديم قراءة ثانية للنّحو العربي« عبر تأليف أربعة كتب: اثنان منها عرض فيهما أصول اللّسانيّات الوصفيّة، وهما: "مناهج البحث في اللّغة" و"اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة"، أمّا الاثنان الآخران فقد خصّصهما لدراسة التّراث وتقويمه، وهما: "اللّغة العربيّة معناها ومبناها" و"الأصول"، لكن هذا التّقسيم لا يعني أنَّ تقويم التّراث غائب عن كتابيه الأوليّين؛ بل كان حاضرًا في كتابه الأوّل حضور الهاجس الملح، وهو الذي قدّمه مدخلًا لهذا العلم»[4]. ومن هنا سنقدّم بعض آراء الأستاذ في القضايا النّحويّة، ونسلّط عليها الضّوء بالشّرح والتّحليل والتّفسير.

---

[1] حسن بلبشير، الدّراسات اللّغويّة بين الأصالة والمعاصرة، مجلّة الأثر، ع8، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ماي 2009م، ص 24.

[2] تمّام حسّان، إعادة وصف اللّغة العربيّة ألسنيًّا، ص 145.

[3] تمّام حسّان، مناهج البحث في اللّغة، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، الدّار البيضاء، 1986م، ص 17.

[4] خالد خليل هادي، مؤيّد آل صوينت، تمّام حسّان في معيار النّقد اللّساني، مجلّة الأستاذ، ع203، كليّة التّربية-ابن رشد- جامعة بغداد وكليّة الآداب الجامعة المستنصريّة، بغداد، 2012م، ص 252.

2-2- بنية النّحو العربي:

قبل البدء في عرض موقف "تمّام حسّان" من التّراث اللّغوي العربي، لا بدّ من الإشارة إلى تحديده لهذا التّراث، فهو في أغلب بحوثه المتعلّقة بنقد التّراث العربي، يركّز على النّحو البَصْري بدءًا بجهود "الخليل" و"سيبويه"، ثمّ من سار في نهجهما من النّحاة العرب[1].

ويرجع اهتمام "تمّام حسّان" بالنّحو البَصْري، إلى أنّ علماء البَصْرة هم من اخترعوا هذا العلم، إضافةً إلى تناولها الصّارم للقضايا النّحويّة، فقد« سبقت البصرة إلى حقل النّحو، باتّجاهاتها العقليّة الواضحة؛ فصبغت هذه الصّناعة بصبغتها؛ فلمّا جاء الكوفيّون وجدوا البناء قائمًا مكتملًا، والطّريق معبدة مطروقة، فلم يكن أمامهم إلّا أن يختاروا بين أمرين اثنين: أن يقبلوا النّحو البصْري كما تلقّوه عن شيوخ البّصرة، ويقفوا من البصريّين موقف تلاميذ متناسين الفارق بين النّزعة البصريّة العقليّة، والنّزعة الكوفيّة النقليّة، أو أن يكونوا أمناء على طابعهم النّقلي؛ فيخالفوا على البصريّين في بعض الأصول التي يأباها هذا الطّابع، وفي الفروع والمسائل المبنيّة على هذه الأصول، ولقد اختار الكوفيّون طريق الأصالة والخلاف »[2].

وعلى هذا الاعتبار، فإنّنا نجد أنّ "تمّام حسّان"، يلاحظ أنّ النّحو العربي من خلال النّموذج البصري؛ مبني على مجموعة من المقولات، هي بمثابة أسس منهجيّة، تتلخّص في النّقاط الآتية[3]:

- الكلمة وحدة الجملة، ومن ثمّ كانت النّواة التي دارت حولها الدّراسات الصّرفيّة والمعجميّة، وذلك لاعتبارات كثيرة، أهمّها أنّ التّغيّرات الصّرفيّة من إعلال وإبدال ونقل وقلب، إنّما تصيب الكلمة دون غيرها، كما أنّها تعرّف على أنّها لفظ مفرد دالّ على معنى مفرد.

- تقسيم الكلم إلى ثلاثة أقسام: اسم وفعل وحرف؛ وهو تقسيم بحسب اعتباري المعنى والمبنى؛ فأمّا الأوّل فإنّه يظهر من تعريف النّحاة لكلّ قسم: فالاسم ما دلّ على مسمّى، والفعل ما دلّ على حدث وزمن، والحرف ما دلّ على معنى في غيره، وأما من حيث المبنى، فيبدو من قول "ابن مالِك":

---

[1] عبد الحليم معزوز، تأصيل اللّسانيّات العربيّة عند تمّام حسّان وعبد الرّحمان الحاج صالح-دراسة إبستمولوجيّة في المرجعيّة والمنهج، ص 93.

[2] تمّام حسّان، الأصول-دراسة إبستيمولوجيّة للفكر اللّغوي عند العرب-، عالم الكتب، القاهرة، 2000م، ص 37.

[3] ينظر: تمّام حسّان، إعادة وصف اللّغة العربية ألسنيًّا، أشغال ندوة اللّسانيّات واللّغة العربيّة، ص 147-154.

بالجرّ والتّنوين والنّـــــــــــدا وال ومسند للاسم تمييز حصل

بتا فعلت وأتت ويا افعلـــــــــي ونون أقبلن فعل ينجلـــي

سواهما الحرف كـ "هل" و"في" و"لم" (...)

فقد لاحظ "تمّام حسّان" أنّ هذا التّقسيم، مع أنّه يأخذ بعين الاعتبار عنصريّ المعنى والمبنى معًا، إلّا أنّه قاصر عند التّطبيق، فكلّ قسمٍ منها يشتمل –حسبه– على أقسام من الكلم، بينها اختلاف جوهري، يجعلها في الحقيقة لا تندرج معًا في قسم واحد.

– أنّ الكلمة أصل وضع يدلّ عنه، إمّا بالإعلال والإبدال، أو القلب والحذف أو الزّيادة، كما أنّ الكلمة أصل وضع قوامه، الإظهار والذّكر، والاتّصال والرّتبة بعدل عنه، بالإضمار أو الفضل، أو تقديم أو تأخير.

– إنّ من الأسس المنهجيّة التي بُني عليها النّحو العربي، جعل النّحاة أصلًا للقاعدة يلتزم في العادة، ولكي يجوز العدول عنه إلى قواعد فرعيّة، فالأصل مثلًا في المبتدأ التّعريف، وفي الخبر التّنكير، لكن يمكن العدول عنها إلى قاعدة فرعيّة، مفادها إذا أفادت النّكرة فلا يمنع الابتداء بها.

– بُني النّحو العربي على قرينة واحدة من قرائن المعنى النّحوي، وهي العلامة الإعرابيّة، وكان نتيجة ذلك اعتمادهم على مفهوم "العامل النّحوي"، الذي عدّ دعامة أساسيّة في النّحو العربي، وقسّموه إلى عوامل لفظيّة ومعنويّة، وقسّموا الإعراب إلى ظاهري وتقديري ومحلّي، وكان هذا الاعتبار بدوره خاضعًا للقاعدة الأصليّة التي يعدّل عنها إلى قاعدة فرعيّة، فالأصل في الإعراب أن يكون بالحركات وقد يعدّل عنه إلى الإعراب بالحروف، والأصل في الإعراب أيضًا أن يكون ظاهرًا ويكون العدول عنه بالتّقدير[1].

من خلال هذا البناء الذي أُسّس عليه النّحو العربي، بدأ "تمّام حسّان" مشروعه الذي يراه يقف في مقابل النّموذج البصري، في حقل الدّراسات النّحويّة العربيّة من حيث المنهج، وكذلك من حيث الموضوعات[2]، فبهذه الجهود يُحسب أنّه صحّح النّحو العربي فيقول: «لهذا فكّرت في أمر الدّراسات العربيّة القديمة من حيث المنهج لا من حيث التّفاصيل، وجعلت تفكيري في أمرها مستضيئًا بمناهج الدّراسات اللّغويّة الحديثة، فاستطعت أن أحدّد

[1] عزوز بلال، فتاتي فاتنة، الجهود اللّسانيّة عند عبد الرّحمان الحاج صالح وتمّام حسّان وأثره في تعليم اللّغة العربيّة، ص 35.

[2] ينظر: تمّام حسّان، إعادة وصف اللّغة العربيّة ألسنيًّا، ص 146.

لنفسي موطن الدّاء، وحاولت جهد الطّاقة أن أشخّصه، آملًا أن يسهل علاجه بعد ذلك على من يريدون هذا العلاج»[1]. فهو يرى أنّ الدّرس اللّغوي العربي القديم قد أصابه سقم، وهو الآن يصف له العلاج المناسب.

2-3- النّحو العربي بين المعياريّة والوصفيّة:

تُعدُّ قضيّة النّحو العربي بين المعياريّة والوصفيّة، أهمّ القضايا التي شغلت "تمّام حسّان"، فقد ناقش هذه القضية وتأثيرها على النّحو العربي القديم، فإنّه يعتبر المعياريّة الدّاء الذي أصاب النّحو العربي، ويشتكي منه معظم الدّارسين له، لذلك جعل تلقّي الدّرس اللّغوي العربي عامّةً والنّحوي خاصّةً، يقدمه خاليًا من الشّوائب التي تشوّهه، فكانت له المحاولة في توجيه الدّرس اللّغوي العربي إلى الوصفيّة، معتمدًا على المناهج الغربيّة فيقول:« فقد اتّجهت نفسي إلى دراسة المعيّاريّة والوصفيّة، حين رأيت النّاس في معظمهم يشكون داء في النّحو العربي لا يستطيعون تشخيصه، فإذا أرادوا تشخيص هذا الدّاء انصرفوا دون قصد إلى سرد أغراضه، فتكلّموا في جزيئات النّحو لا في صلب المنهج، وشتّان بين ينقد أجزاء المادّة، وبين من يريد علاج الفلسفة، التي انبنت عليها دراساتها »[2].

يوضّح انصرافه هنا من دراسة المعياريّة للنحو للدّراسة الوصفيّة؛ بُغية التّسهيل والتّيسير على الباحثين والدّارسين الخوض في هذا الحقل العلمي، واعتبر اللّسانيّون الوصفيّون العرب، المنهج الوصفي هو المنهج الأكثر موضوعيّة في دراسة اللّغة، والأقرب إلى الدقّة والعلميّة من غيره من المناهج التّقليديّة، فأصبح الوصف هو مهمّة اللّساني الأوّلى، وفق إجراءات ثلاث، هي الاستقراء والتّصنيف والتّقعيد[3].

2-4- القاعدة النّحويّة:

اللّغة أداة فهم المعاني ونقل الأفكار بين النّاس، والقصد منها هو البيان عمّا في الأذهان والإفصاح عن المقاصد والأغراض؛ فإذا انتظمت اللّغة وكانت قوانينها منضبطة، استطاع المتكلّمون بها أداء معانٍ واضحة مستبانة، من دون إشكال أو إخلال بمرادهم، وبناءً على ما للقواعد النّحويّة الكليّة من أهميّة بالغة؛ من حيث إنّها قانون ينير للمتكلّمين سبل الأداء وأساليب الخطاب، ويبصرهم بمعالم الفصاحة وحسن البيان، يؤكّد الدّكتور "تمّام حسّان": «إنّ علم النّحو وقواعده من العلوم المضبوطة، وأنّه ما سمّي صناعة إلّا لذلك؛ فهو من العلوم التي تحصّل بالتمرّن؛

---

[1] تمّام حسّان، اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة، عالم الكتب، ط4، القاهرة، 2000م، ص 11.

[2] المرجع نفسه، ص 11.

[3] عزوز بلال، فتاتي فاتنة، الجهود اللّسانيّة عند عبد الرّحمان الحاج صالح وتمّام حسّان وأثره في تعليم اللّغة العربيّة، ص 36.

أي أنّه قواعد مقرّرة وأدلّة وُجد العالم بها أو لا كما يُقال، وأصول الصّناعة أو العلم يجب أن يتحقّق فيها: الموضوعيّة، والشّمول، والتّماسك، والاقتصاد؛ والشّمول في القاعدة أي؛ تكون عامّة لا كليّة، ومعنى ذلك أنّ القاعدة لابدّ أن تنطبق على جمهرة مفرداتِها، وليس من المحتّم أن تشملها جميعًا فلا يشذّ عنها شيء »[1]. فتخصيص علم النّحو بالموضوعيّة، والشّمول، والتّماسك، والاقتصاد في القاعدة، يعدّ عمادات يجب التمسّك بها في علم النّحو.

ترتبط المعياريّة بمبدأ الصّواب والخطأ، ويرى "تمّام حسّان" أنّ هذين العنصرين« زاويتا نظر، إحداهما ترتبط بصناعة النّحو، والأخرى تتعلّق بأسلوب الاستعمال اللّغوي؛ أي أنّ إحداهما فنيّة والثّانية اجتماعيّة، فأمّا من وجهة النّظر الأسلوبيّة الاجتماعيّة؛ فالصّواب ما وافق الشّائع في الاستعمال والخطأ معاند عنه »[2]. ويجمع الأستاذ بين مبدأيّ الصّواب والخطأ، ويحضنها في الأسلوبيّة والاجتماعيّة، فما وافق الاستعمال هو صواب، وما جاء ضدّها هو خطأ.

يرى "تمّام حسّان" أنّ المعياريّة إذ تصل القاعدة تقف عندها، وتلزمها وتبطل بها كلّ بحث لاحق لها يؤدّي إلى التّعديل أو التّحويل، فالقاعدة لدى المعياريّة غاية في نفسها، وقانون ذو سلطة توجب وتجيز وتمنع، أمّا الوصفيّة فإنّها تنظر إلى اللّغة على أنّها جهاز متحرّك، يخضع للوصف في إحدى مراحله، لكنّه يتطوّر ويتحرّك مع الزّمن، فيحتاج بعد تطوّره إلى تجديد وصفه في حالته الجديدة، وبهذا لا يسمح المنهج الوصفي للنّحو أن يتجمّد في مكانه، محاولًا أن يوقّف تطوّر اللّغة ويجمّدها على حالها، وهيهات فإنّ القوانين الاجتماعيّة أقوى من قواعد النّحو، ومن أماني رجال النّحو »[3]. المعياريّة حكم إجباري للقاعدة النّحويّة والوصفيّة، تنظر للقاعدة عنصر متحرّك، يتحكّم فيه الزّمن لذلك ليست ثابتة؛ بل هي متغيّرة[4].

كما يضيف "تمّام حسّان" عن القاعدة المعيّاريّة« تنكر إذًا أن تكون القاعدة معيارًا في يد النّحوي، وإن وُجب لها أن تكون معيارًا في يد معلّم النّحو، معنى هذا أنّه يُطلب إلى النّحوي أن يقول: العرب تقول كذا وتقدّم هذا على ذلك، وترفع هذا وتنصب ذاك (...)، ولا يقبل إلّا من المعلّم أن يقول يجب كذا ويمنع كذا (...)، فالباحث يستنبط القاعدة بالمنهج التّعليمي على هذا الاستعمال (المسموع، والمعلّم يرفضها بالمنهج التّعليمي على

---

[1] تمّام حسّان، اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة، ص 123.

[2] تمّام حسّان، درجات الصّواب والخطأ في النّحو والأسلوب، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة، ج56، مصر، ماي 1975م، ص 55.

[3] تمّام حسّان، اجتهادات لغويّة، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2007م، ص 13-14.

[4] عزوز بلال، فتاتي فاتنة، الجهود اللّسانيّة عند عبد الرّحمان الحاج صالح وتمّام حسّان وأثره في تعليم اللّغة العربيّة، ص 37.

هذا الاستعمال نفسه»[1]، من هذا التّعريف فمفهوم القاعدة تجابه المعياريّة والوصفيّة؛ فتصف الجهد اللّغوي بالمعياريّة إذا كانت القاعدة فيه غاية، وتقعيد الوصفيّة يكون بعد الملاحظة والاستقراء والاستنباط.

وينتهي "تمّام حسّان" من تفريقه بين القاعدة من وجهة نظر المعياريّة والوصفيّة؛ بتحديد أمور يجب على الباحث مراعاتها عند التّقعيد، تتلخّص في النّقاط التّالية[2]:

– القاعدة وصف لسلوك عملي معيّن في تركيب اللّغة، ويلاحظ أي يكون هذا السّلوك مطّردًا، حتّى يعبّر عنه بالقاعدة.

– أنّ القاعدة لهذا السّبب جزء من المنهج لا جزء من اللّغة.

– لابدّ أن تتّصف بالعموم، ولكنّها ليست من الضّروري أن تتّصف بالشّمول؛ أي أن تكون عامّة لا كلّية.

– أن تكون القاعدة مختصرة قدر الطّاقة، فإذا طالت فقدت عنصرًا مهمًّا، من عناصر كفايتها وفائدتها العلميّة. وما دامت القاعدة نتيجة من نتائج الاستقراء، فمن الضّروري إيراد الشّواهد والأمثلة التي جرى عليها الاستقراء، لتكون سند للقواعد وأيضًا حالها، ويحسن أن تكون هذه الشّواهد والأمثلة الكثيرة إلى حدٍّ ما[3].

من خلال دراسة أعمال الأستاذ "تمّام حسّان" اللّغوية، نستنتج أنّه ساهم بشكلٍ كبيرٍ في تجديد النّحو العربي، فهو يعتبر من روّاد التّجديد، ضف إلى ذلك أنّه هو من قام بأكبر محاولة في ترتيب الأفكار والنّظريّات اللّغويّة بعد "سيبويه" و"الجرجاني"، رغم أنّ كتبه لم توضع ضمن قائمة أُمَّات الكتب، إلّا كتابه "اللّغة العربيّة معناها ومبناها"، فقد استطاع "تمّام حسّان" التّجديد في النّحو العربي وتيسيره على الباحثين في اللّغة العربيّة وقواعدها، وإخراجه وصياغته بطريقة جديدة، فقد طالب بتسهيل قواعد اللّغة، كما حاول تطبيق المنهج الوصفي الغربي في كتابه "اللّغة العربيّة معناها ومبناها".

وخلاصة ما قيل سابقًا إنَّ بحوث "الحاج صالح" تتميّز بالاحترافيّة والتّميّز، كونها تجعل سلطة العلم المقياس الوحيد في نقد القضايا، فنظرته نظرة متفحّصة يقدّم العمل بالأدلّة المقنعة، بحث في علوم اللّسان، مستنطقًا

---

[1] تمّام حسّان، درجات الصّواب والخطأ في النّحو والأسلوب، ص 55.

[2] تمّام حسّان، اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة، ص 158-159.

[3] عزوز بلال، فتاتي فاتنة، الجهود اللّسانيّة عند عبد الرّحمان الحاج صالح وتمّام حسّان وأثره في تعليم اللّغة العربيّة، ص 38.

النّصوص القديمة والحديثة بكلّ اللّغات فشمل بحثه في اللّسانيّات، كما لاحظنا المفهوم والموضوع الأساسي للّسانيّات والمصطلحات المستعملة، وصولًا إلى نظريّته اللّسانيّة الحديثة المتمثّلة في النّظريّة الخليليّة، أسّس لها مبادئها وقواعدها الخاصّة، إضافةً إلى أعمال أخرى كالذّخيرة اللّغويّة، وصناعة المعاجم وغيرها[1].

وكان ممّا سبق عرض بعض الآراء اللّغويّة والنّحويّة التي تميّز بها "تمّام حسّان"، وطبعت مسيرته العلميّة، وكيف استنطق التّراث اللّغوي العربي، وأعاد دراسته بمناهج غربيّة حديثة، وساعده في ذلك امتلاكه للثّقافة العربيّة والثّقافة الغربيّة، فتولّدت عنه آراء وأفكار جديدة، كان لها الصّدى العميق عند المهتمّين بالدّرس اللّغوي العربي الحديث، فانقسموا إلى مؤيّدين ومتأثّرين بأفكاره، ومعارضين له ولما جاء به.

ويظلّ ما قدّمه الأستاذ "تمّام" و"الحاج صالح" للدّرس اللّغوي، عبارة عن إحياء للبحوث في هذا العلم، بعدما أصابها الرّكود والتّلاشي، ساعدتهم في تدوير عجلة الزّمن نحو البحث والتعمّق في الموروث اللّغوي العربي القديم من جهة، ومواكبة تطوّر اللّسانيّات ومناهجها من جهة أخرى.

[1] عزوز بلال، فتاتي فاتنة، الجهود اللّسانيّة عند عبد الرّحمان الحاج صالح وتمّام حسّان وأثره في تعليم اللّغة العربيّة، ص 40.

الفصل الثّالث:

ملامح الدّرس اللّساني العربي المعاصر عند مصطفى غلفان.

المبحث الأوّل: قضايا اللّسانيّات العربيّة من خلال كتابيّ: "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج"، و"اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة"، لـمصطفى غلفان.

بعد ظهور اللّسانيّات في العالم مطلع القرن العشرين للميلاد، اشتغل العديد من الباحثين في مجال الظّواهر اللّغويّة، فكانت محور البحث اللّغوي الحديث، بعد ذلك انتقلت اللّسانيّات إلى الثّقافة العربيّة، فساهمت بشكلٍ كبيرٍ، في ترقية وتصويب الدّرس اللّساني العربي الحديث، فأصبحت محور البحث لدى الباحثين العرب، الذين قاموا بتعريف وتقديم هذا العلم الجديد إلى القارئ العربي، ومن أبرز هؤلاء الباحثين نجد الباحث اللّساني المغربي "مصطفى غلفان"، الذي تأثّر باللّسانيّات الغربيّة ونظريّاتها، فتعمّق في دراستها والبحث فيها لتعديل نظريّاتها لِما يُناسب اللّغة العربيّة.

ومن خلال هذا الفصل سنحاول الكشف عن جهود "مصطفى غلفان"، في اللّسانيّات ومساهمته في تقديم اللّسانيّات للقارئ العربي، ومآخذ بعض الباحثين عليه من خلال دراسة بعض كتبه، وتسليط الضّوء خاصّة على كتابه "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج".

1- مصطفى غلفان في سطور:

1-1- نشأته، ودراسته: "مصطفى غلفان"، ناقد وباحث لساني مغربي، أستاذ في التّعليم العالي، من مواليد 09 ماي 1952م، بالدّار البيضاء، متحصّل على دكتوراه السّلك الثّالث في اللّسانيّات العامّة في جامعة باريس، وكان ذلك سنة 1998م، ثمّ تحصّل على دكتوراه في اللّسانيّات من جامعة الحَسن الثّاني، بعين الشّقّ-الدّار البيضاء، بعد إحدى عشرة سنة[1].

عمل أستاذًا في التّعليم العالي سابقًا، بكلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بمراكش، ثمّ الدّار البيضاء-عين الشّقّ. وكان عضوًا للهيئة الإستشاريّة بمجلّة الدّراسات المعجميّة بالرّباط في المغرب، كما كان عضوًا سابقًا في عددٍ من مجموعات البحث والتّكوين، بكلّيّات الآداب المغربيّة[2].

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات البنيويّة: منهجيّات واتّجاهات، صفحة ما بعد الغلاف. بتصرّف.

[2] مصطفى غلفان، اللّغة واللّسان والعلامة عند سوسير (في ضوء المصادر الأصول)، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، بيروت-لبنان، 2017م، صفحة ما بعد الغلاف.

ويُعدّ من بين أهمّ الباحثين اللّسانيّين الذين عرّفوا القارئ العربي بأساسيّات اللّسانيّات الغربيّة، من خلال كتاباته اللّسانيّة الشّهيرة، مترصّدًا بدايات نشأة اللّسانيّات ومفهومِها، وكذلك أهمّ مدارسها واتّجاهاتها من "سوسير" إلى "تشومسكي"، معتمِدًا منهج الوصف والتّحليل لأبرز الأسس التي قامت عليها[1].

1-2- مؤلَّفاته:

ألَّف غلفان كتبًا كثيرةً، ومقالاتٍ منشورةٍ في المجلاّت المحكَّمة، إضافةً إلى ما قدّمه في المؤتمرات، فنشر ما يزيد عن ثلاثين دراسة علميّة في مختلف المجالات اللّغويّة، اللّسانيّات العامّة، واللّسانيات العربيّة، ومعجمات اللّسانيّات ومصطلحاتها، فكان منها ما يأتي:

- اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة: حفريّات في النّشأة والتّكوين، الدّار البيضاء، مكتبة المدارس، المغرب، 2006م[2]. احتوى هذا الكتاب سبعة فصول، اختصّت بالحديث عن بدايات اللّسانيّات عند العرب وأهمّ المؤلّفات، كما عالج فيها بعض القضايا مثل: كيفيّة الارتقاء باللّغة العربيّة، إضافةً إلى تتبّعه للنّشاط اللّغوي قبل الظّهور الفعلي للّسانيّات، ثمّ مُلابسات ظهور هذه الأخيرة، والمشكلات التي وقفت أمامه، مثل: المصطلح، التسمية...إلخ

- اللّسانيّات العربيّة الحديثة، دراسة نقديّة في المصادر، والأُسس النّظريّة والمنهجيّة، الدّار البيضاء، منشورات كلّيّة الآداب، عين الشّقّ، 1998م، ط2، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، 2017م[3]. وهذا الكتاب مجْتزأ من رسالته للدّكتوراه، يحتوي على تسعة فصول، تطرّق فيها غلفان إلى مسألة التّراث، وكيفيّة التّحليل اللّساني، ثمّ رصد الاِتّجاهات الكبرى للبحث اللّساني: البنيوي، والتّوليدي التّحويلي، وكذلك التّداولي.

- اللّسانيّات التّوليديّة 1: الأسس النّظريّة والمنهجيّة، عمّان، كنوز المعرفة، 2016م.

- اللّسانيّات التّوليديّة 2: تطوّر النّماذج التّوليديّة، عمّان، كنوز المعرفة، 2016م.

---

[1] أحلام سعيدي، مصطفى غلفان وجهوده في تقديم اللّسانيّات للقارئ العربي-قراءة في بعض كتاباته-، مجلّة المقرئ للدّراسات اللّغويّة النّظريّة والتّطبيقيّة، مج3، ع5، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2019م، ص 140.

[2] مصطفى غلفان، اللّغة واللّسان والعَلامة عند سوسير (في ضوء المصادر الأصول)، صفحة ما بعد الغلاف.

[3] مصطفى غلفان، اللّسانيّات البنيويّة-منهجيّات واتّجاهات، صفحة ما بعد الغلاف.

• لسانيّات سوسير في سياق التّلقّي الجديد، بيروت، دار الكتاب المتّحدة، 2017م[1].

• اللّسانيّات العربيّة الحديثة: أسئلة المنهج، عمّان، دار وِرد للنّشر والتّوزيع، 2011م، (منشورات فريق البحث في اللّغة والتّواصل والحجاج، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، جامعة اِبن زهر، أكادير)[2].

ولا يقلّ هذا الكتاب أهميّة عن سابقيه، حيث احتوى على ثمانيّة فصول، عالج فيها بعض القضايا اللّسانيّة، لا سيما ما تعلّق منها بالتّراث، حيث تساءل فيه عن قضيّة تعدّد المناهج في اللّسانيّات العربيّة، وسعى إلى تصنيفها مع بقاء هذا الإشكال مطروحًا بالنّسبة إليه، وخاصّة أنّ المنهج لا يتعدّد بتعدّد الباحثين اللّغويّين فحسب؛ بل إنّنا قد نصادف لكلّ باحث يعتمد على منهجين أو أكثر في مسيرته العلميّة البحثيّة[3]. وهو كتاب مفيد جدًّا، يُوضّح الرّؤية المنهجيّة لكلّ باحثٍ لسانيٍّ. فهو الكتاب الذي اعتمدنا عليه في بحثنا هذا.

2- قضايا اللّسانيّات العربيّة من خلال كتابيّ: "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج"، و"اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة"، لـمصطفى غلفان":

تطرّق "مصطفى غلفان" في هذين الكتابين، إلى عدّة قضايا تتعلّق باللّسانيّات العربيّة منذ بداية نشأتها، وواقع الدّراسات اللّغويّة وإشكاليّاتها؛ فكتابه "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج"، صُدر سنة 2013م عن دار وِرد الأردنيّة للنّشر والتّوزيع، يتكوّن من 278 صفحة.

وقسّم غلفان كتابه على« ثمانيّة فصول، الفصل الأوّل عبارة عن مدخل تمهيدي، والفصل الثّاني بعنوان اللّسانيّات العربيّة: رُؤية نقديّة منهجيّة، أمّا الفصل الثّالث جاء بعنوان حفريّات الفرص الضّائعة، والفصل الرّابع بعنوان أزمة اللّسانيّات العربيّة من خلال بعض الكتابات العربيّة، والفصل الخامس بعنوان النّحو واللّسانيّات أيّة علاقة؟ أمّا الفصل السّادس فجاء بعنوان من التّراث اللّغوي إلى اللّسانيّات، والفصل السّابع بعنوان الجرجاني في كتابة اللّغويّين العرب: تعدّدت القراءات والرّجل واحد، أمّا الفصل الثّامن جاء بعنوان تدريس اللّسانيات باللّغة العربيّة»[4].

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات البنيويّة-منهجيّات وإتّجاهات، صفحة ما بعد الغلاف

[2] المرجع نفسه، صفحة ما بعد الغلاف.

[3] أحلام سعيدي، مصطفى غلفان وجهوده في تقديم اللّسانيّات للقارئ العربي-قراءة في بعض كتاباته-، ص 140.

[4] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة -أسئلة المنهج، دار وِرد الأردنيّة للنّشر والتّوزيع، ط1، عمّان، 2013م، صفحة فهرس الكتاب.

أمّا بالنّسبة لكتاب "اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة حفريّات النّشأة والتّكوين"، الذي صدر سنة 2006م عن شركه النّشر والتّوزيع، فيتكوّن من 186 صفحة. قسّمه "غلفان" على سبعة فصول تناول فيها، نشأة وتطوّر الدّرس اللّساني العربي الحديث في جميع مراحله، وقد تطرّق الباحث في كتابه إلى عدّة قضايا مهمّة، حيث تناولها وفقًا لهذا الترتيب:

2-1- قضيّة واقع الدّراسات اللّسانيّة العربيّة الحديثة:

عرض "مصطفى غلفان" قضيّة واقع الدّراسات اللّسانيّة العربيّة الحديثة في كتابه "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج"، حيث أنّ اللّسانيّات العربيّة الحديثة مرّت بالعديد من المراحل المتشعّبة منذ أن تعرّفت الثّقافة العربيّة على اللّسانيّات الغربيّة، فاستيعاب اللّغويّون العرب المحدثين الأوائل، وإلمامهم بمبادئ اللّسانيّات وفرضيّاتها النّظريّة، لم يكن بالشّكل الكافي، ولهذا يرى "غلفان" أنّهم لم يقدّموا كتابات في مبادئ اللّسانيّات بصورة شاملة، إلاّ ما صنعه "تمّام حسّان" في "مناهج البحث في اللّغة" و"اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة"، أو "محمود السّعران" في "علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي"، فيرى غلفان أنّه« لا أحد يمكنه أن يُنكر قيمة هذه المؤلّفات، التي أسهمت حينئذٍ في توضيح الأُسس النّظريّة والمنهجيّة، التي قامت عليها اللّسانيّات في صورتها الوصفيّة، موازنةً بالخطاب اللّغوي العربي القديم، لكنّ الدّراسات العربيّة التي ظهرت في نهاية القرن العشرين للميلاد وبداية القرن الحالي، لم تَأخذ في الحُسبان ما حصل من تطوّر نوعي في اللّسانيّات العامّة، وفي الدّراسات اللّغويّة العربيّة »[1].

إنّ جهود اللّغويّين العرب المحدثين الأوائل، لم تكن كافية لتقديم المبادئ اللّسانيّة للقارئ العربي بصورتها الحديثة، كما أنّ المؤلّفات التي ظهرت بعد "تمّام حسّان" و"محمود السّعران"، لم تُواكب التّطوّرات التي عرفتها اللّسانيّات الغربيّة، خاصّة فيما يتعلّق بالمسارين النّظري والمنهجي، وهذه الكتابات اللّسانيّة العربيّة المعاصرة تشير إلى أنّ الدّرس اللّساني العربي الحديث، يعرف أزمة حقيقيّة تُعرقل قيام اللّسانيّات العربيّة في المستوى العلمي الدّقيق، ففي وِجهة نظر "مصطفى غلفان" أنّ أزمة اللّسانيّات العربيّة الحديثة تكمن في الصّراعات الفكريّة والثّقافيّة بين البلدان العربيّة، وتغلّب الذّاتيّة في البحث اللّساني العربي الحديث، بالإضافة إلى التّراكم المعرفي الذي شهدته اللّسانيّات العربيّة في هذا المجال، فيرى "غلفان" ضرورة إعادة النّظر في الأُسس والمبادئ التي تقوم عليها اللّسانيّات، حيث قسّم

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة -أسئلة المنهج، ص 40.

عوائق اللّسانيّات العربيّة إلى نوعين:« عوائق خارجيّة أو مادّيّة؛ تتعلّق بالمحيط المادّي الذي يعترض سبيل البحث العلمي عامّة في الوطن العربي، بينما ترتبط العوائق الدّاخليّة بكون الدّرس اللّساني العربي كبناء نظري ومنهجي»[1].

إنّ العوائق المادّية عرقلت بشكلٍ كبيرٍ مسار الدّرس اللّساني العربي، حيث أنّ مؤسّسات البحث العلميّة في أغلب الدّول العربيّة لم تدعم الباحثين ماديًّا لإكمال مشاريعهم اللّسانيّة؛ لهذا نرى أنّ أغلب تلك المشاريع توقّفت ولم تكتمل، بالإضافة إلى غياب الجانب التّطبيقي على البحوث اللّسانيّة العربيّة، كذلك اقتصار الباحثين اللّسانيّين العرب على الجانب النظري فقط، وهذا الأمر أدّى إلى عرقلة تطوّر الدّرس اللّساني العربي الحديث، ويندرج ضمن العوائق المادّية ما يلي[2]:

- سوسيولوجيّة البحث العلمي في الوطن العربي[3]، وهي مسألة لا تقتصر على اللّسانيّات؛ بل تشمل جميع فروع المعرفة العلميّة في جميع البلدان العربيّة.

- مستوى تدريس اللّسانيّات في رحاب الجامعات العربيّة.

- غياب النّقد اللّساني الموضوعي؛ فاللّساني العربي يُجامل أو يُسَبّ، وليس هناك متابعة نقديّة موضوعيّة مستمرّة، تعرِّف وتوضِّح ما يُنشر في الثّقافة العربيّة، بين الفينة والأخرى من كتابات لسانيّة.

كما اعترض البحث اللّساني العربي الحديث عدّة عوائق منها: مادّية جعلت المشاريع العلميّة مشاريع فرديّة، ولم تتبنّاها أيّ هيئات أو مؤسّسات علميّة، بالإضافة إلى أزمة في المبادئ الفكريّة والنظريّة والمنهجيّة لهذا العلم، ويرى "غلفان" أنّ اللّسانيّات العربيّة الحديثة تعيش هيمنة مزدوجة، هي هيمنة التّراث اللّغوي العربي القديم، وهيمنة الدّراسات اللّسانيّة الغربيّة الحديثة؛ حيث شكّلت هذه الازدواجيّة أزمة في الدّرس اللّساني العربي الحديث؛ نتج عنها عدّة تصوّرات للعمل اللساني العربي وهي:

- التمسّك الكلّي بالتراث اللّغوي العربي القديم.

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 120.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيّات واللّغة العربيّة، دار توبقال للنّشر، ج1، الدّار البيضاء، 1985م، ص 61.

- الإتّباع المطلق للّسانيّات الغربيّة الحديثة.

- التّسوية بين التّراث اللّغوي العربي القديم، والدّراسات اللّسانيّة الغربيّة الحديثة.

إنّ هذه التّصوّرات كانت لها تأثيرًا واضحًا على اللّسانيّات العربيّة، من خلال تشعّب الآراء في كيفيّة وطريقة تناول الظّواهر اللّغويّة، على مستوى المناهج المتّبعة فيها، فإنّ هذه الأزمة تعكس الفكر العربي الحديث بمستوياته الفكريّة، والثّقافيّة، والسّياسيّة، والاجتماعيّة، لهذا يجب على الباحثين اللّسانيّين العرب، أن يجدوا طريقًا لخروج الدّرس اللّساني العربي الحديث من أزمته، وهذا من خلال استقلاليّة اللّسانيّات العربيّة على هيمنة التّراث العربي القديم؛ أي «القدرة على التّعامل مع قضايا اللّغة العربيّة، واتّخاذ المواقف النّظريّة والمنهجيّة المناسِبة؛ أي خارج أيّة استعادة تأمليّة للتّراث اللّغوي، تفضي إلى فرض إملاءات التّراث وإكراهاته على الحاضر. ويتعيّن علينا البحث عن مقاربات لغويّة للّغة العربيّة، لا تكرّر القديم بأسلوب حديث، ولا تنسخ الفكر اللّساني الحديث، بطريقة حرفيّة وعمياء »[1]، فإنّ لتحقيق الهويّة الخاصّة باللّسانيّات العربيّة، يجب أن تتمتّع بالاستقلاليّة التي تمكّنها من الاستغناء عن التّراث اللّغوي العربي القديم، وكذا التّقليد الأعمى للّسانيّات الغربيّة الحديثة، فيعتقد "غلفان" أنّه لتأسيس البحث اللّساني العربي الحديث بمواصفات علميّة؛ ينبغي عدم تبنّي أيّ نموذج لساني لأسباب ذاتيّة، بالإضافة إلى تقديم اللّسانيّات إلى القارئ العربي، وتطبيقها على اللّغة العربيّة الذي يعتبره "غلفان" أمرًا إيجابيًّا ينبغي استمراره لكنّ« الأهمّ هو أن نسعى إلى خلق ثقافة لسانيّة عربيّة جديدة، تتجاوز حدود التّعامل مع نسق اللّغة العربيّة؛ لمعانقة حقول معرفيّة أخرى، في الواقع العربيّة تتعلّق بفحص المظاهر الاجتماعيّة والنّفسيّة والأنثروبولوجيّة، الملازمة للظّاهرة اللّغويّة في حضن المجتمع العربي أو المترتّبة عنها »[2]. فيرى "غلفان" أنّ الدّراسة اللّغويّة العربيّة بحاجة إلى دراسات تتعلّق باكتساب اللّغة العربيّة، وعلاقاتها باللّهجات العربيّة واللّغات الأجنبيّة.

فهذا هو الجانب التّطبيقي من اللّسانيّات، الذي يُعتبر غائبًا كلّيًّا في الدّراسات اللّسانيّة العربيّة الحديثة، فيرى من الضّروريّ أن« ننطلق من اللّسانيّات باعتبارها ثقافة معاصرة، تقدّم أدوات تصوّريّة ومنهجيّة مضبوطة ذات

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 50.

[2] المرجع نفسه، ص 52.

مردوديّة في تحديد الظّواهر اللّغويّة، ومن ثمّ نحاول اختبار جداولها وامكاناتها النّظريّة والمنهجيّة، بالنّسبة للّغة العربيّة»[1].

إذن على الباحثين اللّسانيّين العرب، أن يستوعبوا ما تقدّمه اللّسانيّات من مضامين معرفيّة، ومناهج ونظريّات جديدة لخلق لسانيّات عربيّة جديدة، تتناول وتدرس الواقع اللّغوي العربي، بطريقة علميّة دقيقة كما هو الحال في الدّراسات اللّسانيّة الغربيّة الحديثة.

2-2- قضيّة المصطلح وإشكالاته:

تطرّق "مصطفى غلفان في كتابه "اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة حفريّات النّشأة والتّكوين"، وكتابه "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج"، إلى الفوضى المصطلحيّة التي شهدها الدّرس اللّساني العربي الحديث، فإنّ واقع الدّراسات اللّسانيّة العربيّة الحديثة، تميّز بتعدّد المصطلح اللّساني، وهذا خلق خلطًا وإرباكًا لدى القارئ العربي، من حيث بحثه عن المصطلحات اللّسانيّة الأجدر بالاستعمال؛ ومن أسباب تشتّت المصطلح اللّساني العربي الحديث:

الاعتماد على مصطلحات التّراث اللّغوي العربي القديم، بالإضافة إلى ارتباط وضع المصطلح اللّساني بجهود فرديّة من اللّسانيّين العرب، ومن أمثلة تعدّد المصطلح اللّساني العربي الحديث نجد مصطلح اللّسانيّات (Linguistique)، لديه العديد من المفردات العربيّة مثل اللّسانيّات، اللألسنيّة، علم اللّغة (...). سعت المجامع اللّغويّة إلى توحيد المصطلح، حيث« تمّ الاتّفاق على مصطلح اللّسانيّات، والتّخلّي عن غيره من المصطلحات التي تثير كثيرًا من الغموض والالتباس، وعلى الرّغم من اجتماع الدّارسين اللّسانيّين العرب حول ضرورة تداول مصطلح اللّسانيّات، ما فتئ عددٌ غير قليل لا سيما في المشرق العربي، استعمال مصطلح "فقه اللّغة" و"علم اللّغة"، دون مراعاة عواقب استعمال المصطلح القديم في سياقٍ حديث »[2]، فظاهرة تعدّد المصطلح تنفرد بها الثّقافة العربيّة الحديثة، وذلك للصّراعات الثّقافيّة بين الدّول العربيّة، وغلبة الذّاتيّة والأنانيّة في وضع المصطلح، وأنَّ توظيف مصطلح قديم لمفهوم حديث، يزيد من الصّعوبات والغموض ضدّ الدّارسين، وذلك لعدم التّمييز بين البحث اللّغوي القديم، والبحث اللّساني الجديد.

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 53.

[2] مصطفى غلفان، اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة حفريّات النّشأة والتّكوين، ص 151.

وفي الثّقافة اللّغويّة العربيّة الحديثة، تمّ طرح الكثير من المصطلحات التي تشير إلى مفاهيم الدّراسات اللّسانيّة الحديثة ومناهجها، والتي تهتمّ بدراسة اللّغة دراسة علميّة حديثة، وتختلف هذه المصطلحات من بلد إلى آخر، أحيانًا يكون الاختلاف حتّى في البلد الواحد، فقد حدث الالتباس بين المصطلحات، ومنها مصطلح "اللّغة" (Languageو"اللّسان" (Langue) ، حيث يرى "غلفان" أنّه« من المفترض أن يقيم الدّارسون العرب المحدثون، الفرق بين مختلف هذه التّسميات، لا سيما بين مصطلحي "لغة" و"لسان"، بالنّظر إلى وجود هذا الفرق في الأدبيّات اللّسانيّة العامّة، وخاصّةً في إطار اللّسانيّات الفرنسيّة ذات المنحى البنيوي المنبثق من فكر سوسير »[1]، فإنّ الباحثين العرب المحدثين لا يميّزون بين مصطلحي "لغة" و"لسان"، وهذا راجع لتكوين الباحثين اللّسانيّين العرب، منهم من تكوّن ضمن الجامعات الفرنسيّة، ومنهم من تكوّن في الجامعات الإنجليزيّة، وهذه الجامعات لديهم فرق في المناهج الجديدة، وهذا لاختلاف المدارس اللّسانية الحديثة، بالإضافة إلى اختلاط المصطلحات الحديثة، بالمصطلحات اللّغويّة العربيّة القديمة.

كما طرح "غلفان" مسألة أخرى حول عبارات "البحث اللّساني"، و"الفكر اللّساني"، و"التّفكير اللّساني"، و"الدّراسات اللّسانية"، فيرجع هذا الاختلاف في المصطلحات إلى انعدام الدّقة في وضع المصطلحات والاعتباطيّة في الاستعمال، كما أنّه يرى وجود فرق بين "البحث اللّغوي الحديث" و"البحث اللّساني"؛ ويرجع هذا الفرق حسب "غلفان" لوجود الخلط المصطلحي بين "لغة" و"لسان"، لهذا ظهرت عدّة تسميات عند الباحثين اللّسانيّين العرب، فهذا التشتّت في التّسميات جعل القارئ العربي، لا يميّز بين الدّراسات العربيّة القديمة والحديثة.

وظهر استعمال المصطلحين "اللّسانيّات العربيّة"، و"لسانيّات عربيّة" في الثّقافة العربيّة، حيث استُعمِل مصطلح "اللّسانيّات العربيّة" بكثرة في الكتابات "اللّسانيّة العربيّة"، مقارنةً بمصطلح "لسانيّات عربيّة"، إذ يرى "غلفان" أنّ استعمال المصطلح الأوّل استعمالًا معرفيًا مُرضيًا، من بعض اللّغويّين العرب الذين تمسّكوا بالتّراث اللّغوي العربي القديم، وأغلب كتبهم اللّسانيّة غامضة نظريًّا ومنهجيًّا، لهذا يجد "غلفان" أنّ هذه التّسميات تحتاج إلى« توضيح نظري ومنهجي، حتّى تكون لها قيمتها الإجرائيّة المستمدّة من استعمال اصطلاحي مضبوط »[2].

تطرّق "غلفان" إلى مصطلح "اللّسانيّات" واستعمالها عند الدّارسين العرب، فإنّ مصطلح اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة من منظور اللّغويّين العرب؛ أنّها تعبّر عن الدّراسات اللّغويّة العربيّة التي تتميّز بعدم الدّقة في دراسة

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 42.

[2] المرجع نفسه، ص 44.

الظّواهر اللّغويّة، على عكس الدّارسين الغربيّين الذين يعتبرون أنّ اللّسانيّات هي الدّراسة العلميّة الدّقيقة للّغة، ونتيجة عدم إدراك المفهوم الصّحيح لمصطلح اللّسانيّات عند اللّغويّين العرب، الذين يعتقدون أنّ اللّسانيّات الحديثة هي الدّراسات النّحويّة واللّغويّة القديمة؛ لهذا سارعوا بربط اللّسانيّات بالتّراث اللّغوي العربي القديم، وهذا الرّبط في رأي "غلفان" هو بسيط وساذج، لم يحقّق انجازات في البحث اللّساني العربي الحديث.

كما ميّز "غلفان" بين مصطلحيّ "التّفكير العربي اللّساني" و"التّفكير اللّساني العربي"، موضّحًا أنّه« ينبغي أن نكوّن ونشكّل فكرًا عربيًّا في اللّسانيّات، وليس فكرًا لسانيًّا نفرضه على العربيّة »[1]، فإنّ المصطلح الأوّل يدعو إلى خلق فكر عربي جديد، صميمه اللّغة العربيّة ونظريّاتها، أمّا المصطلح الثّاني فهو عبارة عن نقل وترجمة اللّسانيّات الغربيّة، ووضعها في قالب عربي، وهذا هو الفرق الجوهري بينهما.

أطلق الدّارسون العرب هذه التّسميّات دون ضبط منهجي دقيق، وهذا لعدم إلمامهم الدّقيق والكامل بهذا العلم الحديث، وكذلك خلطه بالتّراث اللّغوي العربي القديم، فأصبحوا لا يميّزون بين المصطلحات اللّغويّة العربيّة القديمة، والمصطلحات اللّسانيّة الحديثة، وهذه الفوضى في المصطلحات اللّسانيّة العربيّة؛ أدّت إلى نتائج وخيمة على القارئ العربي؛ حيث شكّلت له هذه المصطلحات المبهمة صعوبة في تلقّي اللّسانيّات العربيّة.

2-3- قضيّة الدّرس اللّغوي العربي والاستشراق:

تطرّق "مصطفى غلفان" إلى هذه القضيّة في كتابيه "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج"، و"اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة حفريّات النّشأة والتّكوين"، حيث شكّل اهتمام الغرب بالثّقافة العربيّة واللّغة العربيّة، في إطار ما عُرف بالحركة الاستشراقيّة تنميةً في البحث اللّغوي العربي الحديث، حيث تمّ تزويده بالمناهج والنّظريّات العلميّة الجديدة؛ فقد ساهمت الأعمال الاستشراقيّة في نشأة الفكر اللّغوي الحديث وتطويره، فلا يمكن إنكار أنّ المستشرقين فتحوا مرحلة جديدة من البحث في القضايا اللّغويّة العربيّة في جميع مستوياتها، فالدّرس اللّغوي العربي لم يستطع معالجة هذه القضايا مثل ما قام به المستشرقين، وارتبط انتداب المستشرقين للجامعات العربيّة للتّدريس بها، بخلوّ قسم اللّغة العربيّة من الأخصّائيّين في مجال الدّراسات اللّسانيّة الحديثة، ودعا معظم المستشرقين الباحثين العرب إلى الاطّلاع على مبادئ اللّسانيّات الغربيّة الحديثة، وتبنّي مناهجها ونظريّاتها في دراسة اللّغة العربيّة، وفي هذا الإطار يرى "غلفان" أنّ« ما قام به المستشرقون من نشاط فيلولوجي، يختلف كلّيًّا عمّا دُرج القيام به في الثّقافة اللّغويّة

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 46.

العربيّة، فلم يكن لأعمالهم أيّ أثر بعيد في تحليل انساق اللّغة العربيّة، وتغيير أسلوب دراستها »[1]، فالجامعات العربيّة لم تتمكّن من نشر الفِكر اللّساني الجديد؛ بحيث لم تتغيّر قضايا اللّغة العربيّة، إلّا بعض المحاولات في تيسير النّحو العربي، لأنّ جهود المستشرقين ظلّت حبيسة جدران مكتبات الجامعات، ولم يستثمرها الباحثين العرب في ترقية اللّغة العربيّة، وذلك للخلفيّات السّلبيّة التي رافقت المستشرقين، بأنّهم يحملون علمًا مضادًّا للّغة العربيّة، ونظرة الشّك هذه جاءت خاصّةً، عندما دعوا إلى أفضليّة استعمال اللّهجات العربيّة في التّعليم، بدل اللّغة العربيّة الفصحى لهذا« احتدم الصّراع الفكري والسّياسي حول اللّغة العربيّة الفصحى في علاقتها باللّهجات العربيّة، ممّا أدّى إلى نوعٍ من التعصّب الفكري والانغلاق والتشبّث بالقديم والتّقليد، مخافةً ممّا يفِد من آراء أجنبيّة حول اللّغة العربيّة »[2].

إنّ نظرة العرب للحركة الاستشراقيّة، كانت نظرة شكّ في نوايا المستشرقين اتّجاه اللّغة العربيّة، خاصّةً وأنّهم جاءوا بفكر جديد مناهض للّغة العربيّة الفصحى، ويسعى إلى زوالها وعدم استعمالها في المدارس والجامعات، واستبدالها باللّهجات العربيّة التي لا تخضع لقواعد النّحو العربي، وعلى الرّغم من أنّ المستشرقين كانوا من دعاة استعمال اللّهجات العربيّة؛ إلّا أنّهم اهتمّوا بقضايا اللّغة العربيّة الفصحى، كونها لغة مرتبطة بالقرآن الكريم فهي صالحة لكلّ زمان ومكان، لأنّه لا يمكن قراءة القرآن الكريم إلّا باللّغة العربيّة الفصحى؛ وهي الوحيدة الجائزة في العبادة، فيرى "غلفان" أنّ« العربيّة تفوّقت تفوّقًا كبيرًا على كلّ اللّغات التي يتكلّمها المسلمون، وقد أصبحت هي الأدبيّة المشتركة التي لها المكانة وحدها في معظم الأحوال، لذلك يعطي البحث اللّغوي والاستشراقي أهمّية كبرى للقرآن ولغته، باعتباره أصدق مقياس للبحث في لغة العرب في عصر ظهور الإسلام »[3]، اعتبر "غلفان" أنّ القراءات القرآنيّة من أسباب اهتمام المستشرقين باللّغة العربيّة؛ كونها وسيلة تساهم في البحث عن نشأة اللّغة العربيّة وتطوّرها، خاصّة وأنّ القراءات القرآنيّة مرتبطة باللّهجات العربيّة القديمة، بالإضافة إلى اهتمام المستشرقين باللّغة العربيّة الأدبيّة، كالشّعر الجاهلي والأحاديث النّبويّة الشّريفة، لكونها مادّة تعتبر دراستها أقرب إلى الواقع اللّغوي، وهي تفيد كثيرًا في البحث اللّساني.

ومن أبرز مساهمات المستشرقين في اللّغة العربيّة؛ دورهم في إنشاء المعاجم العربيّة حيث تعدّ معاجمهم من أشمل المعاجم العربيّة؛ حيث استدركوا فيها مفردات غابت عن المعاجم القديمة؛ فقاموا بتحقيقها وأضافوا عليها من

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 83.

[2] المرجع نفسه، ص 84.

[3] مصطفى غلفان، اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة حفريّات النّشأة والتّكوين، ص 95.

مفردات القرآن والكتب القديمة، كما ألّفوا معاجم خاصّة باللّهجات العربيّة، على نهج وطريقة المعاجم الأوروبيّة، ومن أبرز معاجم المستشرقين نجد« لين (Lane) (1801م-1876م)، ودوزي (Dozy) (1820م-1883م)، وفانيان (Fagnan) (1846م-1931م) »[1]، فكان منهجهم في تأليف هذه المعاجم، اتّباعهم تطوّر دلالات المفردات والضّبط المنهجي، في ترتيب مصطلحات المعجم، حيث يجد "غلفان" أنّ المستشرقين نظروا إلى العربيّة، على أنّها لغة في تطوّر دائم ومستمر، مثل اللّغات الأخرى لهذا يمكن أن تظهر فيها مفردات جديدة، وتزول مفردات أخرى للاستغناء عن استعمالها.

أسهمت الحركة الاستشراقيّة في تطوير الدّرس اللّساني العربي الحديث؛ فكان لهم الفضل في تزويد البحث اللّغوي العربي، وإثراءه بالعديد من الأفكار والنّظريّات اللّغويّة الجديدة، التي تساهم في ترقية اللّغة العربيّة، لهذا لا يمكن أن ننكر دور المستشرقين، بنقل الدّراسات الحديثة التي سادت في تلك الفترات، إلى الثّقافة العربيّة لمعالجة القضايا اللّغويّة المرتبطة باللّغة العربيّة.

3-4- قضيّة تدريس اللّسانيّات في الجامعات العربيّة:

ينبغي على اللّسانيّين العربيّين اتّباع شروط منهجيّة، على أُسس علميّة من أجل تطبيق النّظريّات اللّسانيّات الغربيّة، وتكييفها على اللّغة العربيّة، وحسب ما تقتضيه اللّسانيّات العربيّة الحديثة؛ للنّهوض بالدّرس اللّساني العربي الحديث، لهذا فإنّ تدريس اللّسانيّات في الجامعات العربيّة يقتضي« تّصحيح مسار اللّسانيّات العربيّة بإعادة النّظر في الوضع التّعليمي لهذا المجال المعرفي العامّ، ولا سيما في المراحل الجامعيّة بالنّظر إلى العلاقة الوثيقة بين البحث العلمي في اللّسانيّات وتدريسها (...)، في جميع جامعات العالم الحديث منابر مشروعة لنشر الأفكار العلميّة والدّفاع عنها في اللّسانيّات، وغيرها من مجالات المعرفة العلميّة والإنسانيّة (...)، ونعتبر عمليّة تدريس اللّسانيّات في مستواها الجامعي، حالة من حالات التّواصل بمعناه العامّ، التي تعكس جملة من أركان التّواصل ودعائمه، نقتصر منها على ثلاثة أركان وهي: الباثّ (الأستاذ)، المتلقّي (الطالب)، الرّسالة (اللّسانيّات، أو علم اللّغة، أو المعرفة اللّغويّة إجمالًا)[2].

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة حفريّات النّشأة والتّكوين، ص 97.

[2] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 251-252.

أ- الباثّ: الباثّ مُدرِّس اللّسانيّات (أستاذ جامعي)، يفترض فيه أن يكون متخصّص في اللّسانيّات، بتلقّيه دروسًا فيها تعليمه الجامعي الأوّل والمتقدّم؛ أي في مستوى الدّراسات العليا، على يد أساتذة متخصّصين عرب أو أجانب أو هما معًا؛ فهدفه الأوّل هو توصيل المعرفة للمتلقّي، نظرًا إلى المكانة التي كانت تحظى بها اللّسانيّات وفروعها في الثّقافة العربيّة عامّةً.

ب- المتلقّي: متلقّي اللّسانيّات طالب ليس له إلمام نظري كبير بالعلوم الإنسانيّة، بل له ثقافة نحويّة بمعناها القديم، لا تتجاوز حدود القواعد النّحويّة والصّرفيّة التي تعلّمها في مراحل التّعليم الابتدائي والثّانوي، فلا يُساير ما حصل من تطوّر في مجال البحث اللّغوي العالمي، وليس لدى الطّلبة في أحيان كثيرة أيّة معرفة بالدّراسات اللّغويّة خارج ما هو نحوي وبلاغي، فلا يجده مهتمًّا باللّسانيّات الحديثة بقدر ما يهتمّ بالمواد الأدبيّة، ومن جملة العوائق التي ذكرها "غلفان"، والتي يواجهها الطّالب في مسيرته الدّراسيّة اتّجاه اللّسانيّات نجد منها[1]:

- اللّسانيّات مادّة معقّدة وصعبة.
- عدم توفّر المصادر والمراجع العربيّة في اللّسانيّات.
- حاجة دراسة اللّسانيّات إلى اللّغات الأجنبيّة.

ج- الرّسالة: لا يشمل تدريس اللّسانيّات في شعب اللّغة العربيّة، كلّ التّيارات اللّسانيّة الحديثة التي يتعيّن على الطّالب أن يلمّ بها من النّاحية النّظريّة والمنهجيّة، كمحطّات حاسمة في تاريخ اللّسانيّات، فالطّلبة كما قال "غلفان"، لا يملكون معرفة مسبقة حول كبار اللّسانيّين، أمثال "إدوارد سابير" (Edward Sapir)، و"ليونارد بلومفيد" (Bloomfield Leonard)، و"زليج هاريس" (Zellig Harris) وغيرهم، في حين يتلقّون نماذج لسانيّة أو نظريّات متطوّرة، في إطار النّحو الوظيفي أو النّحو التّوليدي، ويدرسون مجالات لسانيّة جديدة، كالتّداول والحجاج وغيرها. (سنفصّل في هذه العناصر في المباحث التّالية).

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 254.

المبحث الثّاني: قراءة في كتاب "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج" لمصطفى غلفان.

لقد أخذت الدّراسات العربيّة الحديثة سبيلها المنهجي، في رحاب التّحوّل الذّاتي للنّظريّة اللّسانيّة الحديثة، التي كان لها الأثر الكبير في توجيه مسار البحث اللّساني العربي الحديث، فبعد أن مهّدت اللّسانيّات الحديثة أولى خطواتها في دراسة اللّسان دراسة وصفيّة موضوعيّة لذاته ومن أجل ذاته، وذلك بعد قيام عدد من الدّارسين والباحثين اللّسانيّين العرب، بتعريف هذا العلم إلى القارئ العربي، ولعلّ من أبرز هؤلاء، الباحث اللّساني المغربي "مصطفى غلفان" والذي تتبع اللّسانيات الغربيّة بأسُسها، وأهمّ توجيهاتها وصولًا إلى محاولة رصد انتقالها إلى الثّقافة العربيّة وتبنّيها من طرف الدّارسين، بالتّطوير والتّحرير لتناسب اللّغة العربيّة، وجاء هذا العمل الذي قام به هذا الباحث انطلاقًا من اطّلاعاته الواسعة في هذا العلم، لذا تتطرق هذه الدّراسة إلى محاولة الكشف عن جهود "مصطفى غلفان"، وبيان مدى مساهمته في تقديم اللّسانيّات ومناهجها للقارئ العربي، من خلال قراءة وصفيّة موجزة لكتابه، المعنون بـ "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج".

1- قراءة في محتوى الكتاب: في كتابه هذا "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج"، قسّمه المؤلِّف إلى: مُقدّمة وخاتمة وثمانيّة فصول، وهي كالآتي:

- الفصل الأوّل: مدخل تمهيدي.
- الفصل الثّاني: اللّسانيّات العربيّة: رُؤية نقديّة منهجيّة.
- الفصل الثّالث: حفريّات الفُرص الضّائعة.
- الفصل الرّابع: أزمة اللّسانيّات العربيّة من خلال بعض الكتابات العربيّة.
- الفصل الخامس: النّحو واللّسانيّات: أيّة علاقة؟
- الفصل السّادس: من التّراث اللّغوي إلى اللّسانيّات.
- الفصل السّابع: الجُرجاني في كتابات اللّغويّين العرب: تعدّدت القِراءات والرّجل واحد.
- الفصل الثّامن: تدريس اللّسانيّات باللّغة العربيّة.

1-1- مقدّمة: فقد بدأ مقدّمته بمجموعة من التّساؤُلات التّالية:

- هل تساءل اللّسانيّون العرب المحدثون بمختلف مشاربهم النّظريّة والمنهجيّة، عن العلاقة المنهجيّة التي تجمع أبحاثهم اللّسانيّة بخطاب اللّسانيّات المتداولة عالميًّا؟

– هل تساءل اللّسانيّون العرب عن القيمة المنهجيّة لا يقومون به، مقارنةً بما هو موجود من كتابات لسانيّة تتعلّق باللّغة مثل الإنجليزيّة أو الفرنسيّة أو الإسبانيّة أو الألمانيّة أو اليابانيّة؟[1]

مُجيبًا أنّ اللّسانيّين العرب ليسوا على وعيٍّ كافٍ باللّسانيات الغربية، كما أنّهم بعيدون كلّ البُعد عن التّحليل اللّساني الدّقيق، والمشكل الذي تعاني منه الكتابات اللّسانيّة العربيّة، هو افتقاد الأساس المنهجي الذي يفترض أن يستمدّ من النّظريّة اللّسانيّة نفسها، قائلًا:« نعتقد دون النّيل من كفاءات الدّارسين العرب العلميّة أو الإساءة إليها، أن كمًّا هائلًا ممّا يُكتب باللّغة العربيّة، ويُنشر في الكتب والمقالات والاستجوابات، بعيد في مضمونه كلّ البُعد عن روح التّحليل اللّساني بمفهومه الدّقيق، ويبدو أنّ المشكل الذي تعاني منه العديد من الدِّراسات اللّغويّة العربيّة، هو افتقادها الأساس المنهجي الذي يفترض أن يستمدّ من النّظريّة اللّسانيّة العامّة نفسها »[2]. ثمّ بيّن موضوع كتابه في مقدّمته بشكلٍ مجمّلٍ وبيّن هدفه من كتاباته؛ فموضوع الكتاب هو أنّ قيام لسانيّات عربيّة في المستوى العلمي اللّائِق، متعلّق ببناء نظري منهجي ينطلق من اللّغة العربيّة مباشرةً؛ وفق ما تقدّمه اللّسانيّات من محاولة لتفسير اللّغات الطّبيعيّة عُمومًا.

كما يرى أنّ الرّجوع إلى التّراث، استشارته وتوجّه لم يَعُد له وقع وأهميّة:« أمّا الالتفاف حول التّراث اللّغوي العربي، وتأويله فيما يُعرف بإعادة قراءة التّراث أو إعادة تشكيله، فلم يعد له في خضم التّحوّلات الفكريّة والاجتماعيّة العالميّة والعربيّة الرّاهنة، ذاك الواقع وتلك الأولويّة والأهميّة التي كان يحظى بها سابقًا في الفكر العربي الحديث »[3]. فهو يرى أن نبتعد عن الدّراسات اللّغويّة، التي تجمع بين التّراث والمناهج اللّسانيّة، لأنّها لم تعد ذات أهميّة؛ وبالتّالي ليست اللّسانيات حسبه سوى في بدايتها، وهو بذلك يلغي إسهام الفكر اللّغوي القديم عبر تاريخه الطويل، لكنّ هناك من أسّسوا موقفهم، على مبدأ الاستمراريّة التي تقرّ بتفاعل مراحل الفِكر العلمي فيما بينها، وأنّ المعرفة تتأسّس على مبدأ التّراكم، باعتبارها سِلسِلة من المراحل المتعاقِبة، وأنّ« العلم (بالمعنى الواسع) له تاريخه، شأنه في ذلك شأن

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة–أسئلة المنهج، ص 7.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص 8.

النّاس، وشأن المفاهيم العقليّة والأخلاقيّة، والعلماء في كلّ جيل لا يبدأون من فراغ، ولكنّهم يعملون من خلال وعلى أساس الوضع الذي ورثه علمهم، وورثه العلم بوجهٍ عامّ، في ثقافتهم وفي عصرهم »[1].

ثمّ يذكر بعض المشاريع للّسانيّين العرب مثل: "عبده الرّاجحي" و"عبد السّلام المسدّي"، ويرى أنّ النّوع من العمل اللّساني الذي قدّموه، لم يقدّم نتائج علميّة تُذكر حسبه لا للدّرس اللّغوي الحديث ولا للّتراث، (وإنّما عمله كان في توثيق العلاقة بين الثّقافة العربيّة بالماضي)، كما يُركّز على الجانب المنهجي، فيبيّن هدفه من الكتاب وهو طرح أسئلة منهجيّة والإجابة عنها، وهذه الأسئلة تتعلّق بطبيعة العمل الذي يقوم به اللّسانيّون العرب، وهذه الأسئلة هي التّالية: بمَ يشتغِل اللّسانيّون العرب؟ ما المنهجيّة المتّبعة في كتاباتهم؟ وما النّتائج النّظريّة والمنهجيّة لما يقومون بها؟ يرى غلفان أنّ الكتابات اللّغويّة العربيّة الحديثة، تغيب فيها الرّوابط المنهجيّة، ويحاول أن يجيب عنها في كتابه، حسب ما ذكره في مقدّمة كتابه.

1-2- الفصل الأوّل:

قد كان عبارة عن فصل تمهيدي، بدأ حديثه عن اللّسانيّات مُعرّفًا إيّاها:« أنّها مجموعة من المبادئ النّظريّة، والأسس المنهجيّة التي يقوم عليها التّحليل اللّساني العلمي، كما هو متّفق عليه عالميًّا بين اللّسانيّين، وذلك بصرف النّظر عن الاختلافات المذهبية التي يمكن أن تفرّق بينهم »[2]. كما تطرّق إلى ذِكر مرحلتين أساسيتين، يُبيّن فيها كيفيّة التّعامل مع اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة:

المرحلة الأولى: توضيح طبيعة التّحليل اللّساني.

المرحلة الثّانية: بسط المنطلقات النّظريّة المنهجيّة الجوهريّة في اللّسانيّات.

كما يذهب إلى عدم الوقوف بين الفروق الجزئيّة، بين المدارس والمشارة اللّسانيّة المختلفة، مثل التصوّر النِبَوي، أو التّوليدي التّحويلي، أو الوظيفي التّداوُلي، وإنّما قصد الوقوف على ما يحصل به معالجة لغة معيّنة، مُعالجة تندرج ضِمن التّحليل اللّساني الدّقيق، وبعد ذلك طرح مجموعة من الأسئلة تتعلّق في مُجملها باللّسانيات، ماهيتها

---

[1] روبينز، ر، هـ، موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، رقم 277، الكويت، نوفمبر 1997م، ص17.

[2] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 11.

وكيف نتمثّلها، وما علاقتها بالثّقافة وغيرها، ويرى أنّ الإجابة عنها لابُدّ من وجود أرضيّة فِكريّة، ونظريّة يتمّ الانطلاق منها، ويقع الالتباس في فهم الأبعاد النّظريّة والمنهجيّة للّسانيّات، كما أشار إلى الخلط المفهومي الذي اسفرت عنه العديد من الكتابات اللّسانيّة العربيّة، الخلط الذي مسّ حتّى أبسط المفاهيم الأوّليّة حسب ما ذكر مُمثّلًا لهذا الخلط، بعدم التّفريق بين فقه اللّغة وعلم اللّغة، وبين النّحو والفيلولوجيا واللّغة.

كما يجد أنّه من أزمات البحث اللّساني العربي هو ادّعاء المنهجيّة والعلميّة، وتتمثّل أشكال هذا التّصوّر في التّصوّر الخاطِئ للفرضيّات العلميّة، حيث قال أنّ:« المساهمات اللّسانيّة العربيّة التي قدّمت تحديدًا حقيقيًّا في هذا الباب نادرةً جدًّا، وتُعدّ على أصابع اليد الواحدة، لم تحقّق ما وصلت إليه اللّسانيّات بالنّسبة للعديد من الألسُن العالميّة، كالإنجليزيّة، أو الفرنسيّة، أو الإسبانيّة، أو الألمانيّة وغيرها »[1]. فهذا التّصوّر جعل الدّراسات اللّسانيّة العربيّة الحديثة، لا تصل إلى مستوى الألسن العالميّة، وذكر أنّ ما يُعتدّ به من الدّراسات قليل جدًّا، مقارنةً بالدّراسة اللّسانيّة الغربيّة.

ونجده قد فرّق بين البحث اللّغوي بشكلٍ عامّ، وبين الدّراسات اللّسانيّة، فحسب ما ذكره فإنّ البحث اللّغوي متجذّر قديم قِدم اللّغة ذاتها، واللّسانيّات (Linguistique) حديثة العهد، كونها بحث لغوي موضوعه اللّغة، فإنّ التّاريخ يعود بِنا إلى القرن الخامس قبل الميلاد أو مع "بوب" (Bob) و"دي سوسير" (De Saussure)، كما يرى أنّ الفكر اللّساني الحديث، أحدث قطيعة مع الفكر اللّغوي القديم، وذكر أوجه الاختلاف بين الفكرين، ملخّصًا إيّاها في النّقاط التّالية:

- ✓ أنّ اللّسانيّات دراسة شاملة أكثر من الفِكر اللّغوي القديم.
- ✓ اللّسانيّات تعمل على المراجعة الدّائمة لمفاهيمها.
- ✓ اللّسانيّات منفتحة على المعارف الأخرى، هذا الانفتاح حولها لأن تكون علمًا إنسانيًّا منهجيًّا.

وهناك بعض الأفكار تخلّت عنها اللّسانيّات، ونرى أنّ تخلّيها عن مثل تلك المواضيع تخلّي مشروع، كقضيّة نشأة اللّغة وأصل اللّغات، ونحو هذه المباحث التي هي مباحث فلسفيّة، أكثر من كونها قضايا يُمكن أن تُدرس دراسة علميّة، ويرى القطيعة بين اللّسانيّات، والفكر اللّغوي القديم مطلبًا منهجيًّا طرحته اللّسانيّات، ويتعلّق هذا بتحديد الموضوع وضبط المفاهيم والإجراءات، ويؤكّد بشدّة على مسألة القطيعة مع التّراث، حيث يرى أنّ اللّسانيّات لا

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 13.

يُمكن أن تكون استمرارًا للبحث اللّغوي العربي التّراثي، وأعطى للرّبط بين التّراث والدّرس اللّساني، بُعدًا آخر يتعلّق بمُشكلة الأصالة والمعاصرة، ونجد أنّ غلفان تارةً يقول:« أنّ اللّسانيّات التي اعتبرت فتحًا كبيرًا عند أهلِها في الغرب ليست جديدة علينا؛ بل بدأت عندنا مُنذُ بداية الفِكر اللّغوي العربي مع أئمّة النّحو واللّغة أمثال، الخليل وسيبويه ومن جاء بعدهم »[1]. وتارةً أُخرى يقول: «فهذا لا يعني مُطلَقًا أنّ الأفكار الحديثة التي جاءت بها اللّسانيّات، منذ بداية العشرين موجودة في تُراثِنا اللّغوي »، « كما أنّها لا تشجّع الثّقافة اللّغويّة العربيّة على الاهتمام باللّسانيّات...»[2]؛ فنراه أنّه يحاول أن يشيد على استحياء، بالعقل العربي لرفع العتب فيما يبدو، فبعد اشادته يُؤكِّد على فكرة مفادها، أنّه لا يعني أنّ تُراثنا فيه الأفكار اللّسانيّة الحديثة.

بعد هذه المقدّمة الطّويلة التي طغت عليها فكرة القطيعة بين الدّرس اللغّوي القديم واللّسانيّات، يأتي إلى طرحه للّسمات التي تميّز الممارسة العلميّة.

1-2-1- السّمات المميّزة للممارسة العلميّة:

بدأ حديثه عن العلم وسمات النّشاط العلمي الصّحيح، وأنّه من الصّعب لأيٍّ كان أن يقدّم تعريفًا شاملًا عن العلم، بالرّغم من تعدّد مناهج البحث العلمي ومعايير التّفكير العلمي؛ وكذا الإنجازات العلميّة النّظريّة منها والتّطبيقيّة« وأنّ المعايير التي تحدّد السّمات المميّزة، للممارسة العلميّة على مستوى الأفكار والتّصوّرات، هي نفسها التي تحدّد الغايات والأهداف التي يُميّز بواسطتِها العلم عن الأدب، والرّياضة عن السّياسة أو الفنّ »[3]. وكما يرى أنّ الدرّاسة العلميّة يجب أن تمرّ بأربع مراحل:

- ملاحظة كلّ الوقائِع وتسجيلها.
- تصنيف هذه الوقائع وتحليلها.
- استخراج المبادئ العامّة عن طريق استقراء هذه الوقائِع.
- المراقبة التّكميليّة لهذه المبادئ.

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 16.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص 18.

فهذه السّمات كما ذُكر هي معايير الاستحقاق العلمي؛ ومن الملاحَظ أنّ هذه الخطوات ذاتها قام بها اللّغويّون العرب في تقعيدِهم للّغة العربيّة، فالدّراسات اللّغويّة التّراثيّة قامت على منهج علمي، فلو اطّلع "غلفان" على التّراث لوجد أنّ هاتِه الخطوات نفسُها موجودة فيه.

1-2-2- اللّسانيّات والعلم:

يرى المؤلِّف أنّ نقطة تحوّل الدّراسات اللّغويّة إلى دراسات علميّة مضبوطة المنهج، بدأت مع "فرانتر بوب" (Frantz Bob) عندما اعتبر اللّغة ظاهرة طبيعية، وأكّد على وجوب دراسة اللّغة والوقائع اللّغويّة صرفيّة، وليس لغايات معرفيّة أو حضاريّة أو غيرها، مثلما كان يفعل علماء الطّبيعيّات، وعلماء التّشريح الأوائل، وتحدّث عن علماء التّشريح والطّبيعة وغيرها من الأمور المتعلّقة بالعلوم الطّبيعيّة، وهي معارف معروفة وليست جديدة.

كما يذكر فكره تعلّق اللّسانيّات بالعلوم التّجريبيّة الأخرى، والاختلاف بينهما يكمن في طبيعة التّجريب والقياس ومراقبة العمل العلمي، والمواجهة بين المعطيات الفعليّة والخطاطات النّظريّة، وعلى الرّغم من هذا الاختلاف البيّن، فإنّ الأبحاث الإبستمولوجيا أكّدت أهميّة التّداخل بين مناهج العلوم، مهما اختلفت طبيعتها على صعيد المبادئ العامّة؛ قصد تفاعل إيجابي بينهم، ومن الطّبيعي أنّ العلوم مهما تعدّدت وتنوّعت نتيجة تعدّد موضوعاتها وتنوّع مناهجها، تشكّل في العمق وِحدة معرفيّة شموليّة وكلًّا لا يتجزّأ[1]، بعد ذلك انتقل إلى الحديث عن الدّراسات اللّسانيّة الأمريكيّة "هاريس" (Harris) و"تشومسكي" (Chomsky) خاصّةً، ونظريته اللّسانيّة النّحو التّوليدي التّحويلي، وكيف أنّه استفاد في صياغة الأُسس العامّة للنّظريّة التّوليديّة التّحويليّة، من المقوّمات النّظريّة المنهجيّة المتّبعة في تعامل العلماء مع الظّواهر في مجال الفيزياء والرّياضيات.

1-2-3- البُعدان العامّ والخاصّ في اللّسانيّات:

أقرّ فيه "غلفان" أنّ ما وصلت إليه اللّسانيّات من تقدّم نظري ومنهجي، مرتبط أساسًا ببنية ثقافيّة غربيّة معرفيًّا، واجتماعيًّا، وسياسيًّا، ويكمن النّظر إلى اللّسانيّات من زاويتين مختلفين:

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 22.

1- زاوية عامّة باعتبار اللّسانيّات نظريّة ذات طابع علمي عامّ، تتضمّن مبادئ عامّة يمكن تطبيقها على الألسن الطّبيعيّة، بصرف النّظر عن طبيعة الاختلافات الحاصِلة في بنياتها، أو المظاهر المتعلّقة بكلّ لسان على حِدة.

2- زاوية خاصّة تتمثّل في الجانب المتعلّق باللّسانيّات خاصّةً، يكون موضوع اشتغالها لسان محدّد كالعربيّة أو الفرنسيّة أو الإنجليزيّة أو غيرها. فكِلتا الزّاويتين مختلفتان مبدئيّاً وكلاهما في العمق متكاملتين، فلا يمكن الفصل بينهما فهما وجهان لعملة واحدة، بينهما علاقة متبادلة، لا يمكن انكارها أو تجاهلها على قول "غلفان".

ويُنكِر وجود هذه الاحتياطات المنهجيّة، وما يترتّب عنها في اللّسانيّات العربيّة، وأنّ ما تتميّز به الكتابات اللّسانيّة العربيّة قِلّة التّنظير للممارسة العلميّة، « وعدم وعي الباحث بالمسلّمات التي ينطلق منها وعدم تفكيره فيما يقتضيه التّسليم بها من مستلزمات ونتائج فرعية »[1]، وبحيث قال بأنّ الكثير من اللّسانيّين لا يُكلّفون أنفسهم، حتّى في توضيح الأُسس التّصوّرية والمنهجيّة، التي تقوم عليها كتاباتهم ومباحثهم اللّسانيّة، يقتضيه التّسليم بها من مستلزمات ونتائج فرعية، وبحيث قال بأنّ الكثير من اللّسانيّين لا يُكلّفون أنفسهم، حتّى في توضيح الأُسس التّصوّرية والمنهجيّة التي تقوم عليها كتاباتهم ومباحثهم اللّسانيّة.

إنّ المواقف الدّاعية تبتعد إلى وضع نظريّة لسانيّة خاصّة باللّغة العربيّة، كلّ البعد عن نظريّة العلم ممّا يسهم في نشر جُملة من المغالطات المنهجيّة، ومن ثمّ تتحوّل العلاقة بين اللّسانيّات والثّقافة العربيّة الحديثة، إلى وضع ملتبس وغامض يترتّب عنه النُّفور من هذه اللّسانيّات والابتعاد عنها، لأنّها في نظر هؤلاء لا تنطبق على اللّغة العربيّة، وبالتّالي لا حاجه لهم لها[2]؛ بمعنى أنّه لا زالت بعض أبجديات هذا العلم مغلوطة أو شبه مجهولة في سوق التّداول، وهذا يجعل الحصيلة ضعيفة مقارنةً مع ما ينجز في الغرب، وفي السّياق نفسه ما زالت اللّغة العربيّة أمام تحدّيات جمّة، تجعلها في وضع لا تُحسد عليه.

لقد ناقش "غلفان" الرّأي القائِل بخصوصيّة اللّغة العربيّة، ولا يمكن أن تخضع للمنهج اللّساني العامّ، أو ما يُعرف بمبادئ اللّسانيّات العامّة، وإنّما هناك خصوصيّة تلزم منهجًا خاصًّا فيقول:« وفي الاتّجاه يردّد بعض الدّارسين العرب، فكرة خاطئة تمامًا مفادُها عدم انطباق اللّسانيّات العامّة وقواعدها على اللّغة العربيّة »[3]، ويقول:« والشكّ

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 27.

[2] المرجع نفسه، ص 29.

[3] المرجع نفسه، ص 27.

أنّ المواقف السّابقة تحمل في طيّاتها تعصّبًا حضاريًّا مقيتًا، لا يخدم في شيء قضايا الثّقافة العربيّة الحديثة واللّغة العربيّة، وهو ما يدفعها إلى طرح بعض الأسئلة المنهجيّة: أليست العربيّة لسانًا طبيعيًّا مثل باقي الألسنة الطّبيعيّة؟ بأيّ معنى نقول إنّ علم اللّغة العامّ يفرض قواعد معيّنة من خارج اللّغة المدروسة؟ »[1].

فهذا الرّأي فيه جانب من الصّحّة؛ فهناك من الباحثين من يرفض اللّسانيّات عمومًا، ويرى أنّ العربيّة ليست كبقيّة اللّغات الطّبيعيّة، وهناك من يلوي عنق العربيّة لتوافق الدّراسات الغربيّة رغمًا عنها، وبين هذا وذلك تأتي الدّراسة الموضوعيّة التي تأخذ اللّسانيّات ما يوافق اللّغات الطّبيعيّة؛ وبالتّالي يوافق العربيّة وتترك بعض القضايا الخاصّة التي يصعب تطبيقها، والعربيّة لغة اشتقاقيّة واللّغات الأنجلوسكسونيّة واللاّتينيّة في مُجملها لغات ساقيّة، فاللّغة العربيّة يجب مراعاتها في التّحليل على المستوى الصّرفي، فلا يُمكن أن تأتي بالتّطبيقات الإلصاقيّة، وتحاول تطبيقها على الشّقّ الاشتقاقي من اللّغة، إذن فتأخذ الدّرس اللّساني وتتحرّى خصوصيّة اللّغة أثناء التّطبيق.

1-2-4- الفهم السّيّء لنظريّة العلم:

ينطلق "غلفان" من فكرة؛ وهذه الفكرة هي نقد لما يُقدِّمُه فهو ينقدُ نفسَه بنفسِه، فِكرته هي أنّ اللّسانيّين العرب في تطبيقاتِهم للدّراسة اللّسانيّة، لا يُراعون الفوارق بين اللّغات الأوروبيّة والعربيّة، وهذا ما يفعله المؤلِّف حيث يُسقِط التّطبيقات اللّسانيّة دون مراعاة للفوارِق الحضاريّة بين الثّقافتين العربيّة والغربيّة.

1-2-5- أبحاث لسانيّة عربيّة زاوجت بين البعدين العامّ والخاصّ:

تحدّث تحت هذا العنوان عن بعض اللّغويّين الذين ساهموا في تنمية البحث اللّساني العربي وتطويره، ودعم مكانته في خضم التّحوّلات المعرفيّة التي عرفتها الثّقافة العربيّة الحديثة. وأنّ أعمال هؤلاء أكثر مردوديّة من النّاحية النّظريّة والمنهجيّة، سواء بالنّسبة للدّرس اللّساني العامّ أو الخاصّ، ومن بين هؤلاء الذين ذكرهم "غلفان" في كتابه نجد: "أحمد المتوكّل"، فهو يُعدّ رائد المنحى الوظيفي العربي، حيث تكفّل بالتّطبيق على قضايا اللّغة العربيّة ومسائِلِها الدّلاليّة، التّداوليّة، الصّرفيّة، والتّركيبيّة، وقد جعل من أهداف مشروع المنحى اللّساني الوظيفي العربي، ووضع منهجيّة علميّة لقراءة التّراث واستثماره،« وقد عدَّد المتوكّل نفسه جملة من النّتائج التي انتهى إليها في أبحاثه الوظيفيّة انطلاقًا من واقع بِنيات اللّغة العربيّة، مُقترِحًا جملة من التّعديلات على النّظريّة العامّة التي هي نظريّة النّحو الوظيفي »[2].

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 28.

[2] المرجع نفسه، ص 35.

وقد أصبحت أعمال "المتوكّل" الوظيفيّة التّداوليّة التي تنطلق من اللّغة العربيّة، مصدرًا لا يُستغنى عنه ضمن الأدبيّات الوظيفيّة العالميّة.

كما ذكر أيضًا اللّغوي "الفاسي الفهري" والذي ساهم انتاجه الفكري والعلمي في جعل اللّغة العربيّة حاضِرة في البحث اللّساني العالمي، وفي أشهر نظريّاته، هي نظريّة النّحو التّوليدي لـ"نعوم تشومسكي"، درست اللّغة العربيّة ونظامها النّحوي من منظور نحوي،« وتمّت البرهنة النّظرية في أعمال "الفاسي الفهري" التّوليديّة، على أهميّة الرّبط بين قضايا نحويّة وَردَت متفرّقة في النّحو العربي القديم، كالجمع بين الاشتغال والابتداء، والتّقديم والتّأخير، والرّبط بين الجملة الفعليّة والاسميّة، والتّوحيد بين البِنى التي اعتبرت اسميّة في النّحو العربي »[1]. فهذه الأعمال التي ذكرها "غلفان" تُعدّ من ضمن الكتابات اللّسانيّة العربيّة، التي استوعب أصحابها علاقة تلازم البُعد العامّ بالخاصّ في التّحليل اللّساني والتّكامل بينهما.

1-3- الفصل الثّاني:

1-3-1- اللّسانيّات العربيّة، رؤية نقديّة:

يطرح المؤلِّف في هذا الفصل عدّة تساؤلات؛ تدور حول مدى تصوّر اللّسانيّين العرب للنّظريّة اللّسانيّة الغربيّة، وكيف تمّ نقل هذا العلم؟ ليُجيب بأنّ الدّراسات اللّسانية العربيّة لم تأخذ بالحسبان خصائِص الخطاب العربي، ولم تنقل التّفاعل بين اللّسانيّات العربيّة واللّسانيّات عمومًا في صورة متقدِّمة؛ ويقصد بذلك عدم مواكبتها لنظريّة النّحو التّوليدي التّحويلي.

يُناقِش "غلفان" المصطلحات الدّالّة على الحقل المعرفي، الذي يتناول اللّسانيّات العربيّة كموضوع للدّراسات وينتقدها، بأنّها تسميات تخلو من الضّبط المنهجي أو التّصوّري، فهي تسميات غير مُتجانسة حسب ما ذهب إليه وتفتقر على الدّقّة.

يصف "غلفان" الدّراسات اللّسانيّة العربيّة الحديثة، بأنّ رغم وصفها بالدّراسة اللّسانيّة، ليست في الواقع كذلك بل هي دراسات تقليديّة تفتقر إلى الغربلة والتّمحيص؛ بل تخلو من عنصر التّجديد.« وينتهي دارسون آخرون إلى حقيقة أكثر مرارة، فأكثر الدّراسات التي صُنّفت على أنّها دراسة لسانيّة حديثة، هي في الواقع دراسات تقليديّة

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 37.

تُساق فيها المعلومات والآراء دون غربلة وتمحيص، حتّى إنّ ما يطالعها يُحسب وكأنّها فقدت عنصر التّجديد »[1]. ويطرح تساؤلات عن سبب هذا الوضع الذي تعيش اللّسانيّات العربيّة وما آلَت إليه، وهل تعيش اللّسانيّات العربيّة أزمةً ما؟

يرى "غلفان" أنّ الأزمة التي يعيشها الدّرس اللّساني العربي الحديث، هي أزمة في الأسس والمنطلقات من جهة، ومن جهة أخرى هيمنة التّراث وهيمنة اللّسانيّات الغربيّة الحديثة، وهذه الهيمنة المزدوجة خلقت صراعًا فيما يبدو عند المؤلِّف، فكأنّ هذين الطّرفين متضادّان عنده لا يصلح اجتماعهما، وبيّن التشبّث المطلق بالتّراث والتبنّي الحرفي للنّظريّات اللّسانيّة الغربيّة، تخلق أزمة اللّسانيّة العربيّة الحديثة، ليعطي حلًّا لهذه الأزمة بقوله أنّ الاختيار الفكري والمنهجي الذي يناسب وضعنا الرّاهن يجب أن يُؤخذ بعد التّمحيص أيًّا كان المصدر والمنطلق، وسواءٌ كان هذا النّموذج المعتمد عربيًّا أم غربيًّا.

1-3-2- الهويّة الإنسانيّة للعلوم الإنسانيّة في الوطن العربي:

يرى المؤلِّف أنّ الصّعوبات التي تواجه البحث اللّساني العربي، هي جزء من إشكالات عامّة، ثمّ يشكّك في وجود علوم إنسانيّة عربيّة، حيث يعلّق إذا كان ثمّة فعلًا علوم إنسانيّة عربيّة، ليكمل فكرته بأنّ كون اضطراب الدّرس اللّساني العربي، يعود إلى كون اللّسانيّات لم تنشأ في حضن الثّقافة العربيّة، وهذا ما يحتمّ علينا أن نعرف اللّسانيّات الغربيّة من خلال لغتها التي كتبت بها حسب ما ذهب إليه، وذلك في قوله:« فاللّسانيّات لم تنشأ في أحضان الثّقافة العربيّة، وإنّما وردت إلينا من ثقافات أخرى غربيّة بالأساس، فلا يمُكننا نحن العرب معرفة اللّسانيّات إلّا عبر اللّغات الأجنبيّة الإنجليزيّة أو الفرنسيّة »[2]. والصّحيح أنّ الحديث عن اللّغة ونشأتها وعوامل وجودها قد بدأ منذ القِدم، لكنّه بدأ في العصور القديمة على شكل تأمُّلات فلسفيّة، ثمّ تطوّر إلى أن أصبح نظريّات ودراسات قامت على أسس علميّة ومنهجيّة في أواخر القرن التّاسع عشر، فلقد مرّت الدّراسات حول اللّغة عبر عصور ثلاث، وهذه العصور هي القديمة والوسطى والحديثة، ولقد تحدّثنا عنها في الفصول السّابقة.

كما يرى أيضًا أنّ اللّسانيّات عومِلت باعتبارها علومًا دخيلة، وهذه المعاملة لم تسلم منها العلوم الإنسانيّة الأخرى، إلّا أنّه لم يورد دليلًا يُثبت صحّة ما ذهب إليه، وإنّما يطرح تصوّرات اعتباطيّة لم يقم عليها الحجج، ويرجع

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 48.

[2] المرجع نفسه، ص 53.

عدم ازدهار العلوم الإنسانيّة في الوطن العربي، إلى أنّ أوّليّات العلوم ثمّ تلقينها بنظرة مجرّدة، ما جعل البنية المعرفيّة غير مرتبطة بالواقع، وفي العلوم الإنسانيّة تطرح دون مراعاة للقيود الإبستمولوجيّة.

1-3-3- الخطاب اللّساني العربي الحديث، محاولة تصنيف الكتابة اللّسانيّة العربيّة:

عُرف الخطاب اللّغوي العربي والحديث بدوره اتّجاهات متعدّدة، حاولت بنسب متفاوتة أن تُسايِر التّطوّرات العلميّة والمنهجيّة التي عرفتها العلوم اللّغويّة، وغير أنّ محاولة تصنيف الكتابة اللّسانيّة العربيّة، وترتيبها في اتّجاهات أو تصوّرات متجانسة تظلّ عمليّة محفوفة بعدّة صعوبات، نذكره منها:

1- استحالة القيام بتصنيف تامّ؛ لانعدام جرد شامِل لكلّ ما كُتب في الدّرس اللّساني العربي الحديث.

2- عدم استقرار الكتابات اللّسانيّة العربيّة على خطّ نظري واحد، فقد يعرض اللّسانيّ العربي بالدّرس والتّحليل؛ لقضيّة معيّنة من وجهه لسانيّة يتّبع فيها أحدث النّظريّات اللّسانيّة، لكنّه سرعان ما يتبنّى في قضيّة أخرى موقفًا تقليديًّا، يُعيد فيه ما قاله القدماء، وربّما بكيفيّة أقلّ توفيقًا، وقد يحصل الانتقال من موقف نظري إلى آخر داخل الخطاب الواحد، كما حاول الجمع بين بُعدين في التحمّل مع اللّسانيّات: بُعد عامّ يتمثّل في منطلقات اللّسانيّات العامّة وأُسسِها، وبُعد خاصّ يتمثّل في سمات اللّسانيّات العربيّة، وملامحها النّظريّة والمنهجيّة في تعامِلِها مع اللّغة العربيّة.

1-3-4- الخطاب اللّساني العربي:

الخطاب اللّساني عند "غلفان" هو الخطاب الذي تعكسه الكتابات اللّغويّة، التي تستند نظريًّا ومنهجيًّا إلى المبادئ التي قدّمتها اللّسانيّات في مختلف اتّجاهاتها الأوروبيّة والأمريكيّة مُنذ مطلع القرن العشرين، وقال بأنّ اللّغويين العرب الذين درسوا اللّسانيّات في الدّول الغربيّة، حاولوا أن يُطبّقوا ما درسوه على اللّغة العربيّة.

تعتمد اللّسانيّات العربيّة بنيات اللّغة العربيّة في مستوياتها المختلفة، موضوعًا تشتغل به وتتمحور حوله كلّ اهتماماته النّظريّة والمنهجيّة والتّطبيقيّة، ويتمّ النّظر إلى اللّغة العربيّة في اللّسانيّات العربيّة، باعتبارها نسقًا صوريًّا أو وظيفيًّا، يمكن وصفه أو تفسيره في مختلف المستويات المعروفة في التّحليل للّسان الحديث، من صواتة، وصرافة، وتركيب، ودلالة.

1-3-5- موضوع اللّسانيّات وموضوع خطاب اللّسانيّات العربيّة:

تحدّث "غلفان" عن موضوع اللّسانيّات عند "دي سوسير"؛ فموضوع علم اللّغة الوحيد والحقيقي هو اللّغة التي يُنظر إليها كواقع قائم بذاته، ويبحث فيها لذاتها، ويقارن ذلك باللّسانيّات العربيّة، حيث قال في هذا الصّدد: « لا نجد في خطاب اللّسانيّات العربيّة تعاملًا فعليًّا وحقيقيًّا مع اللّغة العربيّة(...)، لكنّنا لا نجد في خطابات اللّسانيّات العربيّة بأنواعها المتباينة، مفهومًا منهجيًّا محدّدًا، وتصوّرًا مضبوطًا، وواضح المعالم للّغة العربيّة بوصفِها لسانيّات عربيّة »[1]، فاللّسانيّات العربيّة حسب نظره بحاجة إلى تدوين وعصر احتجاج جديدين، يتلاءمان ويُسايران ما وصل إليه البحث اللّساني عالميًّا.

1-4- الفصل الثّالث:

1-4-1- حفريّات الفُرص الضّائعة:

يرى المؤلِّف أنّ الكتابات اللّسانيّة العربيّة، كُتبت منبتة عن واقعها التّاريخي، ثمّ يستدرك فكرة الرّبط بين الواقع والخلفيّات التّاريخيّة، بقولِه إنّه لا يقصد بذلك تمجيد الماضي والبكاء عليه، ولا يعني كذلك إلقاء اللّوم على الماضي، ولكنّ هذا الرّبط يساعد على فهم ما جرى في الماضي، وما يجري الآن حسب ما ذهب إليه، وهذا ما يعني به الحفريّات أي الرّجوع إلى التّاريخ لمعالجة الواقع اللّغوي الرّاهن.

يذكر أنّ الفِكر اللّساني العربي الحديث، مرّ بثلاثة فرص كان بإمكانها أن تساعد في التّعامل الإيجابي معه وعدّد هذه الفرص[2]: الفرصة الأولى: النّهضة العربيّة الحديثة، والفرصة الثّانية: إنشاء أوّل جامعة عربيّة وهي الجامعة المصريّة سنة 1906م، والفرصة الثّالثة: اهتمام المستشرقين باللّغة العربيّة.

لا يُنكر "غلفان" التّداخل بين هذه الفرص الضّائعة، إلّا أنّها أعطت للثّقافة اللّغويّة العربيّة الفرصة للانفتاح على الغير، والاستفادة من المعرفة اللّسانيّة الحديثة والمعاصرة.« لا سيما وأنّ هذه الفُرص جاءت في وقت كانت فيه الثّقافة العربيّة الحديثة، تبحث عن الوسائل الكفيلة بالإقلاع السّياسي والفكري والاجتماعي »[3]. ويُنوّه "غلفان"

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 64.

[2] المرجع نفسه، ص 68.

[3] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة في الثّقافة العربيّة الحديثة حفريّات النّشأة والتّكوين، ص 159.

إلى أنّ الفكر اللّساني العربي كان يمكن أن يعرف وضعيّة مُغايرة، لما هو عليه الآن في الثّقافة العربيّة الحديثة، لو تمّ استغلال هذه الفُرص استغلالًا مناسبًا، من قِبل اللّغويّين العرب الذين يشهد لهم بالاطّلاع على أفكار الغرب، وامتلاكهم من المعرفة اللّغويّة العربيّة ما يؤهّلهم للقيام بالفكر اللّغوي العربي.

- **الفرصة الأولى**: وفي هذا الإطار وليس ببعيد عن الدّرس اللّساني الغربي، لو أعطينا للفرصة الأولى حقّها لمكّنت من الاستفادة ممّا اطّلع عليه "رفاعة الطّهطاوي"، من دراسات غربيّة والتي ساعدته على تأسيس مدرسة الألسن بالقاهرة، إذ يصرّح قائلًا:« إنّ أهميّة "رفاعة الطّهطاوي" لا تقف عند هذا الحدّ، إنّه شكّل بمفرده فرصة تاريخيّة قائمة الذّات »[1]. وكان يمكن أن يكون لأفكار "الطّهطاوي" الجديدة خلق تفكير لغوي جديد، مغايرًا لما كان سائدًا ولما سيسود لاحقًا، في رأي "غلفان" وهذا إذَا توفّر المناخ الفكري المطلوب، وكذلك العمل بتبسيط أفكاره وتطوير ملاحظاته كما فعل تلامذة "دي سوسير"، واستثمارها في تحليل اللّغة العربيّة في إطار منهجي علمي حديث، غير أنّه وللأسف لم يحدث ولم يتجسّد، ليضيّع الفكر اللّغوي العربي هذه الفرصة التّاريخيّة.

- **الفرصة الثّانيّة**: وكما ضاعت الفرصة الأولى تضيع الفرصة الثانية، فها هي الجامعة المصريّة التي كان ينتظر منها أن تحقّق قفزة في مجال البحث اللّغوي، لكنّ ورغم تأسيس قسم اللّغة العربيّة وآدابها ولم تعرف علوم اللّغة أيّ تغيير منهجي، ولعلم ما أضافه اللّغويّون الجامعيّون هو نقد أصول النّحو العربي عامّةً وقواعده خاصّةً، ومناهج النّحاة العرب، ومن بين هذه المحاولات كتاب "إبراهيم مصطفى" (إحياء النّحو)، وأوّل الدّارسين العرب المختصّين في مجال البحث اللّغوي، "إبراهيم أنيس" كان واحدًا من ضمن البعثات العلميّة التي انتقلت إلى الجامعات الغربيّة، وكتابه "الأصوات اللّغوية" الصّادر سنة 1947م، يمثّل أوّل مؤلّف بالعربيّة بعرضه موضوع من وجهة نظر العلم الحديث.« ومهما يكن من أمر الوقائع التّاريخيّة التي تجسّد بوضوح الارتباك الحاصل في تعامل الثّقافة العربيّة، في محيطها الجامعي والفكري العامّ مع علم اللّغة الحديث »[2]، في ظلّ هذا الارتباك الحاصل يمكن القول إنّ الاهتمام الذي أبداه الغرب بالثّقافة العربيّة، وباللّغة العربيّة خاصّةً في إطار ما يُعرف بالاستشراق، لحظة تاريخيّة أخرى جديرة بالذّكر، بالنّظر إلى الدّور الرّائد الذي لعبه الاستشراق عامّةً، واللّغوي منه خاصّةً في تنمية البحث اللّغوي، وتطعيمه بأحدث المناهج والأدوات النّظريّة وِفق أحدث المستجدّات.

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة في الثّقافة العربيّة الحديثة حفريّات النّشأة والتّكوين، ص 160.

[2] المرجع نفسه، ص 161.

– **الفرصة الثّالثة:** وهي الأخرى واحدة من الفرص التي أضاعها الفكر اللّغوي العربي، لتدارك الأزمة التي وقعت فيها الدّراسات اللّغويّة العربيّة، إذ لم تُجدِ نفعًا أبحاث المستشرقين حتّى الصّادقين منهم، بحكم أنّ بعض المستشرقين أرادوا تشويه صورة التّراث اللّغوي العربي، واللّغة العربيّة في تغيير الوضعيّة التي سادت في وقتٍ سابقٍ الاقتراب من اللّسانيّات، وهذا بدعوة جلّ المستشرقين والمثقّفين العرب إلى الاطّلاع على مبادئ علم اللّغة بمفهومه الجديد عند الدّارسين الغرب.

بعد طرحه المفصّل لما سمّاه بـ "الفرص" ذكر وجهة نظره حولها، يذكر تأويله لهاته الفُرص الضّائعة، حيث يرى أنّ النّهضة وتغيّر المناهج ودراسات المستشرقين، لم تكن بالقوّة الكافية التي تسهم في تسارع التّفاعل مع اللّسانيّات الغربيّة، وتسهم في سرعة انتشارها، ويتكّلم عن سبب احتجاب الفكر اللّغوي، ويرجعه لعاملين هما: هيمنة النّزعة الأدبيّة في فترة النّهضة وما بعدها، ودور اللّغة المستعمرة، فاللّغة الإنجليزيّة سمحت بالاحتكاك المباشر مع الأدب العالمي الإنجليزي شعرًا ونثرًا.

1-5- الفصل الرّابع:

1-5-1- أزمة اللّسانيّات العربيّة من خلال بعض الكتابات العربيّة:

يحاول المؤلِّف في هذا الفصل، عرض وتحليل وِجهات نظر متعلّقة بأزمة اللّسانيات العربيّة، فهناك العديد من الكتابات التي تناولت هذه الأزمة، والأسباب التي تحوّل دون قيام لسانيّات عربيّة في المستوى المنشود حسب رأيه، ومن هاته الكتابات:

أ- علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي "محمود السّعران":

يُعتبر "محمود السّعران" من الأوائل الذين عرضوا وضعيّة علم اللّغة الحديث في الأقطار العربيّة، وذكر "السّعران" في هذا الباب جملة من العوامل التي اعتبرها من عوائق وصعوبات تقف أمام نموّ اللّسانيّات في الوطن العربي منها[1]:

– الفهم السيّء لمضمون علم اللّغة، والخلط بينه وبين الدّراسات اللّغويّة ثمّ الحديثة.

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 92.

- عدم اطّلاع المهتمّين باللّغة على علم اللّغة الحديث، والاكتفاء بالبحث اللّغوي القديم.

- فهم متخلف وقاصر ومقصر لطبيعة اللّغة ووظيفتها وطرائق دراستها.

- عدم التّمييز بين الدّراسات الوصفيّة والدّراسات التّاريخيّة.

- تصوّر العاميّات أنّها لغات منحطّة حسب ما جاء في الكتاب.

- الخلط المصطلحي بين المصطلحات الحديثة والمصطلحات التّاريخيّة.

ب- أزمة اللّسانيّات واللّسانيّين في الوطن العربي "مازن الوعر":

حاول الوعر أن يُحدّد أزمة اللّسانيّات العربيّة، وحصرها في النّقاط التّاليّة[1]: أزمة المنهج، وأزمة التّراث والحداثة، وأزمة المصطلح العلمي اللّساني والفهم الخاطئ للّسانيّات، وتوظيفها السيّء في الوطن العربي، وللخروج بالبحث اللّساني العربي من الأزمة دعا "مازن الوعر" إلى ما يلي[2]:

- الاهتمام بعلم اللّسانيّات كعلم قائم برأسه في جامعات العالم العربي، ومحاولة توسيعه وتطويره ووضع المبادئ الأكاديميّة له، وجعله مادّة مستقلّة بنفسها.

- إنشاء كلّيات قائمة برأسها في جامعات العالم العربي، تُدعى كلّيّات اللّغات والعلوم اللّسانيّة الحديثة، يكون فيها فرع اللّسانيّات قسمًا بذاته.

ج- نقد الكتابة اللّسانيّة العربيّة الحديثة "الفاسي الفهري":

يرى "غلفان" أنّ "الفهري" يُشكّل نموذجًا متميّزًا في اللّسانيّات المعاصرة، ولخّص ما قدّمه في الجانبين:

- جانب يهمّ الخطاب اللّساني العربي، من حيث الأسس النّظريّة والمنهجيّة في التّعامل مع اللّغة العربيّة.

- جانب يتعلّق بمضمون التّحليل اللّساني، المتمثّل في دراسة اللّغة العربيّة من منظور النّحو التّوليدي.

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 96.

[2] المرجع نفسه، ص 103.

تتميّز كتابات "الفاسي الفهري" حسب قول "غلفان" بموقفها الصّريح والواضح من الكتابات اللّسانيّة العربيّة الحديثة، والمبني على تحليل منهجي دقيق للأسس الفكريّة، التي يقوم عليها الخطاب اللّساني العربي السّائد، الذي وصفه "الفاسي الفهري" بأنّه:« خطاب هزيل »، لعدّة أسباب، منها[1]:

1- وجود عدد هائل من العوائق التّصوّريّة والأوهام الفكريّة، التي تحوّل دون مقاربة اللّغة العربيّة مقاربة موضوعيّة.

2- افتقاد خطاب اللّسانيّات العربيّة لأبسط مقوّمات الخطاب العلمي، التي نلمسها في كتابات غيرنا من الأمم، نتيجة القصور النّظري وسوء فهم حقيقة المنهج اللّساني، الذي ينبغي اتّباعه في كلّ تحليل لساني جدير بالمتابعة والتّقدير.

كما ذكر "غلفان" سبب أزمة اللّسانيّات العربيّة في نظر "الفاسي الفهري"، والتي ترجع إلى جملة من المغالطات التي مازالت تجني على البحث اللّساني العربي، تجمع في جوهرها موضوع البحث وتصوّر المناهج اللّائقة بمعالجتها، ومن هذه المغالطات[2]: اللّغة الموصوفة وأزمة المنهج، ادّعاء العلميّة والمنهجيّة، تصوّر خاطئ للتّراث، تصوّر خاطئ للّغة العربيّة، ويرى "الفاسي الفهري" حسب رأي "غلفان" أنّه لا فائدة من الاستمرار في تحليل المعطيات نفسها، التي اشتغل بها النّحاة القدامى نظرًا إلى الأسباب التّالية[3]:

– طبيعة هذه المعطيات من حيث الكيفيّة التي تمّت بها عمليّة التّدوين، وما لابسها من شروط وظروف المعطيات، التي نجدها عند القدماء معطيات ناقصة.

– ما أصاب بنيات اللّغة العربيّة من تطوّرات متفاوتة الأهميّة في مختلف المستويات، فالعربيّة كسائر اللّغات تطوّرت وتغيّرت عبر القرون.

– يقتضي التّحليل الجديد لبنيات العربيّة معطيات جديدة، بالنّظر إلى العلاقة الوطيدة بين المعطيات والمنهج المعتمد في التّحليل.

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 104.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص 105.

فكتابات "الفاسي الفهري" تظلّ رائدة في سياق اللّسانيّات العربيّة الحديثة، لأنّها فقط اختارت نظريّة لسانيّة محدّدة، قاربت من خلالها اللّغة العربيّة، وإنّما لتقيّدها الصّارم بمتطلّبات الممارسة اللّسانيّة، كما ينبغي لها أن تكون وبمدى قدرتها على احترام شروط الخطاب العلمي الصّارم.

د- عقبات البحث اللّساني العربي "عبد السّلام المسدّي":

يقول "غلفان":« عبد السّلام المسدّي من الذين اهتمّوا بما يعترض البحث اللّساني العربي المعاصر من عقبات، والذي رسم صورة واضحة وشاملة لواقع البحث اللّساني العربي الحديث، وما يعترضه من صعوبات سواءً على المستوى النّظري أو المنهجي أو التّطبيقي »، ومن جملة العقبات والعوائق التي تعترض النّهضة اللّسانيّة في العالم العربي، حسب رأي "المسدّي" هي كالآتي[1]:

- الإحساس العامّ بأنّ الثّقافة العربيّة، لديها من التّراث اللّغوي ما يغنيها عن الأخذ عن غيرها من الحضارات، ويتّخذ هذا الإحساس طابعًا نفسيًّا وحضاريًّا، في إطار صراع ضمني بين الثّقافة اللّغويّة القديمة، والثّقافة اللّسانيّة الجديدة التي تتداول في الغرب.

- الاعتقاد السّائد لدى كثير من الباحثين المثقّفين العرب، بحصر البحث اللّساني في البحث الصّوتي.

- المعركة بين الوصفيّة والمعياريّة في المعرفة اللّغويّة العربيّة الحديثة.

- الاعتقاد بأنّ موضوع اللّسانيّات هو اللّهجات، ممّا أسهم في نفور الثّقافة العربيّة من هذا العلم الجديد الوافد من الغرب، واللّجوء إلى لغة أخرى غير اللّغة العربيّة لإنجاز البحوث اللّسانيّة، ولهذا العائق أسباب عديدة في نظر "عبد السّلام المسدّي"، ومن بينها[2]:

- تذرع واه من صعوبة اللّغة العربيّة في مسايرة التّطوّر العلمي.
- افتقار العربيّة للمصطلحات التّقنيّة الجديدة التي يحتاج إليها الباحث العربي.
- الرّغبة في الكتابة لمجموعة من ذوي الاختصاص ولا سيما لغير العرب.

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 116.

[2] المرجع نفسه، ص 117.

ويضيف المؤلِّف عاملين ظرفيّين لهذه الأزمة، هما[1]: كثرة الكتابات التي لا يقصد بها إلّا التّعريف بالعلوم اللّغويّة، وقصور الأبحاث النّظريّة التي تقتصر على جانب التّعريفات، ممّا يتّصل بحدّ العلم وضبط موضوعه ورسم خطط منهجه.

فهذه العقبات التي قدّمها "المسدّي" من مظاهر، أزمة اللّسانيّات العربيّة في إطار الصّراع الذي أسماه المؤلِّف؛ "الصّراع بين المعياريّة والوصفيّة"، أو ما أسماه "مازن الوعر" فيما سبق عرضه؛ بـ "الصّراع بين التّراث اللّغوي وحداثة اللّسانيّة".

1-5-2- وجهة نظر غلفان، أزمة اللّسانيّات العرب ومظاهرها:

يرى "غلفان" أنّ أزمة اللّسانيّات العربيّة أساسًا، تكمن في المنطلقات الفكريّة والنّظريّة المنهجيّة التي تؤسّس مجالًا معرفيًّا معيّنًا وتحدّد معالمه، كما تنقسم عوائق اللّسانيّات العربيّة حسب رأيه إلى نوعين:

- عوائق خارجيّة أو ماديّة: تتعلّق بالمحيط المادّي الذي يعترض سبيل البحث العلمي في الوطن العربي.

- عوائق داخليّة أو صوريّة: ترتبط بكُنهِ الدّرس اللّساني العربي كبناء نظري ومنهجي، وتندرج فيه العوائق التّالية[2]:

- علاقة البحث اللّساني الحديث بالتّراث؛ أي بالفكر اللّغوي العربي القديم، وهو مجال تندرج فيه معظم الكتابات اللّغويّة العربيّة المعاصرة.

- غياب تصوّر علمي دقيق ومضبوط للّغة العربيّة، باعتبارها الموضوع الأساس للدّرس اللّساني العربي.

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 119.

[2] المرجع نفسه، ص 120.

-5-3- مستويات العوائق:

تكشف الأدبيّات اللّسانيّة العربيّة جملة من الجوانب، التي يعدّها "غلفان" مؤشّرات للعوائق السّابقة، وتتجلّى هذه المؤشّرات في مستويّين[1]: مستوى موضوع الدّرس اللّساني، والمستوى النّظري والمنهجي.

– مستوى الموضوع: تكمن أزمة البحث اللّساني العربي في مستوى الموضوع ما يلي:

– ابتعاد الدّرس اللّساني في معظم حالاته عن موضوعه الحقيقي، ألا وهو اللّغة العربيّة من حيث هي بنية متعدّدة المستويات.

– نظرة غير موضوعيّة للّغة العربيّة، واعتبارها أفضل اللّغات وأرقاها وأغناها مفردات.

– الرّغبة المستمرّة لدى جلّ الباحثين اللّغويّين العرب، في ربط الموروث اللّغوي العربي القديم بأحدث النّظريّات والنّماذج اللّسانيّة.

– المستوى النّظري والمنهجي: لقد لخّص "غلفان" مظاهر أزمة اللّسانيّات العربيّة في المستوى النّظري والمنهجي فيما يلي:

– عدم وجود رؤية نظريّة أو منهجيّة محدّدة تجاه قضايا اللّغة العربيّة، التي يتعيّن معالجتها من منظور لساني.

– انعدام برنامج لساني عامّ يحدّد الأوّلويّات، وما يتطلّبه واقع اللّغة العربيّة سواءٌ بالقياس لما تعرفه من مشاكل، أم بالقياس لما وصلت إليه اللّسانيّات في تناول إشكالات الألسن الطّبيعيّة وكيفيّة البحث فيها.

– تجاهل المهتمّين من العرب بقضايا اللّغة العربيّة للنّظريّات اللّسانيّة.

– البحث في قضايا لغويّة غير مجدية، سواءٌ بالنّسبة إلى الدّرس اللّغوي العربي، أو البحث اللّساني العامّ.

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 121.

1-5-4- غياب البديل:

كان حديث المؤلِّف عن "المسدّي"، وقال أنّه لم يسعى إلى الرّبط بين عقبات البحث اللّساني العربي، وأسس المعرفة اللّسانيّة، فلقد جاءت هذه العقبات بمثابة أفكار مستقلّة عن المبادئ العامّة، التي تقوم عليها اللّسانيّات التي عرض عليها "المسدّي" في كتابه، وحسب اعتقاد "غلفان" أنّه لو تمّ الرّبط بين المبادئ العامّة التي تشكّل المجال الكلّي للنّظريّة اللّسانيّة، والقضايا الخاصّة التي تهمّ اللّغة العربيّة، والواقع اللّغوي العربي المرتبط بموضوع اللّسانيّات العربيّة، لاتّضحت ملامح البدائِل المفترضة لهذه العقبات، ولكان لتحليل المؤلِّف مردوديّة منهجيّة هامّة ومفيدة، بالنّسبة إلى اللّسانيّات العربيّة؛ فـ"غلفان" يرى تصوّر العقبات وتحليلها، لا يُعدّ كان ما لم يتّبعه تقديم بدائل.

1-6- الفصل الخامس:

1-6-1- النّحو واللّسانيّات: أيّة علاقة؟

تُعدّ هذه القضيّة من أهمّ القضايا التي تثير الانتباه في الفكر اللّغوي، وتتميّز حسب المؤلِّف بالغموض والالتباس، وهذا ما خلق صراعًا بين المنظومة النّحويّة القديمة، وبين النّظريّات اللّسانيّة الحديثة، ولبيان هذه العلاقة يرى المؤلِّف أنّه يجب الوقوف على جوانب الاتّصال والانفصال بين النّحو واللّسانيّات؛ فعلاقتهما تصبّ مباشرةً في اشكاليّة الأصالة والمعاصرة، أو العلاقة بين الذّات العربيّة والآخر الذي هو الغرب، لتتحوّل المسألة إلى مواجهة بين القديم والحديث، كانت لها آثار سلبيّة على وضع اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة[1]. ومن مظاهر الالتباس التي تلفت العلاقة بين اللّسانيّات والنّحو العربي في الثّقافة العربيّة الحديثة حسب رأي "غلفان"، تكمن فيما يلي[2]:

غياب تحديد مضبوط ودقيق لثلاثة مفاهيم محوريّة في البحث اللّساني الحديث هي:

- "اللّغة"، "النّحو"، و"اللّسانيّات".

- الرّبط المباشر والعفوي، بين المفاهيم اللّغويّة والنّحويّة القديمة، والمفاهيم اللّسانيّة الحديثة.

- النّقص الواضح في استثمار المفاهيم اللّسانيّة الحديثة، في علاقتها باللّغة العربيّة تنظيرًا وتطبيقًا.

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 144.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

– الاكتفاء بإعادة إنتاج المنظومة النّحويّة واللّغويّة القديمة بمعطياتها اللّغويّة، وطرائق تحليلها ومفاهيمها ومصطلحاتها في التّعامل مع اللّغة العربيّة.

1-6-2- غياب المنحى الوصفي للّغة العربيّة:

أشار "غلفان" سابقًا إلى غياب تحديد المفاهيم الأساسيّة للّغة والنّحو واللّسانيّات، فلا يقصد به ذلك التّعريف الأكاديمي لكلّ منها، وإنّما يتمثّل باتّخاذ مواقف نظريّة ومنهجيّة، انطلاقًا من تصوّر معرفي محدّد إزّاء هذه المفاهيم، فاللّغة العربيّة مثلًا ليست نسقًا من الرّموز والقواعد، تشير إلى مسمّيات ولا مجرّد وسيلة للتّعبير عن الأغراض فحسب، فهي أكثر من ذلك بكثير« فهي ظاهرة اجتماعيّة تحيا في أحضان المجتمع وتستمّد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده وسلوك أفراده، كما أنّها تتطوّر بتطوّر هذا المجتمع فترقى برقيّه وتنحطّ بانحطاطه »[1]. والنّظر إلى واقع اللّغة العربيّة في علاقتها بمحيطها الاجتماعي، وتحديدًا علاقتها المتعدّدة باللّهجات العربيّة الحديثة.

يجد "غلفان" أنّ الكثير من اللّغويّين العرب يرفض أن يستند للّهجات العربيّة، أيّ دور في الوضع اللّغوي العربي، وفي تعلّم اللّغة العربيّة نحوًا ولغةً، فباعتقادهم أنّ« العاميّة لغة فوضويّة لأنّها لا قاعدة لها، وليس من منطقها ولا طبيعتها أن تكون لها قاعدة »[2]، ومفهوم اللّغة لا يتوقّف عند هذا الحدّ؛ بل يتعلّق الأمر كذلك بالجوانب التصوّريّة عامّةً، كما قال:« إنّ تعريف اللّغة وطبيعتها النّفسيّة أو الاجتماعيّة أو الصّوريّة، ينبغي أن يكون في أساسه مبنيًّا على تصوّر فكري محدّد، له امتداده وانعكاسه النّظري والمنهجي على التّحليل اللّساني ذاته »[3]. واستعان "غلفان" بتعريف "بلومفيد" و"تشومسكي للّغة، واستنتج بعد ذلك أنه لا بُدّ من التّعامل مع تحديد المفاهيم اللّسانيّة، ضمن تصوّر عامّ تتكامل فيه التّعريفات وأهداف التّحليل وأدواته، وتتناسق فيه المسلّمَات والبراهين والاستدلالات المتّبعة.

بعد ذلك تطرّق "غلفان" إلى تحديد تعريفات لمصطلح "النّحو"، في الثّقافة اللّغويّة العربيّة القديمة والحديثة. فأصل كلمة "نحو" كما جاء في كتاب "لسان العرب" لـ "ابن منظور"، (من الفعل نحا) وتعني القصد والطّريق، ومنه

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 146.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص 147.

جاء تعريف "ابن جنّي" للنّحو بأنّه:« انتحاء سِمتِ كلام العرب »[1]. ولقد وضع النّحو العربي كما تُجمع الرّوايات على ذلك، عندما تفشّى اللّحن بين العرب والعجم في نطق العربيّة وفي قراءة النّصّ القرآني.

والنّحو في تعريفه الاصطلاحي؛ هو علم بقوانين يُعرف بها أحوال التّراكيب العربيّة، من الإعراب والبناء وغيرهما، كالتّثنية، والجمع، والتّصغير، والإضافة، وهو علم يُعرف به أحوال أواخر الكَلِم، ويُعرف به صِحّة الكلام وفساده، وهو نسق يتشكّل من مجموع الوسائل الذّهنيّة، والقواعد التي يتوفّر عليها المتكلّمون لبناء جمل وملفوظات لغتهم، وكذلك دراسة ووصف مجموع القواعد الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة المكتوبة، والشّفويّة الخاصّة بلغةٍ معيّنةٍ.

فإنّ النّحو كاللّسانيّات؛ يدرس بِنيَة اللّغة ليضع القواعد التي تسير عليها، مع تباينهما في الأهداف والوسائل المتّبعة في التّحليل[2]. ويتميّز النّحو بعكس اللّسانيّات بأنّه مقاربة معياريّة، لأنّه لا يهتمّ بما هو كائن في لغة ما فقط، وإنّما يهتمّ بما ينبغي أن تكون عليه من حسن التّركيب وضبط القواعد قولًا وكتابةً وقراءةً؛ بمعنى آخر لا يهتمّ النّحوي باللّغة كما هي في الواقع، وإنّما باللّغة النّموذجيّة، أي اللّغة المثال أو المعيار (La Norme) الذي ينبغي أن يسود ويستمر، وينتج عن تعريف النّحو تعريفًا عامًّا وجود منظورين مختلفين لطبيعة النّحو[3]:

1- منظور يتناول فيه النّحو باعتباره وسيلة تربويّة ملائمة، يحكمها ما هو عملي ونفعي لاستعمال لغة معيّنة استعمالًا جيّدًا، ويسمّى نحوًا تربويًّا (Grammaire Educative)، أو نحوًا تعليميًّا (Grammaire Pédagogique)، يهدف إلى مجال الفرد المتكلّم (المتعلّم)، يستظهر القواعد السّليمة الصّحيحة التي تمثّل النّموذج الأمثل في اللّغة لاستعمالها (أي القواعد)، بكيفيّة جيّدة في المقامات المناسبة.

2- منظور يُدرس فيه النّحو في ذاته كنسق من القواعد التي تسير عليها لغة معيّنة، وسمّاه "غلفان" نحوًا علميًّا، يصف مكوّنات البنيات اللّغويّة صوتيًّا وصرفيًّا، وتحديد مختلف العلاقات القائمة بين وحدات الجملة.

ومع بزوغ اللّسانيّات الحديثة تغيّرت النّظرة بالنّسبة للنّحو، وكيفيّة وضعه والتّقنيّة المتّبعة في ذلك، ويُعدّ النّحو تمثيلًا لمجموع العلاقات الموجودة بين الوحدات المكوّنة للجملة، وقد تُضاف إلى كلمة "النّحو" صفة "الوصفي" أو "البِنوي " فيُقال: "النّحو الوصفي" أو "النّحو البِنويّ"، لتمييز المقاربة النّحويّة الجديدة النّاشئة مع اللّسانيّات؛

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 148.

[2] المرجع نفسه، ص 149.

[3] المرجع نفسه، ص 150.

فيهدف النّحو إلى توضيح حقيقة الإبداع اللّغوي الذي يتميّز به الإنسان، والمتمثّل في أنّ كلّ فردٍ متكلّمٍ يكون قادرًا على إنتاج وتأويل مالا حصر له من الجمل النحويّة، مستعملًا في ذلك عددًا محدودًا من القواعد الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة، ويتعيّن على النّحو حسب "غلفان" لجملة من الشّروط أهمّها[1]:

– أن يكون آليّة متناهية من القواعد، انطلاقًا من ملاحظة الواقع اللّغوي نفسه عند الفرد المتكلّم الذي يتوفّر على عددٍ محدودٍ من المواد الصّوتيّة، والصّرفيّة، والتّركيبيّة، وعلى عددٍ محدودٍ من القواعد التي تنظّم هذه المواد.

– أن يكون قادرًا على توليد مالا نهاية له من الجمل النّحويّة ولا شيء غير الجمل النّحويّة.

وهناك عدّة مستويات من الكفاية التي يتعيّن على النّحو الوصول إليها أو تحقيقها، وهي[2]:

– كفاية الملاحظة، حيث يستطيع النّحو أن يعطي وصفًا صحيحًا عن المعلومات اللّغويّة الأوّليّة، كالتّمييز بين الجُمل النّحويّة والجُمل غير النّحويّة، بناءً على الملاحظة والمعاينة.

– الكفاية التّفسيريّة، حينما يسعى النّحو إلى تقديم تفسير عامّ للآليّة اللّغويّة التي تمكّن من إنتاج الجمل وتأويلها.

فانطلاقًا من هذه التّصوّرات الجديدة، لم يعد يُنظر إلى النّحو على أنّه تلك الممارسة المعياريّة؛ بل أصبح مرادفًا للّسانيّات نفسها يستفيد من الإنجازات التي تقدّمها.

تكمن العوامل الموضوعيّة في أنّ الدّراسات اللّسانيّة، التي تندرج في إطار المنهج الوصفي في الثّقافة اللّغويّة العربيّة الحديثة، لم تكن قادرة على طرح بديل حقيقي للنّحو العربي، وذلك لأسباب عديدة فبعضها موضوعي يتمثّل في قلّة الدّراسات الوصفيّة العربيّة، بسبب انحصار الثّقافة اللّسانيّة في نخبة من الجامعيّين، وبعضها منهجي مرتبط بعدم احترام الدّراسات العربيّة، وبعضها منهجي مرتبط بعدم احترام الدّراسات العربيّة نفسها لأساسيّات المنهج الوصفي، ولقد لخّص "غلفان" مجموعة من الجوانب السّلبيّة في النّحو العربي في ثلاثة أخطاء رئيسية وهي[3]:

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة–أسئلة المنهج، ص 155.

[2] المرجع نفسه، ص 156.

[3] المرجع نفسه، ص 167.

1- الخلط بين مستويات الأداء اللّغوي، وتصوّر النّحاة أنّ اللّغة واللّهجات تنتمي إلى مستوى واحد، وأنّ اللّغة ليست شيئًا غير مجموع اللّهجات القبليّة.

2- التّناول الجزئي للظّواهر اللّغويّة، ثمّ طرد الأحكام الصّادرة عنها بدلًا من ربط الحُكم النّحوي بمقوّماته من النّصوص.

3- تداخل المناهج المختلفة في منهج البحث النّحوي، وتصوّر النّحاة أنّ كلّ منهج من المناهج، قادر على أن يمنح الباحث قدرة على تقنين الظّواهر وتعليلها.

وقد أسهم استثمار الدّراسات الوصفيّة العربيّة غير المضبوط للّسانيّات، في مواجهة المنظومة النّحويّة القديمة، في جعل العلاقة بينهما غير واضحة؛ بل أصبحت تعرف نوعًا من التّوتّر والاستفزاز الفِكري، بسبب الشّحنة الفكريّة والرّمزيّة التي باتت تعطي للّنحو واللّسانيّات، بحيث النّحو يحيل على ما هو قديم في الثّقافة العربيّة، بينما اللّسانيّات تحيل إلى ما هو غربيّ جديد قادم إلينا من الغرب، بُغية تفويض صرح النّحو القديم، مثلما حصل في أمريكا وأوروبا، بالنّسبة إلى النّحو التّقليدي[1]، فالنّحو حسب "غلفان" ضرورة تعليميّة في كلّ الثّقافات، لكنّ اللّسانيّات اليوم ضرورة علميّة تهدف إلى الوصف والتّفسير أو هُما معا.

1-7- الفصل السّادس:

1-7-1- من التّراث إلى اللّسانيّات:

تُعدّ العلاقة بين اللّسانيّات والتّراث، من أهمّ القضايا التي تتمحور حولها الدّراسة اللّسانيّة العربيّة المعاصرة، وخلفيّة هذه القضيّة تعود إلى إشكاليّة الأصالة والمعاصرة في الفكر العربي الحديث، وطرح المؤلّف العديد من الإشكاليّات تتعلّق في جملتها بالتّراث وكيفيّة التّعامل معه.

1-7-2- لسانيّات التّراث، المنطلقات والاتّجاهات:

دعا بعض الباحثين العرب إلى ضرورة ربط مبادئ البحث اللّساني الحديث بالفكر اللّغوي العربي القديم، ومن أصحاب هذه الدّعوة، "إبراهيم أنيس" في كتابه "الأصوات اللّغويّة"، لتصبح هناك نوع من الكتابات سمّاها

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 171.

"غلفان" بـ "لسانيّات التّراث"، وهي تستهدف دراسة التّراث اللّغوي في ضوء اللّسانيّات الحديثة[1]، وما يميّز هذا التّوجّه وهو السّعي إلى التّوفيق بين الدّرسين التّراثي والحديث، وقد ذكر المؤلِّف أنّ هذا التيّار في حدّ ذاته له العديد من الاتّجاهات.

أ- اتّجاهات لسانيّات التّراث:

من حيث الموضوع؛ الذي تشتغل به لسانيّات التّراث، ميّز بها "غلفان" القراءات التّاليّة[2]:

- قراءة تتمحور حول التّراث اللّغوي العربي، في كلّيته وشموليّته باعتباره تصوّرات ومصطلحات، وطرائق تحليل عامّة في دراسة اللّغة العربيّة.

- قراءة تتمحور حول قطاع معيّن من التّراث اللّغوي، كأن يتناول المستوى النّحوي، أو الصّرفي، أو الدّلالي، أو البلاغي، أو علم البيان والمعاني، باعتبارها مستويات تحليل تشكّل في حدّ ذاتها، نظريّة محدّدة المعالم تقوم على مبادئ منهجيّة خاصّة بها.

- قراءة تتمحور حول شخصيّة لغويّة عربيّة قديمة، يُدرس فكرها اللّغوي وطريقة تصوّرها، وكيفيّة تناولها لقضايا اللّغة العربيّة في مجال من مجالات الفكري اللّغوي العربيّ القديم.

يستهدف "غلفان" من خلال هذا، في تقديم صورة تقريبيّة للسانيّات التّراث، في ضوء أبرز الكتابات اللّغويّة، وأكثرها انتشارًا في الأوساط اللّغويّة والثّقافيّة العربيّة عامّةً.

من حيث الغاية: يمكن من حيث الغاية تقسيم لسانيّات التّراث إلى:

- قراءة ممجّدة تنوّه بالتّراث اللّغوي، وتحيط به هاته من التّقدير والإعجاب والتّقديس، واضعةً إيّاه في درجة علميّة أعلى من النّظريّات اللّسانيّة الحديثة.

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 184.

[2] المرجع نفسه، ص 185.

– قراءة اصلاحيّة تستهدف تخليص النّحو العربي من الشّوائب والمعوّقات العالقة به، من تجريد وتحليل وحذف عامل وتقدير.

– قراءة تفاعليّة تحاول إعطاء النّظريّة اللّسانيّة العربيّة القديمة مكانتها اللّائقة بها، في إطار مراحل الفكر اللّغوي الإنساني، لخلق نوع من التّفاعل بين الفكر اللّغوي العربي القديم، والنّظريّات اللّسانيّة الحديثة.

– تطعيم النّظريّات اللّسانيّة الحديثة العامّة بروافد نظريّة جديدة، قد تثبت ما اتّفق عليه في الغرب وتدحضه.

– صوغ النّظريّات القديمة في قالب جديد يُتيح المقارنة بينها وبين الحديث من النّظريّات.

ولقد أشار "غلفان" أنّ "أحمد المتوكّل" يُعدّ من أبرز الكُتّاب في هذا الاتّجاه.

من حيث المنهج: حسب قول "غلفان" فإنّ الكتابات المندرجة في إطار لسانيّات التّراث، لم تقدّم أيّ تصوّر للمنهج المتّبع في القراءة؛ بل إنّ لكلّ باحث طريقته الخاصّة وأدواته، التي يسير عليها في تأويله وفهمه الجديدين للتّراث اللّغوي العربي في ضوء اللّسانيّات.

1-7-3- التّفكير اللّساني في الحضارة العربيّة:

قدّم المؤلِّف نموذجًا عن هذا النّوع من الدّراسات، ومثّل له بما قدّمه "عبد السّلام المسدّي" في كتابه "التّفكير اللّساني في الحضارة العربيّة"، إذ يمتزّ الكتاب بتنظير للظّاهرة اللّسانيّة بشكلٍ عامّ، ويبحث في الأُسُس النّظريّة اللّغويّة العربيّة عند العرب.

1-7-4- مادّة القراءة وهدفها:

يعتمد المؤلِّف في بحثه عن أسس النّظريّة اللّغويّة العربيّة عند العرب، على جملة من الأركان التي تشكّل المادّة الأساس للقراءة، التي تشمل مختلف المصادر العربيّة القديمة، وتنقسم هذه الأركان إلى خمسة أصناف[1]:

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 189.

الصّنف الأوّل: الأعمال اللّغويّة، تشمل كُتب النّحو والبلاغة، بما في ذلك كُتب أصول النّحو، ومختلف الدّراسات البلاغيّة، ومجموع المعاجم اللّغويّة بمختلف اتّجاهاته.

الصّنف الثّاني: الأعمال الأدبيّة، تضمّ المؤلّفات الرّائدة في الأدب العربي القديم، مثل "البيان والتّبيين" "للجاحظ" وكتب "التّوحيدي"، غيرها من الكتب الرّائدة في الثّقافة العربيّة الحديثة.

الصّنف الثّالث: الأعمال الفقهيّة، تشمل مجموع كتب أصول الفقه، وتفاسير القرآن، وكتب علم الكلام.

الصّنف الرّابع: الأعمال الفلسفيّة، تمثّل كتب الفلسفة بفروعها وبجميع مذاهبها.

الصّنف الخامس: "مقدّمة ابن خلدون" في حين تشكّل قسمًا قائمًا بذاته.

إنّ دراسة "المسدّي" حسب رأي "غلفان" ليست فقط سدًّا للثّغرة الاعتباطيّة في تاريخ الفكر اللّغوي الغربي، وإنّما هي أيضًا محاولة موضوعيّة للكشف عن إسهام العرب في ميدان اللّغة، ويعني الكشف عن الجوانب المغمورة في الفكر اللّغوي العربي، سواءٌ لسدّ الثّغرة في تاريخ الفكر اللّغوي الإنساني، أو لغايات أخرى[1]، ومن النّتائج المنتظرة من عمليّة القراءة ذاتها هي[2]:

– الهدف الأوّل: يتمثّل في دراسة التّراث لذاته، ومن أجل ذاته.

– الهدف الثّاني: فهو موقف له بُعد نظري ومنهجي، لأنّه مرتبط أصلًا بالتّصوّر الذي يعطي للعمل اللّساني، سواءً تعلّق الأمر بالدّرس اللّساني الحديث أم بالدّرس اللّغوي القديم.

1-7-5- من موضوعات النّظريّة اللّغويّة عند العرب:

من المواضيع التي تناولها "المسدّي" وأشار إليها "غلفان"، أصل اللّغة والبحث في الموضوع كما يراه، فهو مجرّد تخمينات لا يوجد دليل علمي على ثبوت إحدى هذه النّظريّات، وتناول موضوع اللّغة والزّمن، ذلك أنّ "المسدّي" يقرر فكرة مفادها أنّ اللّغويّين العرب كانوا على وعي بالبعد الزّمني للّغة.

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 190.

[2] المرجع نفسه، ص 191.

أ- أصل اللّغة:

إنّ موضوع أصل اللّغة موضوع قديم، بحث فيه عبر العصور جلّ المفكّرين، بمختلف انتماءاتِهم الفكريّة، وعرفت إشكاليّة أصل اللّغة أيضًا في التّراث اللّغوي العربي، حيث ظهرت في هذا السّياق -حسب المؤلِّف- عِدّة نظريّات ذكر منها[1]: نظريّة المواضعة، ونظريّة التّوقيف الإلهي، ونظريّة التّشريع الوضعي، ونظريّة النّشوء والتّناسل، ونظريّة المحاكاة الطّبيعيّة.

ويرجع اختلاف نظريّات العلماء العرب في الموضوع -حسب المؤلِّف- إلى مبدأين اثنين هما: الاصطلاح والتّوقيف، اللّذين يُعتبران نتيجة الصّراع بين تعسّف النّزعة الغيبيّة، التي هي نسبيّة بالضّرورة وثبات المنحى الموضوعي الذي هو نازع نحو العقلانيّة، وقد قدّم المؤلِّف هذه الإشكاليّة في التّراث اللّغوي العربي في غياب تامّ، لأيّ بُعد نظري أو منهجي على الرّغم من التّغيير الجذري، الذي أجراه على المفاهيم المصطلحات الواردة في التّراث العربي، للتّعبير عن تصوّرات القدماء في موضوع أصل اللغة.

ب- اللّغة والزّمن:

يذهب "المسدّي" إلى أنّ المفكّرين العرب القدماء أدركوا أهميّة البُعد الزّمني وآثاره في اللّغة، غير أنّه يحصر إدراكهم للبُعد الزّمني لغويًّا في إصدار الأصوات اللّغويّة متتالية متتابعة في سلميّة زمنيّة، ولقد كان لهؤلاء حسّ عام بالتّطوّر لا يتعلّق باللّغة العربيّة كنظام، وإنّما من حيث هو ظاهرة عامّة تشمل ظواهر الحياة البشريّة عامّةً، كتعاقب الأُسر الحاكمة ووصول دول جديدة للحكم وفناء الأشخاص والعمران وما إلى ذلك[2]، ويستنتج المؤلِّف من خلال الأفكار السّابقة، أنّ لدى المفكّرين العرب وعيًا بالتّطوّر اللّغوي، فإنّ المسألة عنده لا تتجاوز حدّ الحدس العابر، إذ لم تكشف دراسة "المسدّي" عن نتائج وعي حقيقي بالتّطوّر اللّغوي، لا سيما في مستوى التّعامل المباشر مع اللّغة العربيّة، ومعالجة بِنياتِها الصّوتيّة والتّركيبيّة والمعجميّة.

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 198.

[2] المرجع نفسه، ص 201.

1-7-6- إعادة القراءة وغياب الإشكالية:

يمسّ قارئ مؤلَّف "المسدّي" غياب الإشكالية، أو الإشكاليّات التي يتمحور حولها عادةً كلّ عمل فكري، وأنّ إعادة القراءة لا تستند إلى المحاولات التي قيّم بها في اللّسانيّات العربيّة إلى منهجيّة محدّدة، فكلّ باحث لساني يعيد قراءة التّراث اللّغوي العربي، بحسب مُستوى استيعابه للنّظريّات اللّسانيّة الحديثة التي تعرف عليها، ومدى تمرّسه عليها، واستعداده المعرفي وقُدراته الفكريّة، ومهاراته التّقنيّة وتجربته الخاصّة في فهم المقروء من التّراث، ممّا يسمح له بأن يكون في مقدوره تأويل التّراث على درجة كبيرة من الإتقان.

إنّ لسانيّات التّراث لا تقدم خطابًا علميًّا، يندرج في إطار نظري ومنهجي محدّد قائم على المناولة الموضوعيّة في الكشف عن بنيات اللّغة العربيّة، وصفًا أو تفسيرًا أو هما معًا؛ بل هي مجرّد رؤية إيديولوجيّة، تراهن على ردّ الاعتبار لعقل عربي، تخلّف كثيرًا عن رُكب الحضارة العلميّة المعاصرة، وغير مستعدّ لبذل مجهود فكري يقطع الصّلة بقناعة فكريّة قائمة على الاكتفاء الذّاتي بترديد القديم[1]، إنّ إغناء اللّسانيّات بروافد من التّراث اللّغوي العربي، وهو ما تسعى إليه لسانيّات التّراث على حدّ رغم أصحابها، لا يجب أن يتمّ في إطار إعادة قراءة ممجّدّة ومتنوّعة، قائمة على ادّعاء السّبق التّاريخي، وإنّما يكون الإغناء والإبداع الحقيقيّان بتقديم أعمال لسانيّة عربيّة، تنطلق من بِنيات اللّغة العربيّة، منظور إليها في إطار نظري لساني محدّد المعالم.

1-8- الفصل السّابع:

1-8-1- الجرجاني في كتابات اللّغويّين العرب: تعدّدت القراءات والجرجاني واحد:

أ- الجرجاني في إطار التّراث اللّغوي العربي:

تعتبر جهود العلماء العرب قديمًا، في مجال البحث في اللّغة في القرن الثّاني للهجرة، أدقّ ما عرفته البشريّة، وذلك لما حُظي به التّراث اللّغوي العربي من آراء منظورة وأمور هامّة، وما يتميّز به من أصالة في التّفكير والعمق في التّحليل والدِّقّة في المنهج، الذي من شأنه أن يسلّط الأضواء على العديد من المواضيع التي يلتقي فيها الدّرس اللّغوي العربي، مع أحدث ما توصّل إليه البحث اللّساني الحديث، ومن أجل حماية لغة القرآن الكريم، وبيان سرّ إعجازه، قام النّحاة بوضع ما يُسمى "علم النّحو" لحمايتها والحفاظ عليها، ولعلّ من أبرز جهود القدامى، نجد "عبد القاهر

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 221.

الجرجاني" الذي كَرّس حياته العلميّة لخدمة اللّغة ودراستها، فهناك العديد من القراءات التي تناولت الجرجاني موضوعًا لها، قدّموا فيها شروحات لِفكره المميّز، ويرى "غلفان" تفرّد "الجرجاني" في العديد من مجالات الثّقافة العربيّة القديمة، كما يرى أنّ البحث في اللّسانيّات أسهم في إحياء فكر "الجرجاني"، وأنّ ما قدّمه هذا الأخير بعَّد من قمم الفكر اللّغوي العربي، وذلك من خلال كتابيه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة".

وحسب قول "غلفان":« إنّ ما قدّمه الجرجاني من أفكار جديدة بشأن إعجاز القرآن، تعود في أصلِها للبيئة العربيّة الإسلاميّة التي أنتجت الإشكال نفسه؛ أي إشكال الإعجاز القرآني من خلال محاولة الردّ على التّساؤل الكبير، أين يكمن إعجاز القرآن الكريم؟ »[1]، ولقد حاول العلماء العرب بمختلف تخصّصاتهم ومعارفهم الفكريّة، تقديم تفسير لقضيّة إعجاز القرآن ومن بينهم "الجرجاني".

ب- أنواع القراءة:

يمكن التّمييز من حيث الطّريقة المتّبعة في قراءة فكر "الجرجاني" حسب "غلفان" بين قراءتين[2]:

1- قراءة معاينة تشرح فكرة "الجرجاني" بربطه بالنّظريّات اللّسانيّة والبلاغيّة والنّقديّة الحديثة.

2- قراءة تحاول توظيف المفاهيم القديمة في إطار تصوّر لغوي متكامل، كما هو الشّأن عند "تمّام حسّان" في استثماره لمفهوم التّعليق عند الجرجاني.

ج- الجرجاني من منظور اللّسانيّات البِنويّة:

لقد وقع الاختيار على رمز من رموز التّراث اللّغوي، "عبد القاهر الجرجاني" في كتابه "دلائل الإعجاز"، لذلك أنّ كثيرًا من المقولات اللّسانيّة وقد سبق للفكر اللّغوي العربي أن توصّل إليها، فكادت النّتائج التي أثبتها "الجرجاني" تتطابق مع كثير من المقولات التي جاء بها "فرديناند دي سوسير" (F.De Saussure)، و"رومان جاكبسون" (Roman Jakobson)، و"جون كوهن" (John Cohen) وغيرهم، وليس الغرض من هذه الدّراسة عقد موازنة بين علماء اختلفوا في الأزمة والبيئة والثّقافة، إنّما هي للتّأكيد أنّ الدّراسة التّحليليّة للمادّة اللغويّة العربيّة،

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 229.

[2] المرجع نفسه، ص 230.

قد سبقت بلورة مقولات لسانيّة عامّة، فجاءت الأفكار اللّسانيّة العربيّة تحمل طابع الأصالة، ولم تأت نتيجة تطبيق نظريّة لسانيّة غربيّة.

وكما نعرف أنّ حقل الدّراسات اللّغويّة شهد تطوّرًا ملحوظًا في مجال اللّسانيّات، ولكن إذا توغّلنا في تراثنا اللّغوي العربي، نجد كثيرًا من النّقاط التي تتوافق مع ما وصلت إليه الدّراسات اللّسانيّة الحديثة.

وعلى الرّغم من الفارق الزّمني الذي يفصل بين "عبد القاهر الجرجاني" و"فرديناند دي سوسير"، وانطلاقًا ممّا ارتكزت عليه الدّراسة البِنويّة من مبادئ ومفاهيم في دراسة اللّغة، والتي تمثّلت في أهمّ الثّنائيّات التي طرحها "دي سوسير" وهي (اللّغة والكلام)، (الدّال والمدلول)، (التّزامنيّة والزّمنيّة)، (العلاقات الاستبداليّة والعلاقات التّركيبيّة)، ويمكن التماس بعض جوانب الدّرس اللّساني النبوي عند "الجرجاني"، ويظهر ذلك عند حديثه عن "النُّظم" من خلال كتابه "دلائِل الإعجاز"، الأمر الذي يجعلنا نقف عند أهمّ نقاط الالتقاء بين "الجرجاني" و"دي سوسير"، والكشف عن أوجه المقاربة بينهما.

د- مقارنة بين "الجرجاني" و"دي سوسير" في اللّغة والكلام:

اللّغة عند "دي سوسير" هي« مجموعة العادات اللّغويّة التي تمكّن متكلم من الفهم والإفهام »[1]، ويُفهم من خلاله أنّ اللّغة هي كلّ منظّم لا يمكن دراسته إلّا وهو يعمل كمجموعة، فلا يمكن أن ندرس الوحدات اللّغويّة أو العناصر، وهي منعزلة عن بعضها البعض، لأنّها لا تشكّل لنا أيّة دلالة لوحدها، وهي منفردة عن بقيّة العناصر الأخرى، ولقد ميّز "دي سوسير" بين ما هو مَلكَة بشريّة؛ ويقصد بذلك (اللّغة)، وبين ما هو إنجاز فردي ملموس بوعي واختيار، ويقصد (الكلام)، وهو بذلك يميّز بين ما هو اجتماعي وفردي، وبين ما هو جوهري ثانوي، وبالرّغم من الفارق الذي حدّده "دي سوسير" بين (اللّغة) و(الكلام) من جهة، فهو لا ينفي الصّلة التي تربطهما من جهة أخرى، فهو يؤكّد على ضرورة العلاقة القائِمة بينهما، ومن هنا يتّضح لنا أنّ كلٌّ من (اللّغة) و(الكلام)، تجمع بينهما علاقة ترابط، إذ يفرض أحدهما الآخر« فاللّغة ضرورة كي يصبح الكلام ملموس، وتترتّب عليه جميع نتائجه، كما أنّ الكلام ضروريّ كي تقوم اللّغة »[2]. وبعدما أقرّ "دي سوسير" التّوافق الحاصل بين (اللّغة) و(الكلام)، وأنّ

---

[1] فرديناند دي سوسير، علم اللّغة العامّ، تح: يوئيل يوسف عزيز، مر: مالك المطلبي، دار آفاق العربيّة، د.ط، بغداد، 1980م، ص 123.

[2] صلاح فضل، النّظريّة البنائيّة في النّقد الأدبي، دار الشّروق، ط1، القاهرة-مصر، 1998م، ص 23.

كلاهما يحتاج إلى الثّاني، إلّا أنّه من حيث الدّراسة ذهب إلى اعتبارهما شيئين مختلفين، حيث نعلم أنّ موضع الدّراسة الوحيد الذي اتّخذه "دي سوسير" هو دراسة اللّغة في ذاتها، ومن أجل ذاتها، ولقد أشرنا إليه في المباحث السّابقة.

ولم يكن هذا التّصوّر غائبًا في دراسة الظّاهرة اللّغويّة في التّراث العربي القديم، فالمتتبّع لأصول "نظريّة النّظم" عند "الجرجاني"، يُدرك أنّها مبنيّة على أُسس لغويّة، قوامها التّمييز بين (اللّغة) و(الكلام)« حيث يمثّل الكلام محور آراء "عبد القاهر الجرجاني"، لأنّ البلاغة تعتني في الأصل بما يُنجزه المتكّلم بصفة فرديّة، بالتّصرّف في استعمال عناصر النّظام اللّغوي، والتّأليف بينها بكيفيّة تحقّق أغراضه ومقاصده، فإنّ مقتضيات الاحتجاج والتّعليل حتّمت بدورها الحديث عن اللّغة، واتّخاذها أساسًا منهجيًّا »[1]، وهذا ما يؤكّد أنّ الحديث عن (اللّغة) و(الكلام)، لم يكن غائبًا عن ذهن "الجرجاني"، ورؤيته كانت واضحة في التّمييز بينهما، وهو بذلك يتّفق مع "دي سوسير" في اعتبار الكلام هو الجانب الفردي، واللّغة هي الجانب الاجتماعي.

هـ- اللّفظ والمعنى في مقابل الدّال والمدلول:

تُعتبر العلامة اللّغويّة (الدّال والمدلول) إحدى أهمّ المرتكزات الكبرى التي تناولها الدّرس اللّساني مع "دي سوسير"، فقد احتلّت هذه الثّنائيّة أوّليّة وعناية، لما لاقته من صدى كبير في فِكره اللّساني، والعَلامَة عند "دي سوسير" عبارة عن كيان ذي وجهين، وهما ما عبّر عنهما (بالدّال والمدلول)، ورأى بذلك استحالة الفصل بينهما، فهما بمثابة وجهان لعملة واحدة، وهذا ما أقرّه حينما قال:« الوحدة اللّغويّة هي كيان ثنائي؛ أي كيان يتألّف من الرّبط بين عنصرين »[2]، ومن هنا يذهب إلى توضيح العلاقة التي تجمع بينهما، في قوله:« إنّ العلاقة بين الدّال والمدلول، اعتباطيّة »[3]. والمقصود بكلمة الاعتباطيّة؛ أنّ المدلول ليس مرتبطًا بالدّال بأيّ علاقة مهما كان نوعها؛ أي لا علاقة بين المجموع الصّوتيّة والتّصوّر والمفهوم، وبعبارة أدقّ؛ ليس في الطّبيعة ما يجبرنا على مقابلة هذا الدّال بهذا المدلول[4]، ومعنى ذلك أنّ العلاقة بين الدّال والمدلول تواضعيّة اصطلاحيّة، تمّ التّوافق عليها، فـ"دي سوسير" لم يكن يقصد بالاعتباطيّة، تلك الاعتباطيّة المطلقة التي تعطي الأشخاص الحرّية في التّعبير عمّا يحلو لهم، من الدّوال

---

[1] حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب-أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس-، منشورات الجامعة التّونسيّة، د.ط، تونس، 1981م، ص 501.

[2] فردينان دي سوسير، علم اللّغة العامّ، ص 84.

[3] المرجع نفسه، ص 86.

[4] مصطفى غلفان، في اللّسانيّات العامّة-تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها-، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط2، بيروت-لبنان، 2010م، ص 232.

على المدلولات، لأنّه يرى ذلك الأفراد؛ بل هو يقصد الاعتباطيّة المقيّدة، حينما قال:« ثمّ إنّ كلمة الاعتباطيّة تستوجب توضيح، فهذه الكلمة لا تعني أمر اختيار الدّال متروك للمتكلّم كلّيًّا؛ بل أعني بالاعتباطيّة أنّها لا ترتبط بدافع؛ أي أنّها اعتباطيّة لأنّها ليس لها صِلة طبيعيّة بالمدلول »[1]. ويُفهم من خلال هذه القول أنّ مبدأ الاعتباط ليس شيء مطلق خاضع لاختيار المتكلّم؛ بل هو شيء مقيّد الذي يُفهم من خلاله، أنّ الدّال ليس أمر خاضِع لمحض اختيار المتكلّم، فهو أمر غير مبرّر بالنّسبة للمدلول.

كما نجد أنّ صفة الاعتباطيّة لم تكن غائبة في الدّرس العربي القديم، فقد شغلت هذه الظّاهرة اللّغويّة علماء العربيّة، فقد تناول "الجرجاني" قضيّة الاعتباط في الحدث اللّساني، قبل أن يشير إليه "دي سوسير"، وذلك من زاوية اختياريّة وصفيّة، مُلحًّا على أنّ اقتران أيّ لفظ بمعناه، لما كان في منشئته تواطُؤًا محضًا، فإنّه لا يقوم بين "الدّال والمدلول" من الاقتضاء ما يمنع تصوّر أيّ دالّ آخر لمدلول نفسه، كان يمكن أن يقوم مقام الدّال الأوّل وبنفس الإنتاج الاستدلالي، لا يمتنع تصوّر أيّ من مدلول آخر لأيّ دالّ من دوال اللّغة، كان يمكن أن يكون كامِنًا وراءه بدلًا عنه[2]. ومن هنا نلاحظ أنّ "عبد القاهر الجرجاني" تحدّث عن قضيّة الاعتباط، التي سبق بها الفِكر اللّساني السّويسري، وذلك عند تناوله لثنائيّة "اللّفظ والمعنى"، وإقرارًا منه للعلاقة القائمة بينهما.

و- نظم الحروف ونظمّ الكلِم في مقابل العلاقات الاستبداليّة والعلاقات التّركيبيّة:

يتميّز وجود اللّغة عند "دي سوسير" على مستوى المحورين الأساسيّين، الذين تقوم عليهما العلاقة بين العلامة اللّغويّة، ويتمثّل هذان المحوران فيما يُسمّى بـ"العلاقات التّركيبيّة" و"العلاقات الاستبداليّة"؛ أمّا العلاقات الاستبداليّة فهي تلك العلاقات التي تحقّق وظيفتها، ضمن إدراك التّرابط الذّهني الحاصل بين العلامات اللّغويّة التي يمكن أن تحلّ محلّها[3]، وأمّا العلاقات التّركيبيّة فهي تلك العلاقات من حيث هي مبنيّة على صفة الخطّيّة، لأنّها ترتبط بعضه البعض، وهذه الحقيقة تحوّل دون النّطق بعنصرين في آنٍ واحد، وتكون العناصر مرتّبة بصورة متعاقبة في السّلسلة الكلامية[4]، ولقد وضع "دي سوسير" وظيفة كلّ من المحورين، فالمجموعات اللّغويّة الحاضرة في الذّهن تكون موجودة على مستوى الاستبدال، وهي عبارة عن كيانات منفصلة؛ أي عبارة عن كلمات أو علامات منفردة، تمثّل

---

(1) فردينان دي سوسير، علم اللّغة العامّ، ص 87-88.

(2) عبد السّلام المسدّي، التّفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، دار العربيّة الكتاب، ط2، طرابلس-ليبيا، 1986م، ص 113.

(3) الطيّب دبّة، مبادئ اللّسانيّات البنويّة-دراسة تحليليّة ابستمولوجيّة-، دار القصبة، د.ط، الجزائر، 2001م، ص 89.

(4) فرديناند دي سوسير، علم اللّغة العامّ، ص 142.

القدرة على تبادل الظّاهرة اللّغويّة، أمّا العلاقات التي تربط بين وحدات اللّغة، وهي تمثّل الجمل أثناء التّعبير بها، فتكون على مستوى التّركيب.

وإذا ما رجعنا إلى تراثنا اللّغوي القديم، نلتمس تلك العلاقات الاستبداليّة والتّركيبيّة عند "الجرجاني"، فقد أشار لذلك قبل "دي سوسير"، في حديثه عن حروف المنظومة ونظم الكلام، وما يُبرّز اهتمام "الجرجاني" بالعلاقات الاستبداليّة والعلاقة التّركيبيّة؛ اعتبارهما مقياسين يقوم عليهما النّظم، ذلك أنّ مراعاة هذين الجانبين هو ما يمنح للنّظم صحّته، ثمّ ينبني عليهما ترتيبه بحسب الميزة والفضل ثانيًا، فالنّظم من منظور "الجرجاني"، هو مجموعة العلاقات التّركيبيّة والاستبداليّة، وليس مجرّد رصف للألفاظ[1]. وهذه نفس نظرة "دي سوسير" حينما اعتبر العلاقات الاستبداليّة والتّركيبيّة، المحورين الأساسيّين الذين يقوم عليهما نظام اللّغة.

ز- الجرجاني والنّحو التّوليدي:

في إطار نظريّة النّحو التّوليدي قورِن بين "الجرجاني" و"تشومسكي"، فكانت النّتيجة أنّ الرّجلين يتّفقان في عدّة قضايا فكريّة ولغويّة تتلخص فيما يلي[2]: المنهج العقلي أو (العقلاني)، والبنية السّطحيّة والبِنية العميقة، والتّوليد والتّحويل، والمستويات اللّغويّة أو (التّركيب اللّغويّة).

لقد استنتج "تشومسكي" أنّ جميع اللّغات تتمتّع بخصائص تشترك فيها، وكلّها تحتوي على جمل نموذجيّة تتفرّع عنها جمل أخرى، شرط أن تكون خاضعة للسّلامة النّحويّة، أي أن تتوافق النّاحية التّركيبيّة وقواعد اللّسان الخاضع للدّراسة، والنّاحية الدّلاليّة لمدلولات ذلك اللّسان، وانطلاقًا من هذه الفرضيّة، فإنّ هذه النّظريّة التي يُنادي التّحويليّن بمبادئها، لا تختلف اجمالًا مع ما جاء به "عبد القاهر الجرجاني" من جهود نحويّة، فالنّحو العربي يلتقي مع النّظريّة التّوليديّة في عِدّة جوانب.

يتّفقان في كون المتكلّم يمتلك قدرة لغويّة، أتيحت له عن طريق النّحو تسمح بتوليد عبارات لا نهائيّة، ذلك أنّ معاني النّحو عند "عبد القاهر الجرجاني"، تقوم على فروق ووجوه ليس لها غاية تقف عندها ونهاية، لا تجد لها

---

[1] عائشة برارات، دلائل الإعجاز من البنويّة إلى التّداوليّة، مجلّة الواحات للبحوث والدّراسات، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، المركز الجامعي، ع11، غرداية، 2011م، ص 18.

[2] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 236.

ازديادًا بعدها، وكلّها من إبداع صاحب اللّغة الذي يتوخّى معاني النّحو[1]. ومن إحدى المحاور الرّئيسيّة في النّحو التّوليدي، حيث أشار الدّكتور "خليل العمايرة" إلى "البِنية السّطحيّة والبِنية العميقة" عند "تشومسكي"، بقوله: «يرى تشومسكي أنّ الجملة بُؤرة التّحليل اللّغوي من حيث علاقتها بالمعنى، وحقيقتها وجهان، سطحي خارجي ظاهر، تحتي باطني عميق »[2]. والمعنى كما يرى "العمايرة" في بنيتها التّحتيّة، أمّا الشّكل فإنّه يتحقّق في تركيبها السّطحي[3]. ثمّ يشير إلى أوجه الخلاف بين "الجرجاني" و"تشومسكي"، بقولِه:« يرى الجرجاني أنّ المباني الصّرفيّة التي تحتويها اللّغة –أوضاع اللّغة–، تحتاج إلى شيء آخر، لتكون قادرة على جعل السّامع يعرف غرض المتكّلم ومقصودِه، المقصود الذي هو بتأكيد ليس معاني الكلِم المفردة، فالكلمات وحدها لا تفيد حتّى تؤلِّف ضربًا خاصًّا من التّأليف »[4]. وذلك لأنّ البِنية العميقة يمكن فهمها من السّياق الوارِدة فيه، إذ إنّ العربيّة وبِنية الجملة فيها من تقديم وتأخير، وتنكير وتعريف وغيرها، تدل على معاني دلاليّة فيكون تحوّلها من سياق لآخر، يغيّر في المعنى الدّلالي لها، ولذلك يُشير "الجرجاني" دائمًا إلى أنّ قصد المتكّلم لا يظهر، إلّا من خلال التّأليف الذي يمثّل السّياق، أو التّعليق على حدّ قوله، ويؤكّد ذلك "العمايرة" حين يُشير إلى أنّ المعنى العميق عند "عبد القاهر الجرجاني"، يتمثّل بالمعنى الدّلالي المتحقّق عن مفهوم التّحويل، طبقًا للمعنى الموجود في الذّهن، فيأتي ترتيب الكلمات في الجملة دالًّا على ترتيبها في العقول، والقول نفسه بالنّسبة لـ"غلفان" بحيث يُقرّ أنّ الإدراك العقلي الممثّل للمستوى العميق عند "عبد القاهر الجرجاني"، يقابل مستوى البِنية العميقة عند "تشومسكي"، من حيث كان الأوّل مدركًا بلا شكّ التّكوين المثالي للّغة الذي يتأتّى من خلال مواضعة.

ي– الجرجاني والتّحليل الوظيفي التّداولي:

تناول "الجرجاني" الدّرس اللّغوي من منظور مختلف إلى حدٍّ ما عن سابقيه، من حيث رعايته للمعنى في ضوء الوظيفة التي تؤديّها اللّغة، ومن ثمّ أهتمّ بعلاقة اللّفظ بالمعنى بمقصديّة المتكلّم مع ربط ذلك بالمتلقّي، في ضوء أمن اللُّبس، وتكاد مؤلّفات "الجرجاني" ولاسيما كتابه "دلائل الإعجاز"، لا تخلو صفحة من صفحاته بإشارة تدّل على مبدأ من مبادئ التّداوليّة، كإشارة تعود إلى مراعاة قصد المتكلّم أو غرضِه من الخطاب، أو مراعاة الحال ضمن ما أطلقوا عليه بالإفادة، وهي الفائدة التي يتحصّلها السّامع والمتلقّي من رسالة المتكلّم، أو السّياقات التي ينتج

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة–أسئلة المنهج، ص 237.

[2] خليل العمايرة، البِنية التحتيّة بين عبد القاهر وتشومسكي، مجلّة الأقلام، ع1، بغداد، 1983م، ص 90.

[3] المرجع نفسه، ص 91.

[4] المرجع نفسه، ص 92.

ضمنها الكلام، ومدى نجاح عمليّة التّواصل اللّغوي بين طرفيّ اللّغة، فقد سبق "عبد القاهر الجرجاني" اللّغويّين المحدثين في دراسته لظاهرة الفعل الكلامي في اللغة، والتّمييز بين الأساليب والأغراض، وكذا في بابَيّ "المسند والمسند إليه"، وهي تلميحات مبكّرة لظاهرة التّرابط الدّلالي بين المفردات.

ولقد أشار "غلفان" في كتابه، أنّ "أحمد المتوكّل" قد قام في نهاية السّبعينات من القرن العشرين، في دراسة مقتضبة بقراءة نظريّة النّظم عند "الجرجاني"، قراءة جديدة انتهى فيها إلى أنّ نظريّة النّظم في شكلها العامّ، نظريّة ذات منحى وصفي[1]. ويُنهي "المتوكّل" بعد تحويل بعض مفاهيم "الجرجاني" إلى مفاهيم لسانيّة تداوليّة، إلى أنّ ما جاء به "الجرجاني"، يطابق إلى حدٍّ بعيد أهمّ العناصر المقاميّة التي جاءت في نظريّة أفعال الكلام الحديثة، عند "سيرل" (Searl)، و"أوستن" (Austin)، و"ديكرو" (Ducrot)، مثل العلاقة بين المتخاطبين في موقف تواصلي معيّن، أو الغرض المتوخّى من الكلام، مع ما خلّفه الكلام من تأثير لدى المخاطِب، وقد اقترح "المتوكّل" في نفس الإطار النّظري المنتمي للحقل التّداولي، إعادة صياغة نظريّة النّظم، لكي تتطابق مع نظريّة أفعال الكلام، كما وردت عند بعض أقطابها ممّن سبق ذِكرهم، بحيث أنّ كلّ عمليّة كلام تشتمل على نوعين من الأفعال مترابطين متكاملين، هما[2]:

1- فعل القول الذي يتمّ في مستويين: مستوى ما قبل المنطوق، ومستوى منطوق، له بُعد تركيب نظمي يرُاعي قواعد اللّغة التّركيبيّة.

2- فعل الخطاب القائم على مكوّنين، الغرض الخطابي الأهداف والمقاصد والتّضمّنات، ومن بينها العناصر المقاميّة مثل، التّقديم والتّأخير والتّبشير.

ومن مظاهر التّشابه بين "المدرسة الوظيفيّة" و"الجرجاني"، أنّ القصد والغرض من الكلام هو إعلام السّامع شيئًا جديدًا لا يعلمه، وتشير المدرسة البِنويّة الوظيفيّة إلى أنّ الجملة الخبريّة، كوسيلة للاتّصال يجب أن تُعلّم السّامع ما يُعتبر بالنّسبة إليه جديدًا في الموقف أو المقام الرّاهن، فلقد استطاع "الجرجاني" من خلال استلهامه التّراث العربي، واستيعابه المعطيات الثّقافيّة واللّغويّة التي أُتيحت له في ذلك العصر، وإعادة صياغة الدّرس النّحوي في ثوبٍ جديد،

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 239.

[2] المرجع نفسه، ص 240.

موظّفًا الظّروف المحيطة بالنّصّ في توصيل الرّسالة الإعلاميّة للمتلقّي، وقد كشف عن امتلاك العربيّة لأصول الدّرس اللّغوي الحديث، بما توصّلت إليه النّظريّات اللّغويّة الحديثة.

ملاحظات حول قراءة الجرجاني:

لا شكّ أنّ الإمام "عبد القاهر الجرجاني"، لعب دورًا بارزًا في دراسة العربيّة، من خلال قراءته للفكر اللّغوي، مستمدًّا ذلك من حصيلة ثقافيّة واسعة في النّحو واللّغة وعلومِها، جعلته يُدرك ببصيرتِه الواعية، مواضيع القصور والعيوب في الدّرس النّحوي عند معاصريه، ولا شكّ أيضًا أنّ أفكاره وآرائه التي تضمنها نظريّة النّظم جديرة بالتّنويه والتّقدير، لما تميّزت به من جِدَّة وخروج عن التّقليد، الذي ظلّ الدّرس اللّغوي والنّحو العربي، ويدافع أيضاً في "دلائل الإعجاز" عن مكانة النّحو العربي بين مختلف العلوم الإسلاميّة الأخرى، فالدّرس النّحوي العربي انتقل من الاهتمام بأواخِر الكلمات، وما يطرأ عليها من تغيير بسبب عوامل الإعراب، إلى فضاء أوسع وأرحب لما انتجه عناصر الجملة فيما بينها، كما يمكن اعتبار نظريّة النّظم مُنعطفًا هامًّا في تاريخ البحث النّحوي العربي، تحوّل النّحو معها من نحو أبواب، إلى نظريّة لغويّة شاملة وعامّة، تركيبيّة ودلاليّة وبلاغيّة في الآن ذاته، وبذلك يخرج النّحو عند "الجرجاني" من دائرة العلاقة البسيطة بين وحدات الجملة، ليشمل جميع الوسائل اللّغويّة التي تسعى إلى تحقيق الغرض من الكلام.

يُبدي "غلفان" إعجابه بفكر "الجرجاني" وبما قدّمه، ويُقارن بينه وبين النّظريّات اللّسانيّة، ليصل إلى نتيجة مفادها أنّ فكر "الجرجاني" يُنافِس النّظريّات اللّسانيّة الحديثة.

1-9- الفصل الثّامن:

1-9-1- تدريس اللّسانيّات باللّغة العربيّة بين الهاجس التّربوي والمتطلّبات العلميّة:

يرى "غلفان" أنّ تصحيح مسار اللّسانيّات، يقتضي تصحيح مسار تعليمها وتلقّيها، ممّا يورِده حسب ما يقول من قبيل التّقويم الذّاتي، فيرى أنّ من جملة العوائق طريقة تدريس اللّسانيّات وطرحها في المستوى التّعليمي، وتعتبر عمليّة تدريس اللّسانيّات في مستواها الجامعي، حسب رأي "غلفان" حالة من حالات التّواصل بمعناه العامّ، التي تعكس جملة من أركان التّواصل ودعائِمه يقتصر منها ثلاثة أركان، هي[1]:

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 252.

أ- الباثّ: بالنّسبة للباثّ أو المرسل هو الأستاذ صاحب المعرفة اللّسانيّة، يجب مراعاة بعض الشّروط فيه ليكون مؤهّلًا لتدريس اللّسانيّات، حيث تتمثّل فيهم مستوى تكوينه اللّساني والعلمي وتجربته الجامعيّة، حيث الخبرة تلعب دورًا كبيرًا في كفاءته وكذا مؤهّله التّربوي والأكاديمي، والباثّ« مدرِّس اللّسانيّات، أستاذ جامعي يفترض فيه أن يكون متخصِّصًا في اللّسانيّات بتلقّيه دروسًا فيها، في تعليمه الجامعي الأوّلي والمتقدِّم؛ أي في مستوى الدّراسات العليا على يد أساتذة متخصّصين عرب أو أجانب أو هما معًا، وقام فيها بإنجاز دراسات وبحوث أكاديميّة، وقد يكون مدرِّس اللّسانيّات متخصِّصًا في علوم اللّغة العربيّة (نحوها ومعجمها وبلاغتها وفقهها)، وليس له إلمام دقيق باللّسانيّات، وإنّما قرأ عنها بلغة أجنبيّة، أو ما تُرجم منها إلى العربيّة في إطار ثقافة اللّغة العامّة »[1]، فالباثّ هو الأستاذ الذي يُرسل المعلومات إلى الطّلبة؛ إذ أنّ هدفه الأوّل توصيل المعرفة للمتلقّي، نظرًا للمكانة التي تحظى بها اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة.

ب- المتلقّي: وهو الطّالب الجامعي الذي يعتبر أنّ اللّغة العربيّة، عبارة عن دراسة النّحو والبلاغة والصّرف وغيرها من علوم اللّغة العربيّة، ويرى أنّ اللّغة العربيّة قواعدها ومناهجها مكتملة، لا يشوبها أيّ نقص ولا تحتاج لعلوم جديدة كاللّسانيّات لتجديدها، ومنه فإنّ« متلقّي اللّسانيّات في كلّياتنا، طالب ليس له إلمام نظري كبير بالعلوم الإنسانيّة، اللّهم إلّا ما كان من أفكار عامّة، لا تفي ولا تمنّ من جوع عن اللّغة وعن اللّسانيّات، وعن المناهج في العلوم الإنسانيّة، وهي من المحاور التي كانت تدرّس ضمن مقرّرات الفلسفة في التّعليم الثّانوي (...)، وكلّ ما يعرفه الطّالب المتلقّي عن الثّقافة اللّغويّة مثل (اللّهجة واللّغة، وعلاقة اللّغة بالمجتمع أو بالفرد، وتطوّر المجتمع)، يظلّ علمًا لا يساير ما حصل من تطوّر في مجال البحث اللّغوي العالمي »[2]. فالطّالب قبل المرحلة الجامعيّة لم يكن لديه معرفة لسانيّة؛ بل كان تركيزه على علوم اللّغة العربيّة، وهذا ما أدّى إلى صعوبة تلقّي هذا العلم في المرحلة الجامعيّة، لهذا نرى العديد من الطّلبة يتوجّهون للتّخصّصات الأدبيّة (أدب عربي حديث، أدب عربي قديم، النّقد الأدبي) لتخوّفهم من وجود صعوبات في تلقّي اللّسانيّات.

ج- الرّسالة: هي الدّروس التي يأخذها الطّالب على شكل محاضرات وأعمال تطبيقيّة، وهي مجموعة من الحقائق والمعلومات والمعارف المتعلّقة بعلم اللّسان ونظريّاته ومناهجه، يتمّ تزويد الطّلبة بها لتعريفه بهذا العلم، ونلاحظ أنّ« برامج مواد اللّسانيّات التي تعط للطّالب في شُعب اللّغة العربيّة وآدابها، لا تخرج عن المحاور التاليّة: مفاهيم

---

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 252.

[2] المرجع نفسه، ص 253.

لسانيّة، تاريخ اللّسانيّات، نصوص لسانيّة، وبصرف النّظر عن المضامين التي تحبل عليها المحاور السّالفة الذّكر، يلاحظ أنّ المواد المدروسة لا تعطى وفق تصوّر نظري محدّد للّسانيّات ولنظريّاتها المختلفة، أو البحث اللّساني المتعلّق باللّغة العربيّة، وإنّما بحسب تكوين الأساتذة الموجودين في الشُّعب واهتماماتهم، ولا تحيد جلّ البرامج الدّراسيّة عن المحاور الثّلاثة السّابقة »[1]، فبرامج تعليم اللّسانيّات في الجامعات العربيّة لم تخرج من إطارها النّظري؛ بل لم تتجاوز حتّى المبادئ الأولى للّسانيّات كمصطلحاتها ومفاهيمها العامّة، لهذا فإنّ الطّالب الجامعي لم يلمّ بهذا العلم من جميع جوانبه النّظريّة والتّطبيقيّة، ولم يتعرّف على كلّ التيّارات والاتّجاهات اللّسانيّة الحديثة، وهذا أدّى إلى ركود البحث اللّساني العربي الحديث، وعدم تطوّره ومسايرته للتّطوّر الحاصل في اللّسانيّات الغربيّة، فكان لزامًا على الباحثين المثاليّين العرب، وضع شروط ومبادئ للخروج بالدّرس اللّساني العربي الحديث من الأزمة التي يعيش فيها، وذلك عن طريق الاهتمام بعلم اللّسان كعلم قائم بذاته له مبادئه، وجعله مادّة مستقلّة بذاتها، بالإضافة إلى إعادة النّظر في تدريس اللّسانيّات في الجامعات العربيّة، وذلك بادّخار كلّ الدّيارات اللّسانيّة الحديثة، وما انتجته من نظريّة لغويّة جديدة، ضمن البرامج الدّراسيّة المسطّرة من وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي، وكذا ضبط مصطلحات اللّسانيّة وتوحيدها للحدّ من فوضى المصطلحات، والقيام بدراسة وتحليل اللّغة العربيّة بمناهج جديدة في مختلف مستوياتها، الصّوتيّة، والصّرفيّة، والمعجميّة، والدّلاليّة إلى آخره، والتّمييز بين التّراث اللّغوي العربي القديم، والدّرس اللّساني العربي الحديث، لتجنّب اختلاط نظريّة ببعضها البعض، كما يجب على العرب أن يلمّ بلغته بشكلٍ كاملٍ، ليكون متمكّنًا من حتّى يساهم في تنقيتها، في تحقيق هذه الشّطرات تترتّب عنها نتائج إيجابيّات، تساهم لا محالة في نموّ البحث اللّساني العربي الحديث وتطوّره، خاصّة وأنّ هذا الوعي موجود لدى الكثير من الباحثين اللّسانيّين العرب، الذين حاولوا إيجاد حلول لترقية الدّرس اللّساني العربي الحديث. (فنحن كطلبة لا نملك أدنى معرفة بالتّطوّرات التي حصلت في اللّسانيّات، ونكتفي فقط ما يتمّ تقديمه من قِبل الأستاذ).

والملاحَظ في محتوى المحاور اللّسانيّة التي يتمّ تدريسها، أنّ هناك غائبًا كبيرًا في عمليّة تدريس اللّسانيّات باللّغة العربيّة، وهو التّحليل اللّساني المطبّق على اللّغة العربيّة من حيث هي بنيات صرفيّة، وصوتيّة، وتركيبيّة، ودلاليّة، فما يُعطى من اللّسانيّات يقتصر في جزءٍ كبيرٍ منه على الجانب التّاريخي، سواء يتعلّق الأمر بتاريخ اللّسانيات، أم بتاريخ المفاهيم أم بتحليل النّصوص اللّسانيّة قديمها وحديثها.

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئلة المنهج، ص 255.

إنّ تدريس اللّسانيّات باللّغة العربيّة، يجب أن يراعي الهواجس التّربويّة، المتمثّلة في التّدرّج والتّوضيح والتّمثيل، دون إغفال إكراهات المقاربة العلميّة الحقيقيّة، المتمثّلة في طبيعة الممارسة العلميّة وشروط إنتاجها التي تشكّل أساس الدّرس اللّساني الفعّال علميًّا[1]، فلكي يتمّ تدريس اللّسانيّات وِفق منظور مضبوط علميًّا وتربويًّا، وُجِب الإقرار أنّ الأساتِذة والطّلبة يحتاجون إلى فقرة تربويّة وعلميّة جديدة في التّعامل مع اللّسانيّات، تضمن لهم فعّاليتها المنهجيّة وتعود بالنّفع على اللّغة العربيّة من خلال التّعامل المباشِر مع بنياتها.

1-10- خاتمة الكتاب:

يختم المؤلِّف كتابه بالفكرة التي انطلق منها، وهي حاجة اللّسانيّات العربيّة إلى ضبط منهجي إبستيمولوجي، لتكون اللّسانيّات تتقيّد بشروط الخطاب اللّساني، أو تكون دراسة محصورة في إعادة قراءة التّراث، ضمن رؤية إيديولوجيّة تستند إلى صراع تمّ تجاوزه، حسب رأيه وحسب ما يقرّره، ثمّ يقدّم حلولًا لتصحيح المسار المنهجي للّسانيّات العربيّة، وذلك بما يلي:

1- العودة إلى جوهر العمل اللّساني بتحليل اللّغة العربيّة، من حيث هي بِنيات صوتيّة، وصرفيّة، ودلاليّة، وتركيبيّة.

2- ضبط المصطلح اللّساني بتوحيد استعماله.

3- إعادة النّظر في تدريس اللّسانيّات بالجامعات والمعاهد العليا في الأقطار العربيّة، فلابُدّ كذلك إلى إعادة النّظر في تدريس اللّسانيّات بالجامعات العربيّة، حتّى يُسايِر ما وصل إليه البحث العلمي في هذا المجال، وأنّ المؤسّسات العلميّة العربيّة من جامعات وكلّيّات ومراكز بحث علمي، ومجامع لغويّة مدعوّة إلى التّعاون مع كلّ الجهات التي تسهم في نشر المعرفة باللّغة العربيّة، وذلك من أجل العمل على توحيد المصطلح اللّساني خدمةً للّغة العربيّة.

فمن خلال دراستنا للكتاب، نصل إلى أنّ الفكرة التي يُريد الوصول إليها الكتاب، هي ضبط منهجيّة محدّدة للّسانيّات الحديثة، وتخليص الدّرس اللّساني العربي من العوائق والأزمات التي طرحها وبيّنها في كتابه، وهذا يتجلّى في العنوان -أسئلة المنهج- فالكتاب بجملته يدور حول المنهج، وضبطه والإشكالات التي يعانيها.

وبعد طرح المواضيع التي تطرّق لها الكتاب، وكيف عالجها "مصطفى غلفان" نصل إلى النّتائج التّالية:

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربية-أسئلة المنهج، ص 263.

– في كتاب "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج"، العديد من القضايا التي يعيشها الدّرس اللّساني العربي الحديث، تجلّت عدّة مواقف المؤلِّف، ويمكن ردّها إلى منطلقاته وخلفيّاته.

– موقف المؤلِّف من التّراث، والدّعوة الصّريحة إلى القطيعة معه في الدّراسة إلى تصوّره للحداثة، فالحداثة والمعاصَرة كما هي عند كثير من الباحثين، تعني قطع الصّلة تمامًا مع التّراث.

– اللّسانيّات في نظر "غلفان" بين زاويتين: نظريّة لسانيّة عامّة ولسانيّة خاصّة.

– يُقيّم "غلفان" جهود العرب المحدثين في مجال اللّغويّات، والتي كان لها القدرة على تطعيم الفكر العربي، بما تلقّاه الغرب من دراسات مُساهِمة في إعادة بناء منظومة لغويّة عربيّة جديدة، إلى تبسيط للنّحو وغيرها من محاولات غايتها التّجديد.

– الإضافة التي قدّمها "مصطفى غلفان" للبحث من بداية دخول اللّسانيّات إلى الفكر العربي، هو تسليط الضّوء على المراحل التي مرّت بها اللّسانيّات في ثقافتنا العربيّة، والتي كان بإمكانها أن تمثّل قفزة في الفِكر اللّغوي العربي، لكنّ ضياع هذه الفُرص التّاريخيّة، ضيّع من الثّقافة العربيّة دخول باب اللّغويّات الحديثة، والتّقدّم بالدّراسات اللّغويّة العربيّة، إلى مصاف الدّراسات اللّسانيّة الحديثة والمعاصِرة.

– ارتباط البحث اللّساني العربي بالبحث اللّغوي العربي القديم، خلق نوعًا من الارتباك في الدّراسات اللّسانيّة الحديثة، وهذا ما تحقّق الكتابات اللّسانيّة العربيّة التي اختلفت بتعدّد الغايات.

– الكتابات اللّسانيّة العربيّة بأنواعها، الوصفيّة، والتّوليديّة، والتّداوليّة، والوظيفيّة، ورغم تسجيل بعض الإيجابيّات في بعض الكتابات، إلّا أنّها تبقى تحوي ثغرات من شأنها أن تُساهم في استمرار الأزمة اللّسانيّة، في الثّقافة العربيّة للخروج من هذه الأزمة، وبشهادة "غلفان" يتوجّب الانطلاق من معطيات لغويّة عربيّة، وتحديد الإطار النّظري والمنهجي في تناول هذه القضايا.

– نجد أنّ خلفيّة المؤلِّف تظهر جليًّا في اختياراته وتصوّراته، فخلفيته الحداثيّة جعلته يرفض الدّرس اللّساني العربي، خصوصًا الذي يجمع اللّسانيّات بالتّراث، كما يظهر تصوّره للحداثة في رفضه لكلّ ما هو تراثي.

فعمومًا هذه بعض النّتائج التي توصّلنا إليها، من خلال قراءتنا لكتاب "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج"، قراءة وصفيّة نقديّة نوعًا ما، فكان للمؤلِّف العديد من الأفكار والمواقف تنطلق من الواقع، كما حاول تقديم حلول لها، كتدريس اللّسانيّات في الجامعات وغيرها، وتجلّت منه بعض المواقف كانت قاسية بنظرنا، وهذا راجع لرأيه الشّخصي وخلفيّته الفكريّة.

المبحث الثّالث: مآخذ بعض الباحثين على المؤِّلف وكتابه.

1- الباحث "جمعان بن عبد الكريم" التطوّر الإبستيمولوجي للخطاب اللّساني-غموض الأوّليّات:

مثّل حضور التّراث اللّغوي العربي حضورًا إشكاليًّا في الوعي اللّساني العربي، قام أساسًا على كيفيّة التّعامل مع هذا التّراث، ومصيره أمام المعرفة اللّسانيّة الوافِدة، لذلك كان اللّسانيوّن العرب مجبَرين أثناء انشغالهم بإعادة وصف اللّغة العربيّة وِفق النّظريّات اللّسانيّة الحديثة، على اتّخاذ موقف من هذا التّراث، وقد تمّ ذلك في ضوء العلاقات الممكنة التي أقاموها بينه وبين اللّسانيّات، غير أنّ هذه العلاقات لم تكن تسير في اتّجاهٍ واحدٍ، أو على وتيرة واحدة؛ بل اختلفت باختلاف المنطلقات التي اعتمدها اللّسانيّون« وهناك من الباحثين من يرى أنّ البدايات في تأريخ العلوم، لا أثر لها يُذكر في مسيرتها التطوّريّة، ذلك أنّ هذه البدايات يمكن أن تُدرج في مرحلة ما قبل العلم »[1]، فـ"غلفان" يجعل من مظاهر أزمة اللّسانيّات العربيّة، البحث في قضايا غير مُجدية، فيقول:« هل من المفيد اليوم أن نعود باستمرار إلى إثارة قضايا مثل (نشأة النّحو العربي)، و(البحث النّحوي قبل "سيبويه")، و(اللّبِنات الأولى في مدرسة النّحو البصريّة، وأساتذة "سيبويه")؟ هل اللّغة العربيّة ما تزال في حاجة إلى مثل هذه الموضوعات التي قتلت بحثًا قديمًا وحديثًا؟ »[2]. ونجد "جمعان بن عبد الكريم" في هذا الصّدد يسأل: هل من الصّحيح إهمال كلّ بحث يُناقش مسألة نشأة اللّسانيّات العربيّة، بما فيها نشأة النّحو الذي هو جوهر هذه اللّسانيّات؟ وهل إعادة البحث في هذه المسائل ممّا لا يفيد علميًّا ولا لسانيًّا؟ ويقول أيضًا:« ثمّ إنّ غلفان في بحثه عن الأزمة اللّسانيّة المعاصرة في العالم العربي، لم يحاول أن يُعيد النّظر في تأريخ اللّسانيّات العربيّة القديمة، بما في ذلك نشأتها الأولى للبحث، كما قد يكون

---

[1] جمعان بن عبد الكريم، التّطوّر الإبستيمولوجي للخطاب اللّساني -غموض الأوّليّات-، دار الفارابي، ط1، بيروت-لبنان، 2010م، ص 40.

[2] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربية الحديثة-دراسة نقديّة في المصادر والأسس النّظريّة والمنهجيّة-، سلسلة رسائل أطروحات، رقم 4، جامعة الحسن الثاني، المغرب، ص 26.

ذا علاقة بأزمة اللّسانيّات العربيّة المعاصرة، وتعصّراتها في مصادرها وأسسها النّظريّة والمنهجيّة »[1]. فالتّراث يشكّل عُروة وثقى تربط الحاضر بالماضي، وهي مسلّمة غير قابلة للبرهنة، وهو مبدأ لا يمكن لأحد أن يُنكر له، لأنّه لا تجديد ولا تحديث يبدأ من الصّفر.

يقول غلفان مرة أخرى:« فلا غرابة أنّ تعدّ قراءة التّراث تأسيسًا للمستقبل على أصول الماضي، بما يسمح ببعث الجديد، عبر إحياء المكتسب »[2]. وهناك مقولة يُردِّدها المؤرّخون كثيرًا مفادها، أنّ« ماضي الأمّة يُضيء حاضرها »[3]. والغاية من قراءة التّراث اللّغوي العربي في ضوء اللّسانيّات، هي استرداد هذا التّراث لبريقه بحمله على المنظور الجديد، في محاولة جادّة لتأسيس الحاضر والمستقبل على أصول الماضي؛ أي إبراز منزلة التّراث اللّغوي العربي، التي تأخذ بُعدًا حضاريًّا، ليصبح التّراث معاصرًا لنا، لأنّه لا يمكن جعل من النّظريّات والمفاهيم اللّغويّة الغربيّة الحديثة، المرجع الوحيد والمنطلق في اللّسانيّات، بالنّسبة إلى دراسة التّراث اللّغوي بوجه الحداثة فقط؛ فيكون هو الأصل الذي يجوز أن يردّ إليه كلّ تحليل وما تركه لنا العلماء العرب فرع عليه، ويقول "جمعان بن عبد الكريم"، في هذا الصّدد: « بل لابُدّ من محاولة الرّجوع إلى القديم لإعادة قراءته، فهو مشروع مستمرّ لا يمكن أن يوسم بلا جدوى أو عبثيّة»[4]؛ بمعنى أن لا نغفل عن الفائدة الكبرى التي يمكن أن نتوصّل إليها من خلال هذا الرّبط، والذي بلا شكّ سيُظهر مدى استمراريّة الفِكر اللّغوي عبر الزّمان، ويقول "جمعان عبد الكريم" أيضًا:« من الطّبيعي أن تختلف قراءة التّراث باختلاف الأدوات التي تجد في البحث العلمي، وفي الفلسفة والفكر عمومًا ونحن نسلّم بمقولة "فولتير" (voltaire) الشّهيرة:« إنّه في كلّ مجتمع يرتبط نوع دراسة الأمس بمستوى حضارة اليوم »، ولقد أشار أنّه بالرّغم من محاولة إقصاء الأوليّات عن الدّرس الإبستيمولوجي في بعض نظريّاته المعاصرة، إلّا أنّ هناك حالات كثيرة، تقدّم الدّليل على دور التّصوّرات الأولى اللّاعلميّة، والمبرّرات العاطفيّة، وتنوّعات المزاجيّة والقفزات الحدسيّة، وغيرها ». ففي هذا الموقف نراه مخالفًا ومعاكسًا لرأي "غلفان"، والذي أشار في مقدّمة كتابه، "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج"، أنّ الرّجوع إلى التّراث واستثارته وتوجّهه، لم يعد له وقع وأهميّة، ولابُدّ من الابتعاد عن الدّراسات اللّغويّة التي تجمع بين التّراث والمناهج.

---

[1] جمعان بن عبد الكريم، التّطوّر الإبستيمولوجي للخطاب اللّساني -غموض الأوّليّات-، ص 43.

[2] مصطفى غلفان، اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة-حفريّات النّشأة والتّكوين، ص 133.

[3] عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، لبنان، 2010م، ص 25.

[4] جمعان بن عبد الكريم، التّطوّر الإبستيمولوجي للخطاب اللّساني -غموض الأوّليّات-، ص 44.

بينما "جمعان بن عبد الكريم" يقول:« كان لزامًا على الباحث في تأريخ اللّسانيّات العربيّة، وأزماتها الإبستمولوجيّة العودة إلى تنقيب مرّة أخرى، في الأوّليّات وفيما بعد الأوّليّات »[1]. فمن غايات لسانيّات التّراث وأهدافها، قراءة التّصوّرات اللّغويّة القديمة وتأويلها وِفق ما وصل إليه البحث اللّساني الحديث، والتّوفيق بين نتائج الفكر اللّغوي والنّظريّات اللّسانيّة الحديثة، وبالتّالي إخراجها في حلّة جديدة تبيّن قيمتها التّاريخيّة والحضاريّة.

يهدف التّقريب والمماثلة بين التّراث اللّغوي واللّسانيّات، إلى الكشف عن الصّلة بين علوم العربيّة في تراثنا العربي، ودورها في الدّرس اللّغوي من جهة، وعقد الصّلة بين تراثنا اللّغوي القديم ومُعطيات علم اللّغة الحديث، في محاولة لتأصيل هذا التّراث من جهة أخرى، وكذلك التّقريب والمماثلة بين القديم والحديث، فُرصة لإظهار إسهام العرب في بناء الحضارة الإنسانيّة، فالغاية من الاتّجاه التّراثي كما قال "غلفان" هي:« إعطاء النّظريّة اللّسانيّة العربيّة القديمة، مكانتها اللّائقة بها في إطار مراحل الفكر اللّغوي الإنساني، لخلق نوع من التّفاعل بين الفكر اللّغوي العربي القديم، والنّظريّات اللّسانيّة الحديثة القائمة على الأخذ والعطاء والقرض والاقتراض بينها »[2]. لأنّ العرب بحكم مميّزات حضارتهم وبحكم إدراج نصّهم الدّيني في صلب هذه المميّزات، قد دعوا إلى تفكّر اللّغة، في نظامها وقُدُسيتها ومراتب إعجازها، فأفضى بهم النّظر، لا إلى درس شمولي كوني للّغة فحسب؛ بل قادهم النّظر أيضًا، إلى الكشف عن كثير من أسرار الظّاهرة اللّسانيّة ممّا لم تهتد إليه البشريّة، إلّا مؤخّرًا بفضل ازدهار علوم اللّسان منذ مطلع القرن العشرين[3]. فالهدف الأساس من لسانيّات التّراث، هو الكشف عن القيمة العلميّة لتراثنا في مجال علوم اللّغة، وذلك لفهم التّراث بشكلٍ صحيح، وبعد فهمه يمكن الدّفاع عنه أمام أولئك الذين يتهجّمون عليه، ويُنتقِصون من قيمته العلميّة، حيث يقول "مصطفى غلفان" في هذا الجانب، أنَّ لسانيات التراث هي:« الممارسة اللّغويّة التي تستهدف دراسة الفكر اللّغوي، من حيث أنّه تصوّرات ومفاهيم وطرائق تحليل، في ضوء النّظريّات اللّسانيّة الحديثة »[4]. أو هي ذلك النّمط من الكتابة اللّسانيّة الذي يتّخذ« من التّراث اللّغوي العربي القديم، في شموليته موضوعًا لدراسته، أمّا المنهج الذي يصدر عنه أصحاب هذه الكتابة، فهو ما يُعرف بمنهج القراءة أو إعادة القراءة، ومن غايات لسانيّات التّراث وأهدافها، قراءة التّصوّرات اللّغويّة القديمة وتأويلها وِفق ما وصل إليه البحث اللّساني الحديث، والتّوفيق بين نتائج الفِكر اللّغوي القديم، والنّظريّات اللّسانيّة الحديثة، وبالتّالي إخراجها في حُلّة جديدة تبيّن قيمتها

---

[1] جمعان بن عبد الكريم، التّطوّر الإبستيمولوجي للخطاب اللّساني -غموض الأوّليّات-، ص 44.

[2] مصطفى غلفان، اللّسانيات العربيّة الحديثة-دراسة نقديّة في المصادر والأسس النظريّة والمنهجيّة، ص 137.

[3] عبد السلام المسدّي، التّفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، الدّار العربيّة للكتاب، ط2، تونس، 1986م، ص 26.

[4] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئِلة المنهج، ص 65.

التّاريخيّة والحضاريّة »[1]. ومنه يتبيّن أنّ لسانيّات التّراث عند "غلفان"، هي مجموع الأعمال التي درست التّراث اللّغوي العربي من نظر اللّسانيّات الحديثة، وليست هي التّراث العربي في حدِّ ذاته، والحقّ أنّ استعمال مصطلح لسانيّات التّراث بهذا المعنى، سبّب خلطًا وارتباكًا اصطلاحيًّا، إذ استعمله بعض الباحثين للدّلالة على التّراث اللّغوي العربي نفسه، لا للأعمال التي توجّهت إليه القراءة والتّأويل.

وكما يرى "غلفان" أنّ لسانيّ التّراث، اعتمدوا على منهج المقارنة، حيث يقول:« يمكن القول أنّ القراءة، بمعنى إعادة النّظر في فِكر قديم، قصد فهم وتقييم جديدين، تقوم على المقارنة بين فكرين: فكر لغوي قديم وفكر لساني حديث، سواءً أصَرّح بهذه المقارنة أم لم يصرّح بها »[2]. وما تصل إليه هذه المقارنة من نتائج، ليس له أيّ قيمة علميّة عند "غلفان".

ونجد ما يقوله "غلفان"، لا ينطبق إلّا على جزء ممّا يسميه بـ"لسانيّات التّراث"، فإذا كان هذا الحكم يصدق تلك الأعمال، التي تقوم أساسًا على أخذ مفهوم، أو بعض المفاهيم من اللّسانيّات الحديثة، ثمّ تقارنها بما يقابلها في التّراث العربي، فإنّه لا يصدّق على أعمال التّنظير للتّراث اللّغوي العربي، إطلاقًا إذ أنّ المقارنة فيها عمليّة لاحقة لفعل القراءة، وليست جزءًا منه؛ بمعنى أنّ القراءة تكون بتحليل نصوص التّراث في ذاتها، ثمّ تحليلها في سياق إنتاجها ثانيًا، ومن ثمّ صياغتها صياغة علميّة وِفق قواعد بناء النّظريّات المعاصرة، وأمّا المقارنة فهي عمليّة إضافيّة، يقوم بها الباحث ليعرف موقع النّموذج، الذي بناه من النّظريّات اللّسانيّة المتنافِسة، وما هي أوجه التّشابه والاختلاف، بينه وبين هذه النّظريّات، والمقارنة هنا بمثابة الاختبار لما توصّل إليه من نتيجة، ومحاولة لبيان ما يقدمّه عمله من إضافة للّسانيّات العربيّة.

وكاستنتاج لهذا المبحث، يمكن عرض بعض النّقاط التي حاولنا فيها جمع أهمّ الانتقادات أو بالأحرى أهمّ النقائص في فكر "غلفان":

- لم يقدّم دليلًا على صحّة ما يقوله، يتحدّث عن فكر ومنهج ونظريّة ولم يثبت ذلك. (من خلال فهمنا له أنّه يُريد النّظريّات اللّسانيّة الغربيّة كلّها من بنويّة وتوليديّة تحويليّة وتداوليّة، وقد أرينا أنّه كتب عنهم جميعًا، ولم يستقرّ على واحدة كما فعل "الفهري" التّوليدي التّحويلي و"المتوكّل" الوظيفي).

[1] مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة-أسئِلة المنهج، ص 62.

[2] المرجع نفسه، ص 188.

– ليس له اطّلاع على التّراث وينتقده من خلال الكتابات فقط، ويحاول فرضها مهما كانت هذه النّظريّات البنيويّة أو التّوليديّة أو غيرها من النّظريّات المعروفة. (نعتقد أنّه يحمل مشروع هو العربيّة بمناهج لسانيّة غربيّة حديثة).

– لم يقدّم شيئًا سوى النّقد والكثير من التّساؤلات، حتّى في كتاباته الأخرى. (على الجانب التّطبيقي لم يقدّم عملًا سوى نقد نظري).

– خلال الكتاب وقد قرأناه فوجدناه أنّه يفتقد إلى المنهجيّة، صحيح أنّ بداية كلامه تجعلك تتصوّر أنّ هناك طرحًا جيّدًا، لكنّ سرعان ما تجد نفسك أمام غموض، أو نوع من الضّياع بين أفكار متناقضة. (لم نجد مفاهيم واضحة بمصطلحات علميّة أكاديميّة، سوى عبارات الفرص الضّائعة والفرص المتاحة...).

– كتاباته غير منظّمة، نتيجة التّكرار للفكرة في أكثر من موضع، طرح موقفه من التّراث، وراح يكرّر ذلك في أكثر من موقع في الكتاب.

– التّسرّع في إصدار الأحكام.

– التعصّب بقوله: تجاوزهم الزّمن مثل قوله: (والأهميّة التي كان يحظى بها سابقًا في الفكر العربي الحديث).

– التّناقض الكبير في أفكاره والدّليل موقفه من التّراث اللّغوي القديم، ثمّ التّراجع والدّليل ما كتبه عن فِكر الجرجاني وإعجابِه الشّديد به، وهذا نتيجة عدم اطّلاعه على التّراث، واعتماده على آراء غيره.[1]

– عدم ذكر جهود الباحث عبد الرّحمان الحاج صالح بشيء، لا مدحًا ولا انتقادًا. وهذا أمر غريب فيما نرى.

خلاصة القول إنّ البحث في اللّسانيّات العربيّة ليس بالأمر اليسير، الذي يحتاج إلى معارف ساذجة، وتصوّرات لا تمتُّ للعمليّة بصلة، فهو أمرٌ معقّد يتطلّب تسخير المعارف منهجيًّا ونظريًا للتّحليلات اللّغويّة، والوقوع في شبكة المعرفة العامّة، أخرج توجّهات الباحثين اللّسانيّة من علميتِها، فأصبحت تلك الأبحاث في تكاثر مستمرّ، ينمو يومًا بعد يوم، وهذا أفضى ببعض الباحثين ذوي الفِطنة، إلى السّعي إلى الحدِّ من مُشكلة مسّت العمليّة من

[1] عبد القادر بن التّواتي، كتاب -اجتهادات لغويّة- لتمّام حسّان، وكتاب -اللّسانيّات العربيّة (أسئلة المنهج)- لمصطفى غلفان، دراسة تقابليّة، مجلّة العلوم الإنسانيّة والطّبيعيّة، مج2، ع9، جامعة عمّار تليجي، الأغواط-الجزائر، 2021/09م، ص 205.

كلّ جانب، فاحتاجت إلى نقد لساني إبيستيمولوجي يروم تصنيف الأبحاث اللّسانيّة، ووضعِها في إطارها الصّحيح، ليتسنّى للباحثين تقويم أعمالهم ومناهج البحث لديهم، انطلاقًا من تصوّرات دقيقة وأسئلة ترسم معالم الأبحاث، وتحدّد أهدافها. من هنا أصبح النّقد اللّساني ملازمًا للبحث اللّساني، يراقبه عن كثب، ويسجّل ما له، وما عليه.

خـاتمـــــــــة

خاتمـــة:

حاولنا من خلال بحثنا الموسوم بـ: "الإنتاج اللّساني العربي الحديث وإشكالاته من خلال كتاب: اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج، لمصطفى غلفان –دراسة نقديّة–"، التطرّق وتسليط الضّوء على اللّسانيّات وموضوعها ومناهجها في الدّرس اللّساني الغربي، وكذا بدايات الدّرس اللّساني العربي، وملامح الدّرس اللّساني العربي المعاصِر عند مصطفى غلفان، بالإضافة إلى مآخذ بعض الباحثين على المؤلِّف وكتابه، فحاولنا الإجابة عن إشكالية بحثنا حول هذه القضيّة؛ فخرج البحث بنتائج نجمل أهمّها فيما يلي:

– اللّسانيّات هي الدّراسة العلميّة الحديثة للّغة واللّسان البشري، تهتمّ بدراسة كلّ اللّغات الإنسانيّة، منطوقة كانت أم مكتوبة ولا تفرّق بين اللّغات واللّهجات، مثلما حدد فيرديناند دي سوسير نطاقها ومنهجها.

– انتقلت اللّسانيّات إلى الفكر العربي، عن طريق الاحتكاك الذي حصل بين الثّقافتين العربيّة والغربيّة في عصر النّهضة، وبفضل جلب المستشرقين للتّدريس في الجامعات العربيّة.

– أنتج الفكر العربي عدّة مؤلّفات لسانيّة معتبرة رغم الانتقادات الموجهة إليها، ورغم نقائصها منها: "علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي" لمحمود السّعران، و"اللّسانيّات واللّغة العربيّة" لعبد القادر الفاسي الفهري.

– إغفال جهود عبد الرّحمان الحاج صالح، ونظريّته "المدرسة الخليليّة الحديثة" أمر غير مبرر علميًّا.

– الدّرس اللّساني العربي الحديث واجه العديد من الإشكالات، ساهمت في عرقلة تطوّره منها: ظاهرة التّكرار، وإشكاليّة التّرجمة والمصطلح والتّراكم، وعدم التّنسيق بين التّنظير والتّطبيق.

– غياب الدّقة والمنهج العلمي على أغلب البحوث اللّسانيّة العربيّة، جعلها لا تُساير تطوّر البحث اللّساني الغربي.

– يهدف الدّرس اللّساني العربي الحديث، إلى ربط اللّسانيّات الغربيّة باللّغة العربيّة نظريًّا ومنهجيًّا، وذلك بتطبيق مناهج اللّسانيّات الغربيّة الحديثة على ما يناسبها من اللّغة العربيّة.

– مصطفى غلفان من الباحثين اللّسانيّين المغاربة، ساهم بشكلٍ كبيرٍ ومتميّزٍ في الدّرس اللّساني العربي، وذلك من خلال عِدّة مؤلّفات في اللّسانيّات من بينها: كتاب "اللّسانيّات العربيّة –أسئلة المنهج–"، وكتاب "اللّسانيّات

في الثّقافة العربيّة –حفريّات النّشأة والتّكوين–"، وكتاب "في اللّسانيّات العامّة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها"، وكتاب "اللّسانيّات التّوليديّة من النّموذج ما قبل المعياري إلى البرنامج الأدنوي مفاهيم وأمثلة".

– تناول مصطفى غلفان الأسس والمبادئ والمناهج التي ترتبط باللّسانيّات العامّة، حيث انصبّ اهتمامه على تفسير الظّواهر اللّغويّة وعلاقتها بالبحث اللّساني.

– تتبّع أيضًا، بالبحث والتّحليل والنّقد مختلف الاتّجاهات اللّسانيّة العربيّة، وذلك بالكشف عن موضوعاتها ومناهجها وغاياتها.

– عرّف القارئ العربي بواقع الدّرس اللّساني العربي الحديث، وعلى أهمّ الصّعوبات التي واجهته، منذ تعرّف الثّقافة العربيّة على اللّسانيّات إلى يومنا هذا.

– دعا إلى التّوفيق بين التّراث اللّغوي العربي القديم، والدّراسات اللّسانيّة الغربيّة الحديثة، للقيام بفكر لساني عربي حديث، يعتمد على منهج علمي دقيق لمعالجة القضايا اللّغويّة المتعلّقة باللّغة العربيّة.

– اتباع المحاور الأساسيّة التي تتمثّل في الموضوع المنهج والغاية، هو الذي يحدّد ملامح البحث اللّساني الحديث.

– لتصحيح المسار المنهجي للّسانيّات العربيّة؛ ينبغي العودة إلى جوهر البحث اللّساني بتحميل اللّغة العربيّة في جميع مستوياتها، وكذا توحيد المصطلحات اللّسانيّة العربيّة، بالإضافة إلى إعادة النّظر في تدريس اللّسانيّات في الجامعات العربيّة.

– فرّق بين اللّسانيّات والنّحو العربي، حيث يرى أنّ اللّسانيّات وسيلة لتبسيط قواعد النّحو العربي، وليست اللّسانيّات هي النّحو العربي، كما اعتقد بعض الباحثين العرب.

– يندرج منهج غلفان في كتابه "اللّسانيّات العربيّة –أسئلة المنهج–"، في إطار التّحليل النّقدي للّسانيّات العربيّة، وهذا في نظره وسيلة لتصحيح مسار اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة.

– محاولة مصطفى غلفان النّقديّة من خلال كتابه السّابق ذِكره، للبحث عن أهمّ ما قدّمته اللّسانيّات العربيّة وسِماتها المنهجيّة والنّظريّة.

– اتّجاه البحث اللّساني عند صاحب الكتاب بشكلٍ عامّ هو اتّجاه توليدي، لأنّه يدعو في جُلّ كتاباته إلى تحليل جديد لبِنيات اللّغة العربيّة، ومحاولة تقديم بديل نظري ومنهجي، يسمح بإعادة بناء نحو جديد للّغة العربيّة.

وفي الأخير يمكن القول إنّ الإنجازات التي قدّمها مصطفى غلفان، تعتبر من أهمّ المراجع التي يمكن أن يرجع إليها القارئ العربي، لتتبّع مسار الدّرس اللّساني العربي الحديث، والاطّلاع على أهمّ ما أُنجِز في الثّقافة العربيّة في هذا المجال، بالإضافة إلى الكشف عن السّمات العامّة التي تميّز بها الدّرس اللّساني العربي الحديث، بالرّغم من كونه قد أخفق في بعض المواضع؛ خاصّةً فيما يخصّ جهود اللّسانيّين العرب القدامى، إلّا أنّه كان مُلمًّا بكلّ ما هو متعلّق باللّسانيّات الغربيّة الحديثة، والدّراسات اللّسانيّة العربيّة الحديثة، وبهذا يكون قد ساهم بشكلٍ متميِّز في ترقية الدّرس اللّساني العربي الحديث.

وما توفيقنا إلّا باللّه عليه توكّلنا وإليه نُنيب، والسّلام عليكم ورحمة اللّه تعالى وبركاته.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.

أ- المصادر:

1- جون دي بوا، معجم اللّسانيّات، نقلًا عن مبادئ اللّسانيّات للدّكتور أحمد محمد قدّور، دار الفِكر، دمشق، 1999م.

2- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للنّشر والطّباعة والتّوزيع، ج1، ط2، القاهرة، 1988م-1408هـ.

3- ـــــــ، الكتاب، الأميريّة ببولاق مصر المحميّة، ج2، ط1، القاهرة، 1317هـ، ص 304.

4- مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربيّة (أسئلة المنهج)، دار وِرد الأردنيّة للنّشر والتّوزيع، ط1، عمّان، 2013م.

ب- المراجع:

1- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصريّة، ط5، القاهرة، 1984م.

2- أبو عمر الدّاني، المحكم في نقطة المصحف، تح: عزّة حسن، دار الفكر، ط2، بيروت، 1997م.

3- أحمد حساني، مباحث في اللّسانيّات، سلسلة الكتاب الجامعي، ط2، الإمارات العربيّة المتّحدة، 2013م.

4- أحمد عزّوز، المدارس اللّسانيّة أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التّواصلي، دار الأديب للنّشر والتّوزيع، وهران، 2005م.

5- أحمد محمد قدّور، مبادئ اللّسانيّات، دار الفكر، ط3، دمشق، 2008م.

6- أحمد مختار عمر، البحث اللّغوي عند العرب، عالم الكتب، ط6، القاهرة-مصر، 1988م.

7- أحمد مومن، اللّسانيّات النّشأة والتّطوّر، ديوان المطبوعات الجامعيّة، ط2، الجزائر، 2005م.

8- الطيّب دبّة، مبادئ اللّسانيّات البنويّة (دراسة تحليليّة إبستمولوجيّة)، دار القصبة للنّشر، ط1، الجزائر، 2001م.

9- بن زرّوق نصر الدّين، محاضرات في اللّسانيّات العامّة، مؤسّسة كنوز الحكمة للنّشر والتّوزيع، ط1، الجزائر، 2011م.

10- تمّام حسّان، اجتهادات لغويّة، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2007م.

11- ـــــــــ، الأصول-دراسة إبستيمولوجيّة للفكر اللّغوي عند العرب-، عالم الكتب، القاهرة، 2000م.

12- ـــــــــ، اللّغة بين المعياريّة والوصفيّة، عالم الكتب، ط4، القاهرة، 2000م.

13- ـــــــــ، مناهج البحث في اللّغة، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، الدّار البيضاء، 1986م.

14- جفري سامسون، مدارس اللّسانيّات -التّسابق والتّطوّر-، تر: محمد زياد كبّة، النّشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة العربيّة السّعوديّة، 1997م.

15- جلال الدّين عبد الرّحمان السّيوطي، تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، بيروت-لبنان، 2003م.

16- جورج مونان، علم اللّغة في القرن العشرين، تر: بدر الدّين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، سوريا، 1392هـ-1972م.

17- حافظ إسماعيلي علوي، اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة المعاصِرة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، بيروت-لبنان، 2009م.

18- حسام البهنساوي، التّراث اللّغوي العربي وعلم اللّغة الحديث، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، ط1، القاهرة، 2004م.

19- حسن خميس سعيد الملخ، نظريّة التّعليل في النّحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، ط1، عمّان-الأردن، 2000م.

20- حلمي خليل، العربيّة وعلم اللّغة البنيوي، دار المعارف الجامعيّة، مصر، 1996م.

21- حمادي صمود، التّفكير البلاغي عند العرب-أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس-، منشورات الجامعة التّونسيّة، د.ط، تونس، 1981م.

22- خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللّسانيّات، دار القصبة للنّشر، ط2، الجزائر، 2006م.

23- ذهبية حمّو الحاجّ، لسانيّات التلفّظ وتداوليّة الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط2، جامعة مولود معمري-تيزي وزّو، 2005م.

24- روبينز، ر، هـ، موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب، تر: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، رقم 277، الكويت، نوفمبر 1997م.

25- روي هاريس وتولبت جي تيلر، أعلام الفكر اللّغوي (التّقليد الغربي من سقراط إلى سوسير)، تعريب: أحمد شاكر الكلابي، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ج1، ط1، بيروت-لبنان، 2004م.

26- شرف الدّين الرّاجحي وآخرون، مبادئ علم اللّسانيّات الحديث، دار المعرفة الجامعيّة الإسكندريّة، مصر، 1991م.

27- صالح بلعيد، مقالات لغويّة، دار هومة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الجزائر، 2004م.

28- صلاح فضل، النّظريّة البنائيّة في النّقد الأدبي، دار الشّروق، ط1، القاهرة-مصر، 1998م.

29- عاطف مدكور، علم اللّغة بين التّراث والمعاصرة، دار الثّقافة للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1987م.

30- عبد الجليل مرتاض، التّحوّلات الجديدة للّسانيّات التّاريخيّة، دار هومة، الجزائر، 2001م.

31- عبد السّلام المسدّي، التّفكير اللّساني في الحضارة العربيّة، الدّار العربيّة للكتاب، ط2، تونس، 1986م.

32- عبد السّلام المسدّي، مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، لبنان، 2010م.

33- عبد الرّحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللّسانيّات العربيّة، موفم للنّشر، ج1، الجزائر، 2012م.

34- عبد العزيز حليلي، اللّسانيّات العامّة واللّسانيّات العربيّة (تعاريف، أصوات)، منشورات دراسة-سال، ط1، الدّار البيضاء، 1991م.

35- عبد القادر الفاسي الفهري، اللّسانيّات واللّغة العربيّة، دار توبقال للنّشر، ج1، الدّار البيضاء، 1985م.

36- عبد القادر عبد الجليل، علم اللّسانيّات الحديثة، دار الصّفا، ط1، عمّان-الأردن، 2002م.

37- عبده الرّاجحي، النّحو العربي والدّرس الحديث (بحث في المنهج)، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.

38- علي زوين، منهج البحث اللّغوي بين التّراث وعلم اللّغة الحديث، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة-آفاق عربية، ط1، بغداد، 1986م.

39- علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، مكتبة النّهضة للنّشر والطّباعة والتّوزيع، ط4، مصر، 1977م.

40- غازي مختار طليمات، في علم اللغة، دار طلاس للدّراسات والتّرجمة والنّشر، ط2، دمشق-سوريا، 2000م.

41- فاطمة الهاشمي بكّوش، نشأة الدّرس اللّساني العربي الحديث، ايتراك للنّشر والتّوزيع، ط1، مصر، 2004م.

42- فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنيّة العامّة، تحقيق: صالح قرمادي وآخرون، الدّار العربيّة للكتاب، طرابلس-ليبيا، 1985م.

43- ــــــــــــــــ، في الألسنيّة العامّة، تر: صالح القرمادي، وآخرون، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، 1985م.

44- فرديناند دي سوسير، علم اللّغة العامّ، تح: يوئيل يوسف عزيز، مر: مالك المطلبي، دار آفاق العربيّة، د.ط، بغداد، 1980م.

45- كريم زكي حسام الدّين، أصول تراثيّة في علم اللّغة، مكتبة الأنجلو مصريّة، ط2، القاهرة-مصر، 1985م.

46- ماريو باي، أسس علم اللّغة، تر: أحمد مختار عمر، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1973م.

47- محمد حسين آل ياسين، الدّراسات اللّغويّة عند العرب إلى نهاية القرن الثّالث، دار مكتبة الحياة، ط1، بيروت-لبنان، 1980م.

48- محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيّات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، بيروت-لبنان، 2004م.

49- محمود السّعران، علم اللّغة، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1997م.

50- محمود جاد الربّ، علم اللّغة نشأته وتطوّره، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1985م.

51- محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللّغوي، دار المعرفة الجامعيّة للنّشر والتّوزيع، د. ط، الإسكندريّة، 2002م.

52- محمود فهمي الحجازي، مدخل إلى علم اللّغة، دار قُباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة-مصر، 1997م.

53- مصطفى غلفان، اللّسانيّات البنيويّة منهجيّات واتّجاهات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، بيروت-لبنان-، 2013م.

54- ــــــــــــــ، في اللّسانيّات العامّة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط2، بيروت-لبنان، 2010م.

55- ــــــــــــــ، اللّسانيّات في الثّقافة الحديثة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، بيروت-لبنان، 2009م.

56- مصطفى غلفان، اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة (حفريّات النّشأة والتّكوين)، دار المدارس، ط1، المغرب، 2006م.

57- ــــــــــــــ، اللّغة واللّسان والعلامة عند سوسير (في ضوء المصادر الأصول)، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، بيروت-لبنان، 2017م.

58- ميشال زكرياء، الألسنيّة (علم اللّغة الحديث) المبادئ والأعلام، المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات والنّشر والتّوزيع، بيروت، 1983م.

59- نايف خرما، أضواء على الدّراسات اللّغويّة المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة -المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م.

60- نهاد الموسى، البحث عن نظريّة النّحو العربي في ضوء مناهج النّظر اللّغوي الحديث، دار البشير للنّشر والتّوزيع مكتبة وسام، ط2، الإمارات، 1987م.

ج- المجلّات:

1- أحلام سعيدي، مصطفى غلفان وجهوده في تقديم اللّسانيّات للقارئ العربي-قراءة في بعض كتاباته-، مجلّة المقرئ للدّراسات اللّغويّة النّظريّة والتّطبيقيّة، مج3، ع5، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، 2019م.

2- تمّام حسّان، درجات الصّواب والخطأ في النّحو والأسلوب، مجلّة مجمع اللّغة العربيّة، ج56، مصر، ماي 1975م.

3- ـــــــــ، إعادة وصف اللّغة العربيّة ألسنيًّا، أشغال ندوة اللّسانيّات واللّغة العربيّة، مركز الدّراسات والأبحاث الاقتصاديّة والاجتماعيّة-الجامعة التّونسيّة، تونس، 13-19 ديسمبر 1978م.

4- حسام تمّام، تمّام حسّان مجدّد العربيّة، مجلّة جامعة الملك سعود، المملكة العربيّة السّعوديّة، 2007م.

5- حسن بلبشير، الدّراسات اللّغويّة بين الأصالة والمعاصرة، مجلّة الأثر، ع8، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، ماي 2009م.

6- خالد خليل هادي، مؤيّد آل صوينت، تمّام حسّان في معيار النّقد اللّساني، مجلّة الأستاذ، ع203، كليّة التّربية-ابن رشد-جامعة بغداد وكليّة الآداب الجامعة المستنصريّة، بغداد، 2012م.

7- خليل العمايرة، البِنية التحتيّة بين عبد القاهر وتشومسكي، مجلّة الأقلام، ع1، بغداد، 1983م.

8- دقّي جلّول، أثر المرجعيّات الثّقافيّة في اللّسانيّات العربيّة الحديثة، مجلّة العمدة في اللّسانيّات وتحليل الخطاب، مج3، ع2، جامعة محمد بوضياف- المسيلة -، الجزائر، 2019م.

9- شفيقة العلوي، العامل بين النّظريّة الخليليّة الحديثة والرّبط العاملي لنوام تشومسكي، مجلّة حوليات التّراث، ع7، جامعة مستغانم، الجزائر، 2007م.

10- عائشة برارات، دلائل الإعجاز من البنويّة إلى التّداوليّة، مجلّة الواحات للبحوث والدّراسات، ع11، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، المركز الجامعي، غرداية، 2011م.

11- عبد الرّحيم البار، مظاهر الفكر اللّساني الغربي في اللّسانيّات العربيّة الحديثة، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، ع6، جامعة محمد خيضر-بسكرة- الجزائر، ديسمبر 2014م.

12- عبد القادر بن التّواتي، كتاب -اجتهادات لغويّة-لتمّام حسّان، وكتاب -اللّسانيّات العربيّة (أسئلة المنهج)- لمصطفى غلفان، دراسة تقابليّة، مجلّة العلوم الإنسانيّة والطّبيعيّة، مج2، ع9، جامعة عمّار تليجي، الأغواط- الجزائر، 2021/09م.

13- عزوز بلال، فتاتي فاتنة، الجهود اللّسانيّة عند عبد الرّحمان الحاج صالح وتمّام حسّان وأثره في تعليم اللّغة العربيّة، جريدة العربيّة، مج6، ع1، جامعة غرداية، الجزائر، فيفري 2023م.

14- علي معيوف عبد العزيز بن المعيوف، دراسة اللّغويّين العرب المحدثين لأصوات العربيّة -قراءة لأربعة أمثلة، مجلّة جامعة ذمار للدّراسات والبحوث، ع11، اليمن، جانفي 2010م.

15- عيواج صونيا، اللّغة، قراءة في المفهوم، النّشأة والتطوّر عبر العصور، مجلّة التميّز الفكري للعلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة، ع6، مؤسّسة جامعة باتنة 1، جويلية 2021م.

16- مصطفى غلفان، اللّسانيّات العربية الحديثة -دراسة نقديّة في المصادر والأسس النّظريّة والمنهجية-، سلسلة رسائل أطروحات، رقم 4، جامعة الحسن الثاني، كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، المغرب، 1998م.

17- منصوري ميلود، الفكر اللّساني عند الدّكتور عبد الرّحمان الحاج صالح، مجلّة العلوم الإنسانيّة، ع7، جامعة محمد خيضر بسكرة، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة وهران-الجزائر، جانفي 2005م.

18- يحي بعيطيش، الكفاية العلميّة والتّعليميّة للنّظريّة الخليليّة الحديثة، مجلّة التّواصل، ع25، كليّة الآداب واللّغات جامعة منتوري -قسنطينة-، الجزائر، مارس 2010م.

د- أطروحات الدّكتوراه:

1- سعاد لعربي، جهود عبد السلام المسدّي اللّسانيّة -دراسة في المنهج والتّأصيل- (أطروحة دكتوراه في اللّسانيّات)، قسم اللّغة والأدب العربي، كلّيّة اللّغة والأدب العربي والفنون، جامعة الحاجّ لخضر-باتنة 1-الجزائر، 2019م/2020م.

هـ- المواقع الالكترونيّة:

1- الموقع الالكتروني: موقع النّاقِد المغربي محمد الدّاهي، المغرب، ماي 2010م، تاريخ الولوج: 2024/05/10م، 18:38. https://www.mohamed-dahi.net/site/index.php

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

شكر وتقديـر.....

إهـداء .....

مقدّمـة..... أ–د

الفصل الأوّل: اللّسانيّات وموضوعها ومناهِجُها في الدّرس اللّساني الغربي.

المبحث الأوّل: نظرة تاريخيّة عن الدّرس اللّغوي قبل ظهور اللّسانيّات..... 6-12

المبحث الثّاني: اللّسانيّات موضوعها ومناهجها عند دي سوسير 13-20

المبحث الثّالث: اللّسانيّات بعد دي سوسير، موضوعها ومناهجها 20-26

الفصل الثّاني: اللسانيات في الدّراسات العربيّة الحديثة.

المبحث الأوّل: بدايات الدّرس اللّساني العربي.....28-40

المبحث الثّاني: روّاد الدّرس اللّساني العربي المعاصر.....40-44

المبحث الثّالث: الدّرس اللّساني العربي المعاصر بين التّأصيل والتّجديد 45-59

الفصل الثّالث: ملامح الدّرس اللّساني العربي المعاصِر عند مصطفى غلفان.

المبحث الأوّل: قضايا اللّسانيّات العربيّة من خلال كتابيّ: "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج"، و"اللّسانيّات في الثّقافة العربيّة الحديثة"، لـمصطفى غلفان.....61-72

المبحث الثّاني: قراءة في كتاب "اللّسانيّات العربيّة، أسئلة المنهج" لمصطفى غلفان.....73-114

المبحث الثّالث: مآخذ بعض الباحثين على المؤّلف وكتابه 114-119

خاتمـة.....121-123

قائمة المصادر والمراجع 125-132

الفهرس.....134

الملاحـق.....136-143

الملاحـــــــق

اللسانيات العربية
أسئلة المنهج

د. مصطفى غلفان

WARD BOOKS
E.R.L.C.A

فهرس المحتويات

مقدمة	7
الفصل الأول : مدخل تمهيدي	11
الفصل الثاني : اللسانيات العربية : رؤية نقدية منهجية	39
الفصل الثالث : حفريات الفرص الضائعة	67
الفصل الرابع : أزمة اللسانيات العربية من خلال بعض الكتابات العربية	91
الفصل الخامس : النحو واللسانيات : أية علاقة؟	131
الفصل السادس : من التراث اللغوي إلى اللسانيات	183
الفصل السابع : الجرجاني في كتابات اللغويين العرب : تعددت القراءات والرجل واحد	225
الفصل الثامن : تدريس اللسانيات باللغة العربية	251
خاتمة	265
بيبليوغرافيا	269

مقدمة

- هل تساءل اللسانيون العرب المحدثون بمختلف مشاربهم النظرية والمنهجية عن العلاقة المنهجية التي تجمع أبحاثهم اللسانية بخطاب اللسانيات المتداولة عالمياً؟
- هل تساءل اللسانيون العرب عن القيمة المنهجية لما يقومون به مقارنةً بما هو موجود من كتابات لسانية تتعلق بلغات مثل الإنجليزية أو الفرنسية أو الإسبانية أو الألمانية أو اليابانية؟

نعتقد دون النيل من كفاءات الدارسين العرب العلمية أو الإساءة إليها ، أنَّ كمّاً هائلاً مِمَّا يُكتَب باللغة العربية ويُنشَر في الكتب والمقالات والاستجوابات بعيد في مضمونه كلَّ البعد عن روح التَّحليل اللساني بمفهومه العلمي الدقيق . و يبدو أنَّ المشكل الَّذي تعاني منه العديد من الدراسات اللغوية العربية هو افتقادها الأساس المنهجي الذي يُفْتَرض أن يُسْتَمدَّ من النظرية اللسانية العامَّة نفسها . فكتاباتنا اللسانية الحديثة في الكثير من نماذجها الرائجة في الثقافة العربية الحديثة تفتقد لما يربطها بجوهر المنطلقات النظرية والمنهجية المتَّبعة في الخطاب اللساني بمعناه الصحيح . وليست لسانيات (اللغة) العربية أو لسانيات أي لغة أخرى سوى الوجه الآخر لما يتحصَّل لدينا في اللسانيات من فرضيات ومبادئ منهجية عامَّة في تحليل اللغة واللغات ومعالجتها . ما يختلف من لسانيات (خاصة) إلى أخرى هو المادة اللغوية التي يُشْتَغل عليها ، أمَّا مختلف الأطر النظرية والمنهجيات المترتِّبة عنها أو المرتبطة بها فالمفترض أن تظلَّ بالنسبة إلى كلِّ اللغات هي نفسها أو أنْ يتمَّ فيها إجراءُ تعديل *ajustement* طفيف بين المادة (الموضوع) المدروسة والمنهج المقترَح لدراستها .

ونجدِّد في مجمل فصول هذا الكتاب التأكيد على فرضية عامَّة قادت تصورنا النظري والمنهجي في ما سبق أن كتبناه في موضوع الفكر اللساني العربي الحديث ولاسيما كتابنا «**اللسانيات العربية : دراسة تحليلية نقدية في المصادر والأسس**

النظرية والمنهجية» الصادر سنة ١٩٨٨ . ومفاد هذه الفرضية أنَّ قيام لسانيات عربية أو لسانيات العربية في المستوى العلمي اللائق مرهون في بنائه النظري والمنهجي بمدى قدرة الأبحاث اللسانية العربية على التعامل مع اللغة العربية تعاملاً مباشراً . فالمباحث اللسانية التي تحتاج إليها الثقافة العربية اليوم ، هي في المقام الأول تلك التي تستطيع أن تستنبط أصولها ومبادئها وقواعدها من اللغة العربية في انسجام تام وتوافق عام مع ما تقدِّمه اللسانيات الحديثة من فرضيات نظرية ومنهجية لتحليل اللغات الطبيعية ومعالجتها . أما الالتفاف حول التراث اللغوي العربي وتأويله في ما يعرف بإعادة قراءة التراث أو إعادة تشكيله ، فلم يعد له في خضم التحولات الفكرية والاجتماعية العالمية والعربية الراهنة ذاك الوقع وتلك الأولوية والأهمية التي كان يحظى بها سابقاً في الفكر العربي الحديث . وإذا كانت مسألة إعادة قراءة التراث ضرورةً تاريخيةً أو حضاريةً في فترة ما من تاريخ الفكر العربي ، فإنه لا ينبغي أن تتَحوَّل هذه «الضرورة» إلى حتمية تاريخية ملازمة له ممَّا يَحول دون قيام ونمو «لسانيات العربية» بالمعنى العلمي الدقيق ، فضلاً على أنَّ مشروع اهتمام اللسانيات العربية بالتراث اللغوي القديم قد وصل -في اعتقادنا-إلى الطريق المسدود ، لأن تحقيقه يرتبط بعوامل غير مضبوطة منهجياً وغير قابلة للمراقبة العلمية . وأخيراً فإن التعامل مع التراث اللغوي في ضوء اللسانيات عمل فكري ـ على الرغم ممَّا قد يكون له من أهمية معرفية من وجهات أخرى ـ يقع على هامش اللسانيات وليس في صلبها ، لكونه ، من الناحية المبدئية ، لا يندرج مباشرة ضمن مهام اللسانيات و إنْ تحرَّينا الدِّقة ؛ قلنا إنه لا يدخل في موضوعها الوحيد والحقيقي الذي هو اللسان في ذاته ومن أجل ذاته(١) .

و يبدو أن المشروع الحضاري الذي راهن عليه ، منذ ما يزيد عن ثلاثة عقود وبحماسة قلَّ نظيرها و بصدق وإخلاص أيضاً ، بعضُ اللسانيين (عبده الراجحي وعبد السلام المسدي مثلاً) بالتأكيد على أهمية هذا النوع من العمل اللساني ودوره ؛ لم تكن له نتائج عملية تُذكر أو أية مردودية نظرية أو منهجية سواء بالنسبة للغة العربية أم بالنسبة للتراث اللغوي العربي ، أم اللسانيات ، بقدر ما رسَّخ بعمق تشبث الثقافة العربية الحديثة بالماضي جملةً وتفصيلاً وأدَّى إلى رفض ضمني لكلِّ مظاهر

(1) *F.de Saussure, Cours de linguistique générale, p317.*

التجديد والحداثة المنهجية التي حملتها اللسانيات بين طياتها في مقاربة اللغة البشرية والألسن الطبيعية .

وجدير بالإشارة في هذا المقام أنَّ الفرضية التي نؤكِّد عليها في هذه الدراسة ليست سوى تحصيل حاصل . فمن المعروف أنه لا تقوم للتحليل اللغوي من منظور اللسانيات قائمة أو يُتصوَّر له أي وجود معرفي خارج ما تحيل عليه هذه الفرضية من متطلبات منهجية وتحليلية تتمثَّل في مقاربة موضوع اللسانيات المُحدَّد في دراسة لسان معين (اللسان *la langue* بالمفهوم السوسيري) . فالممارسة اللسانية الحقيقية بالنسبة للغات كالفرنسية أو الإنجليزية أو الإسبانية أو الألمانية أو غيرها تتَّخِذ من هذه اللغات في مستوياتها الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية والدلالية والتداولية هدفاً للتحليل والمعالجة . و يترتَّب عن هذه الفرضية المنطلق جملة من المتطلبات النظرية والشروط المنهجية التي تتلخَّص أساساً في تحديد الإطار النظري وصياغة مكوناته صياغة صورية والأدوات الإجرائية اللازمة لتحليل اللغة ودراستها .

وسيلاحظ القارئ أنَّنا في مجمل فصول هذا الكتاب ، نقترح أسئلة منهجية أكثر مِمَّا نسعى إلى تقديم الأجوبة الجاهزة ، وعياً منَّا بأنَّ الأجوبة العلمية غالباً ما تكون مؤقتة . وتسمح كثير من الأسئلة المنهجية المطروحة هنا بأن نتساءل عن طبيعة العمل الذي يقوم به اللسانيون العرب :

- **بم يشتغل اللسانيون العرب؟**
- **ما المنهجية المتبعة في كتاباتهم؟**
- **ما النتائج النظرية و المنهجية لما يقومون به؟**

إن الدراسة التي نقدِّمها للقارئ العربي تنظُر في غياب الروابط المنهجية في الكثير من الكتابات اللغوية العربية ومحاولة فهم بعض أسباب هذا الغياب قياساً على مضامين الخطاب اللساني العام .

وغني عن البيان أنَّ الأسئلة المطروحة في ثنايا الكتاب تندرج في إطار تصور مُحدَّد للعمل اللساني يُفترَض مبدئياً أن يكون هو السائد في البحث اللساني العربي الحديث ، وهو تصوُّر لا يختلف عما هو متداول في لسانيات لغات أخرى . و يتأسس هذا التصور على الانخراط المطلق في المنطلقات النظرية والمنهجية المشتركة بين مختلف الاتجاهات اللسانية الحديثة مهما تباينت أطرها النظرية والمنهجية . وفي مقدِّمة هذه المنطلقات المنهجية ، **أن موضوع اللسانيات هو دراسة بنية الألسن**

الطبيعية في مختلف مستوياتها في إطار نظري مُحدَّد وفق منهج مضبوط .

وعسى أن نلفت الانتباه إلى الوضع العبثي الذي تعيشه اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة ؛ وأن نفتح عبر فصول الكتاب أعين الدارسين اللسانيين والمهتمين باللسانيات على ما هو أجدى وأفيد بالنسبة إلى ثقافتنا اللسانية الحديثة ألا وهو ضرورة التعامل المباشر مع اللغة العربية أولاً وأخيراً .

ولا يفوتني أن أشكر كل الأساتذة الزملاء سواء الذين استمعوا إلى المادة الأصلية للكتاب في الندوات أو الأيام الدراسية التي نظمتها كليات الآداب بالدار البيضاء والقنيطرة ومراكش وفاس وكلية اللغة بمراكش ، أم أولئك الذين قرؤوا الكتاب في صورته المخطوطة فأفادوني بملاحظاتهم وتوجيهاتهم النيرة التي حاولت أخذها بعين الاعتبار .

وأود أن أتوجه بالشكر للأستاذ الدكتور حافظ إسماعيلي علوي على دعمه المعنوي المستمر لي وتشجعيه من أجل نشر بعض دراساتي التي كاد الزمن أن يأتي عليها . وقد قام الأستاذ حافظ مشكوراً بقراءة فصول الكتاب وتنقيحها وإخراجها على هذا الصورة . كما غمرني الأستاذ حافظ بكرمه حين قبل طبع الكتاب في إطار منشورات فريق البحث في اللغة والتواصل والحجاج الذي أسسه مع مجموعة من الباحثين الشباب .

كما أتوجه بالشكر لأخي عبد الله غلفان الذي ما فتئ يمدني بالمصادر والمراجع كلما كنت في حاجة إليها ، و سمير غلفان الذي قدَّم لي خدمات تقنية كثيرة تتعلق بالإعداد الأولي للكتاب . كما أشكر الأصدقاء المصطفى مبساط وعلال الصغيري وعبد الله المتقي والصديق بوخلال ورشيد محفوظ وباقي الأصدقاء الذين فاتني ذكر أسمائهم .

فلهؤلاء وأولئك أتوجه بالشكر الجزيل ، علماً أنني أتحمَّل وحدي مسؤولية الآراء التي يتضمنها الكتاب .

د . مصطفى غلفان

10

الحوار الذي أجراه محمد الدّاهي، مع د. مصطفى غلفان بشأن اللّسانيّات العربيّة:

في إطار الحوار أو المقابلة التي أجراها، النّاقِد "محمد الدّاهي" مع الدّكتور "مصطفى غلفان"، الذي طرح عليه ثُلّة من الأسئلة حول موضوع اللّسانيّات العربيّة، وذلك قصد بيان المنزلة التي تكتسيها اللّسانيّات العربيّة إلى جانب طبيعتها ووظيفتها.

حيث تمثّل السّؤال الأوّل الذي طرحه "محمد الدّاهي" على "مصطفى غلفان"، فيما يلي: أصبحت اللّسانيّات اليوم تشغل صدارة العلوم الإنسانيّة، تستأثر باهتمام النّظريّات التّواصليّة والإعلاميّة، لِم هذا الاهتمام المتزايد باللّساني؟ وكان ردّه على النّحو التّالي:« يمكن القول بأنّ صدارة اللّسانيّات، لها عواملها الموضوعيّة والتّاريخيّة لاسيما في الفكر الغربي، ويمكن القول بأنّ ازدهار اللّسانيّات وتطوّرها في القرنين الثّامن والتّاسع عشر، ارتبط أساسًا بالتّوسّع الأوروبي سياسيًّا واقتصاديًّا، واللّغة مفتاح العقليّة، ومفتاح ثقافة الشّعوب وملامحها الماديّة والمعنويّة، ولهذه الأسباب ارتبط نموّ اللّسانيّات بالأبحاث الأنتروبولوجيا والفيلولوجيا والأركيولوجيا، وتاريخ الثّقافات والأديان التي تلعب فيها اللّغة دورًا مركزيًّا، للكشف عن البنيات الذّهنيّة للشّعوب النّاطقة بها »[1].

أمّا السّؤال الثّاني الذي وُجّه له فهو الآتي: لا تذكر منجزات العرب في تأريخ اللّساني، بما يحدث قطيعة في تسلّل التّاريخ الإنساني، ما هي خلفيّات هذه الثّغرة العربيّة في تاريخ اللّسانيّات؟ ولماذا لم تجد اللّغة العربيّة بوصفِها نمطًا لغويًّا حظّها، عند استعراض اللّسانيّين لنماذج اللّغات في العصر الحديث؟ مجيبًا: إنّ إشكاليّة التّاريخ في العلوم عامّةً، وفي العلوم الإنسانيّة خاصّةً، مسألة معقّدة سواء من النّاحية النّظريّة أو المنهجيّة، فليس هناك طريقة متّفقة عليها لكتابة تاريخ أيّ علم كيفما كانت طبيعته، وفي كلّ الكتابات التّاريخيّة يتعايش الذّاتيّ والموضوعيّ، وأنّ كتابة التّاريخ عمومًا هي كتابة ذاتيّة وكأنّها نوعٌ من الإسقاط، لأنّها تنطلق من إطار وأدوات معرفيّة مختلفة في الزّمان والمكان، ومؤرّخيّ كلّ حقبة يدوّنون التّاريخ، ويفهمونه انطلاقًا من وجهة نظرهم، وهو ما يعني أنّنا نكتب التّاريخ كما نريد؛ فتاريخ الفكر اللّساني الإنساني، هو التّاريخ الذي كتبه الغربيّون، لا يعطي للفكر اللّغوي العربي حقّه التاريخي.

---

[1] الموقع الالكتروني: موقع النّاقِد المغربي محمد الدّاهي، المغرب، ماي 2010م، تاريخ الولوج: 2024/05/10م، 18:38.
https://www.mohamed-dahi.net/site/index.php

ثمّ بعد ذلك انتقل إلى السّؤال الموالي المتمثّل فيما يلي: يندرج تصوّركم اللّساني في إطار التّحليل النّقدي الذي يسعى إلى مساءلة الأسس النّظريّة والمنهجيّة للّسانيّات العربيّة، لما تبنّيتم هذا الاختيار المنهجي؟ ما الاعتبارات المعرفيّة التي تحكّمت فيها؟ وما هي النّتائج التي توصّلت إليها بواسطته؟ وكان الرّد على ذلك كالتّالي:« أعتقد أنّ المشكل الحقيقي الذي يواجهنا في الثّقافة العربيّة على كافّة المستويات، هو استمرار النّقاش في موضوع الأصالة والمعاصرة، ومن هذا المنطلق نجد كثيرًا من الكتابات اللّسانيّة العربيّة، أو الخطاب اللّساني العربي تعرّض لهذه الإشكاليّة، والمتمثّلة في السّؤال التّالي: كيف نتعامل مع الموروث اللّغوي العربي القديم من جهة؟ وتلك التي تسقط في أحضان اللّسانيّات بنوعٍ من العمى الفكري لا تخدم الفكر اللّساني العربي، فكان من الضّروريّ الانطلاق من أرضيّة منهجيّة مضبوطة ومحدّدة لأسس البحث اللّساني في صورته العامّة، وهي أسس لا يختلف حولها من يشتغل باللّسانيّات ».

وأمّا السُؤال الذي أتى بعده، فقد كان كما يلي: ما تقويمكم للواقع اللّغوي في المغرب؟ وكيف يمكن للّسانيّات العربيّة أن تفهم في تبديد ما يعتريه، من لُبس أو تشويه إيديولوجيّ؟ فأجاب قائلًا:« إنّ من النّاحية الموضوعيّة، لا يمكنه أن يقدّم تقييمًا للوضع اللّغوي في المغرب، في غياب الدّراسات الشّاملة والدّقيقة عن هذا الواقع، فهم لا يملكون سِوى انطباعات عامّة عن هذا الواقع اللّغوي بكلّ مكوّناته، فبنظره يتعيّن أوّلًا تشخيص الوضع وِفق المعايير المتداولة في البحث السّوسيولساني، ووضع الخريطة اللّغوية الحقيقيّة بكيفيّة موضوعيّة تكون شاملة وتامّة، وبعدها ويمكن استخلاص ما يمكن استخلاصُه ». وهذا إضافةً إلى مجموعة أخرى من الأسئلة، قد ذكرناها في المبحث السّابق الخاصّ بكتاب "اللّسانيّات العربية –أسئِلة المنهج" لـمصطفى غلفان.

ملخّص البحث:

إنّ واقع البحث اللّساني عند اللّسانيّين العرب المعاصرين مشوّش وغير واضح المعالم، وذلك رغم العديد من الدّراسات والبحوث التي حاولت أن تَثري هذا العلم اللّغوي، ومن بين هذه المحاولات ما قام بها الدّكتور "مصطفى غلفان"، والذي يرى أنّ أغلب اللّسانيّين العرب، لم يُدركوا بعد حقيقة ومهمّة اللّسانيّات، ويرى أنّ أغلب الدّراسات العربيّة كانت تشتغل على هامش اللّسانيّات، ولم تصل إلى اللّسانيّات في جوهرها؛ وعليه فقد حاولنا في هذا البحث تسليط الضّوء، على ماهيّة الكِتابة اللّسانيّة العربيّة الحديثة، حسب رُؤية "مصطفى غلفان"، وكيفيّة انتقادِه للّسانيّات العربيّة الحديثة، منهجًا وإجراءً.

الكلمات المفتاحيّة: اللّسانيّات العربيّة، مصطفى غلفان، المنهج، الكتابة اللّسانيّة العربيّة.

Résumé De La Recherche:

La réalité de la recherche Linguistique chez les linguistes arabes contemporains est confuse, et peu claire, malgré de nombreuses études et recherches qui ont tenté d'enrichir cette science du langage, parmi ces tentatives on trouve celle du Dr Mustapha GHALAFAN, qui estime que la plupart des linguistes arabes n'ont pas encore pris conscience de la réalité, et la tache de la linguistique. Il estime que la plupart des études arabes se situent en marge de la linguistique, et m'atteignent pas de la linguistique. Par conséquent, nous avons le fond tenté dans cette recherche d'éclaircir la nature des travaux linguistiques arabes modernes. À la vision de Mustapha GHALAFAN, et comment il critique la linguistique arabe moderne dans son approche et sa procédure.

Les Mots Clés:

Linguistique Arabe, Mustapha GHALAFAN, Programme D'étude, Travaux Linguistiques Arabes.